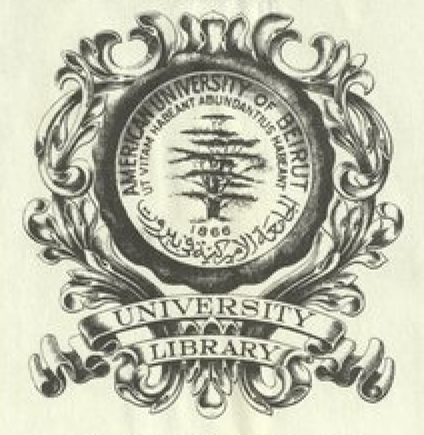

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY

مقدمة الى حضرة الدكتور فيليب حتي

سيرتي منذ حداثتي

وهي

مذكرات نسيم متري الحلو



بيروت ١٩٥٠



نسيم متري الحلو

تمهيد

•

يسرّ ادارة مكتبة المشعل ان تقدم هذا الكتاب الى جمهور القراء الكرام فمؤلفه الفاضل الاستاذ نسيم الحلو هو علم من اعلام الفضل وركن من اركان النهضة التهذيبية في هذه البلاد مدى نيف ونصف قرن خدم فيها معلماً ورئيساً لمدرسة الفنون في صيدا . بل انه ليسر معارفه وتلاميذه واصدقاءه الكثيرين ان يطالعوا سيرة رجل احبوه واحترموه فقد كتب مجمل الحوادث الهامة في حياته الخاصة وحياة الكثيرين من الذين كان لهم علاقة به من مرسلين ووطنيين فالقى نوراً وضاء على كثير من الامور والاشخاص ربما لولاه لاصبحت نسياً منسياً . ولان كتابة امثال هذه السير هي قليلة في اللغة العربية فقد رأينا خدمةً لابناء الضاد ان نتحفهم بهذا الكتاب عساه يكون لاذاً ومفيداً في آنٍ واحد ، بل تذكرة وعبرة - لان التشبه بالكرام فلاح .
والله وليّ التوفيق اولاً وآخراً .

مكتبة المشعل



اهداء الكتاب

القس روبرت بايرلي المرسل الاميركاني خدم هـذه البلاد بامانة وغيرة سنين طويلة خدمةً نافعةً في حقلَي الدين والثقافة . وكان لحسن حظي ان عاشرته واشتركت معهُ في الخدمة مُعظم هذه المدَّة . وهو الذي نبَّهني الى كتابة هذه المذكرات ، ثم تبنَّى فكرة طبعها ونشرها . وقد بذل السعي المشكور في ابرازها الى عالم الظهور . فالى هذا الصديق اقدّمها راجياً منهُ قبولها .

نسيم الحاو

مقدمة

كتب لي صديقي القس روبرت بايلي بايعاز من المرسلين الاميركيين يسألني عمّا اذا كنت قد شرعت في كتابة مذكراتي . فاجبتهُ ان ما شرعت فيه هو جمع وتنسيق المقالات التي نُشر اكثرها في المجلات والجرائد وكذلك اختيار بعض المواعظ والمقالات الدينية فتألف مما جمعت اربعة كتب . أما ان يكتب الانسان سيرته الشخصية بيدهِ فذلك ليس مما يُرغب فيه لانه ان ذكر الحسنات واغضى عن السيئات تمَّ فيه القول المأثور « مادح نفسه يقرئك السلام » وان عكس الامر يشذّ عن المألوف .. ومن هو الذي يكتب اسمهُ في دفتر الاشقياء بيدهِ ؟ ! وبعد هذا وذاك فان سؤال المرسلين ألقى في فكري بذرة الموضوع وحملني على التفكير الجدي في هذا الامر .

واطلعت في هذه الآونة على كتاب مذكرات الصديق القس خليل سمعان الراسي وفي مطالعتي اياها كنت اتتبع الحوادث التي لي علاقة بها معهُ ، واستأنست بتلك المذكرات فغلب على فكري ان اشرع في كتابة مذكراتي وان لم ترد كلها على نسق تاريخي متسلسل بالارقام حسب الاصطلاح المتَّبع في بعض نواحي السيرة . واخترت اسماً لهذه المذكرات « سيرتي منذ حداثتي » وهي عبارة لبولس الرسول وردت في سفر الاعمال ٢٦ : ٤ تبركاً بها اولاً ولانها تنطبق على المقصود تماماً ، والله ولي الامر اولاً وآخراً

نسيم الحلو

سيرتي منذ حداثتي

•

يقول نسيم بن متري بن سليمان بن سمعان بن سليمان بن يوسف الحلو — شاءت الارادة العليا ان ابدأ مذكراتي بنبإ مصاب استقبلني به الدهر ابو العبر . وقضت حكمته تعالى ان يخلو قاموس حياتي من كلمة أحبُّ واشهى لفظة ينطق بها الانسان ، اقصد بها لفظة (امي) [1] . لان والدتي (فضة ابنة اسعد القرا من قرية السودا) توفيت بعد ولادتي ببضعة ايام واخشى ان تكون ولادتها اياي هي السبب المباشر لوفاتها . ولست على يقين من جهة تاريخ يوم ولادتي انما تحققت انهُ وقع في شهر آب سنة ١٨٦٨ وسموني نسيماً لانهُ مات لوالدتي صبيٌّ يحمل هذا الاسم . فمن سوء الطالع انهُ ما وصل النبأ المفرح بولادة الصبي الى باب الدار حتى عقبه الخبر المفجع بوفاة والدته . فكأنهُ قد جاب معه الهم لنفسه ولذويه الذين احتاروا في كيف يربونهُ . ولان الحالة لا تعطي مهلة لتقرير الموقف في امر اعالة وتغذية الطفل شرعت اخواته (فريدة

---

(١) قيل ورد يوماً الى اسكندر الملك كتاب من احد عماله مملوءاً ثلباً ووشياً بامه فبعد ان قرأهُ قال : ان قطرة واحدة من دموع الام تمحو الف مكتوب مثل هذا — وقيل محبة الام لولدها لا تموت ولا تنقص . وهي تعزي في الحزن وتعين في الضيق وتشجع في اليأس ولا تفارقه عند الموت وتحامي عن اسمه بعد دفنه

وهيلانة ومريم) مع بعض الخدم يحملنهُ ذاهبات به الى النساء والمرضعات ليتفضّلنَ عليه بقسم من غذاء اطفالهنَّ في ارضاعه. ولما بلغتُ سنَّ الادراك اخبروني عن بعض النساء اللواتي اشتركنَ في هذه المأثرة . وبعد اللتيا والتي اختاروا لي امرأة احد شركاء اهلي مرضعةً واسمها مروش ام يوسف ارملة ابرهيم البيطار واهلها من بيت المقرّ في المشتى وكانت مهنتهم تعليم الاولاد القراءة والكتابة ، ولذلك نشأت ولها المام بالقراءة البسيطة . فاخذتني الى بيتها الذي لا يبعد كثيراً عن بيتنا وارضعتني مع ابنة لها اسمها ثريا . واخبرتني مربيتي التي كنت ادعوها امي ان بعض انسبائي اذا التقوا بها حاملةً ابنتها يدعون على الابنة بالموت (والدعوة على الابنة بالموت كانت تأتي في تلك الايام بعرض المزاح) لتتفرّغ لي وحدي دون مزاحم وقالت لي ان دعواتهم استجيبت فماتت ثريا . ومن ثمّ انصرفت بكل عنايتها نحوي رغم مصابها بخسارة ابنتها . وكانت تروي لي نوادر عن زمن طفولتي وتكررها على مسمعي حتى صرت وانا كبير اذا تذكرت حوادث طفولتي لا اميز بين ما اتذكرهُ حقيقةً وبين ما رسخ في ذهني لكثرة تكراره على مسمعي . وليس عندي اقلّ ريب او شبهة في حبها وحبّ اولادها لي وعطفهم عليَّ .

ولم تنقطع علاقتي مع مربيتي واولادها بعد الفطام بل كنت الازم الذهاب الى بيتهم ومشاركتهم في اكلهم وشربهم وكنت ارافقهم الى

الشغل في حقلهم . وهنا نادرة طريفة وهي : اننا قد تأخرنا مرة في الحقل الى ما بعد الغروب ولما عدنا الى بيتهم كانت الدنيا قد أعتمت فوضعوا طبق الطعام على المصطبة امام البيت دون ان يضيئوا السراج وكان الطعام بيضاً مقلياً مغموساً بقريش مكبوس (شنكليش) وكنت اكره اكل البيض كل الكره في العتمة ونحن جياع اشتركنا في الاكل بكل شهيّة وكانّ طعم الشنكليش قد غطّى على طعم البيض . وبعد ان اكتفينا قالوا لي أتدري ماذا تعشّيت ؟ قلت لا ولكنهُ طيّب . فقالوا هذا بيض بشنكليش . حينئذٍ ثار ثائري عليهم وصرت اتفل بقايا الطعام من فمي . على أنهم لو لم يجنوا على انفسهم باعلامي الحقيقة لذهب كل شيء في سبيلهِ . والشيء بالشيء يذكر فاني اكره اكل البيض دون ان تفيد الحيل في حملي على قبولهِ الى ان اتى عيد الفصح الذي يسلقون فيهِ البيض بكثرة ويصبغونهُ بالالوان فرأيت اختي مريم قد أجلست اخي الاصغر انيساً في حضنها وهي تطعمهُ بيضاً فغرت منهُ وقلت لها اطعميني انا . قالت انت لا تاكل البيض فاجبتها اني آكلهُ وهكذا عدت الى رشدي وصرت آكل البيض .

ولما بلغت من العمر ست او سبع سنين وضعني ابي عند معلم بسيط اسمهُ سلوم موسى وكان التعليم البدائي في الحروف وبعض قطع صلاة بسيطة يكتبونها خطأً وبعدها ينتقلون الى كتاب المزامير المقسوم

الى سبعة اقسام ويسمّى كل قسم منها (سحراً) لكي يُتلى منهُ كل صباح سحر ذلك اليوم . وامرٌ طبيعي انَّ ابي كان يخصُّني بعطف وافر تعويضاً لما خسرتهُ من عطف الام بوفاة والدتي . ولذلك كنت ألاحظهُ انهُ يعطي المعلم نقوداً حتى اذا حضر بائع فاكهة (وكانت المدرسة شبهَ دكان بجانب ساحة القرية) يشتري لي لآكل . والذي جعلني اعيّن عمري ست او سبع سنين هو ان المعلم اشترى لي خياراً فاخذت واحدة وشرعت اقضمها او بالحري اخضمها واذا باحدى اسناني تغرز في جسم الخيارة وتستقرُّ فيها ايذاناً ببداءة تبديل اسنان اللبن . ولكن هذا العطف الوالدي ما تنعَّمت به طويلاً اذ توفي ابي وعلى ما اظن بالحمّى التيفوئيدية التي اتصلت اليه بالعدوى ، لان خالتي ام انيس أُصيبت بها اولاً وكان ابي ملازماً العناية بها فشُفيت هي وانتقلت الحمى اليهِ فتوفي بها في ٩ اذار سنة ١٨٧٥ تقريباً . وكانت اختاي قد تزوجتا الكبرى فريدة الى ايوب عرنوق كما مرَّ وهيلانة الى ابرهيم انطونيوس عرنوق قبل وفاة والدي وبقيتُ مع اختي مريم التي اعتنت بي عناية خصوصية وكان معنا اخي الياس وبعد حين استقلّت خالتي بابنها انيس كما استقلّينا نحن في امور المعيشة .

الهجرة الى المتن

ومما يُذكر من حادث تلك الايام ان زار المشرق وبأ الكوليرا

الذي توفي بهِ جدّاي الشيخان بعد وفاة والدي. وقد اخذ الوباء يفتك بالناس. فما كان من اختي مريم وهي الكبيرة بيننا وصاحبة التدبير الأ ان هربت بي وباخي الياس الى بيت جدّي - اهل امّي - في قرية السودا قرب متن بيت عرنوق حيث اختاي فريدة وهيلانة . وكان سفرنا على ظهور البغال وتبرّع بعض الاصحاب المرافقين لنا في السفر جرجس ايوب الحلو فاركبني امامهُ على بغلتهِ اذ كان مسافراً الى طرطوس لمشترى بعض الاغراض . وفيما نحن في منتصف الطريق قصدوا ان يميلوا بنا على عين ما تسمّى عين التوتة ليشربوا ويسقوا البغال . ولما كانت الحجارة كثيرة حول العين مما يجعل السبيل اليها صعباً تزاحمت البغـال للسبق الى الماء فتعست بغلة جرجس ايوب التي تقلني فسقطتُ على تلك الحجارة المحدّدة الجوانب فاصابت شظية منها اذني فجرحتهُ جرحاً بليغاً لم يزل حاملاً أثرهُ الى الآن فبكيت وبكيت « وما يجدي البكاء ولا النحيبُ » واستعملوا لي ما وصلت اليهِ يدهم من طرق الاسعاف . ولما استأنفوا السير نقلوني الى الركوب امام خادمنا النديم الامين (مخول نقول) الذي كان يعطف علينا عطف الاخ على اخيهِ فنمت ونحن مسافرون الى نحو العصر ولما تعذّر علينا الوصول ذلك اليوم الى السودا عرّجنا على قرية اسمها صبابة تخصُ صهري ابرهيم عرنوق فاستقبلونا فيها احسن استقبال واضافونا حسب أصول كرم الضيافة .

وثاني يوم استأنفنا السفر الى السودا ولما بلغناها نزلنا في بيت جدّي

اسبع القرا فاستقبلونا بالترحاب . ولم نلبث طويلاً في السودا لان انسباءنا في المتن اتوا للسلام علينا واخذونا معهم الى المتن . ولحسن التوفيق ان كانت احدى خالاتي ابركة زوجة اسكندر الجوي في السودا وكان في ضيافتهم صديق خبير من مصر اسمهُ منّى فهذا الصديق لما رأى جرح انني صنع لهُ مرهماً لعلاجهِ فاستعملناهُ وكان بهِ الشفاء باذن الله مع بقاء الاثر الخالد .

انا لا استطيع تحديد التاريخ بالتدقيق ولكني اظنُّ ان ذهابنا الى المتن كان سنة ١٨٧٧ وبقينا كانا في المتن في ضيافة اختي فريدة وهيلانة الى ان نظفت المشتى من الوباء فعادت اختي مريم واخي الياس الى المشتى وابقوني وحدي في المتن في عهدة اختيَّ المذكورتين لكي اتعلم القراءة والكتابة . فكان معلمي اولاً الخوري كاهن المتن وكان كهنة القرى في تلك الايام يلبسون العمة الزرقاء بدل القلنسوة واصل هذا الخوري من السودا يتصل ببعض القرابة مع امي وكان مع خدمتهِ الرعوية يشتغل بصنعة الحياكة مع تعليم الاولاد . ثم انتقلت الى معلم آخر اسمهُ طنوس موسى . وفوق هذا كنت اتعلم الخط عند صهريَّ .

لما استدعاني اخي الياس للعودة من المتن الى البيت ارسل لي مخول نقول الذي سبقت الاشارة اليهِ مع بغله فتركت المتن واتيت الى المشتى وجعلنا طريقنا على برج صافيتا فنزلت ضيفاً على اختي في بيت تامر بشور ومن صافيتا اتينا الى المشتى ولتحقيق تاريخ عودتي اذكر اني قبل تركي

المتن لحت احدهم يضع تاريخ رسالة هذه الارقام ١٨٧٩ وقد بقيت صورتها ماثلةً امام عينيَّ ·وبعد عودتي كنا مشتركين في العيشة البيتية مع خالتي واخي انيس ·

وفي هذه الآونة عدت الى الدرس عند معلم اسمه اسبر عبدوش وكان بيته الذي يعلم فيه في اعلى القرية وكان هذا المعلم صارماً في سياسة التلاميذ شأن امثالهِ من معلمي العهد القديم البسطاء ·وكان مصاباً بالعرج في رجله · ولا بأس من الاشارة الى حالة هذا النوع من مدارس التعليم البسيط · قلنا ان بيت المعلم هو المدرسة ونـدر ان يكون المعلم متفرغاً لممارسة التعليم بل يتخذ معهُ احدى المهن · والصناعة العامة في المشتى كانت حياكة الاعبئة ولم يكن مع المعلم ساعة لتحديد اوقات المدرسة بل يبكّر التـلاميذ في المجيء قدر الامكان ومن تأخر عن الوقت ينال قصاصاً على نسبة مقدار التأخر · وينصرف التلاميذ عند غروب الشمس · على انهم يذهبون الظهر ليتنـاولوا طعام الغداء في بيوتهم وعادةً حين يأتي التلميذ من البيت الى المدرسة يجلب للمعلم معهُ رغيف خبز ومن جلب شيئاً اضافياً من فاكهة او غيرها ينال حظوة في عيني المعلم · ولا توجد فرص محدودة لقضاء حاجات التلميذ بل اذا اضطرَّ الواحد الى قضاء حاجةٍ يذهب الى المعلم ماداً يده وباسطاً كفهُ ويقول : دستور يا معلمي حينئذٍ يضربه المعلم برفق او بشدة بقضيب من الرمان قلما يفارق يده وقد لا يضربه في بعض الاحيان ·

وكانت القراءة بصوت عالٍ ومتى انخفضت الاصوات قام المعلم وبيدهِ القضيب يخبط بهِ على ظهور التلاميذ فترتفع اصواتهم بالقراءة حتى تكاد تصمُّ المسامع . ويفيد ان اذكر مثالاً لاقبح وآلم نوع من القصاصات اعني بهِ « الفلق » وهو الضرب بالعصا على رجلي الولد . وعلى وجه الاجمال كانت القصاصات مقصورة على الضرب ونحوه من وسائل ايلام الجسم .

في هذه المدرسة اكملت او ختمت كما يقولون كتاب المزامير والعادة انهم يكتفون يدي التلميذ المنتهي بزناره الى الوراء ويذهب بهِ المعلم والتلاميذ الى بيت اهلهِ ماسكاً احد التلاميذ بطرف الرباط السائب من الكتاف والمعلم يكون طبعاً في مقدمة جمهور التلاميذ . وحينما يصلون يستقبلهم الاهل بالترحاب ويقدمون هدية خاصة الى المعلم ويضعون طبقاً عليهِ زبيب وتين ونحوهما امام التلاميذ اما اجرة المعلم فكانت على كل سحر من اقسام المزامير نصف ريال مجيدي .

وبعد ان ختمت المزامير ابتدأت بكتاب الاكطويوخس الحاوي القطع التي يرتلونها في الصلاة على الالحان اليونانية الثانية . وبعد اكمال الاكطويوخس يتفرغ التلميذ للكتابة . ولكي يقتصدوا في ثمن الورق يستعملون في بداءة الكتابة لوحاً معدنياً وهو كناية عن جانب صفيحة بترول يكون نظيفاً وناعماً فيكتبون عليهِ بالقلم الغزار والحبر ولما يمتلىء يمحوهُ التلميذ بغسلهِ بالماء وينشفهُ لاستعمالهِ ثانيةً . وكان الخطُّ

نوعين : الاول « الكناذي » وهو واضح يقرب من الطبع ويستعمل لنسخ الكتب ، والثاني « المدلق » ويستعمل في المراسلات والدواوين .

عهد المدرسة الانجيلية الاميركية

كانت بداءة علاقتنا بالمدارس الاميركية على هـذه الكيفية : استدعى وجوه المشتى من المرسلين الاميركان وكان منهم حينئذٍ في طرابلس القس اوسكار هاردن والدكتور صموئيل جسب والدكتور الطبيب وليم كاهون بن سمعان كاهون المشهور . فالتمسوا في استدعائهم ان يفتحوا في المشتى مدرسة ويديروها حسب نظام المدارس الاميركية فأجيب طلبهم وأرسل لهم المعلم قاسم ابو غانم وامرأتهُ المعلمة شمس ابنة واعظ كنيسة صافيتا الانجيلية واسمه الشيخ حسين ابو غانم . ففتح المعلم قاسم مدرسة للصبيان والمعلمة شمس مدرسة للبنات في الغرفتين الخارجيتين من دار سليمان الحلو المشهورة . وكنت مع اخي انيس من التلامذة الاولين الذين دخلوا المدرسة الجديدة وكان هذا اول عهـدنا باستعمال الحركات والقراءة المشكلة والحساب المركّب والكسور وغير ذلك من العلوم الجديدة . واذكر اني لما اكملت الحساب الصغير « مصباح الحاسب » وانتقلت الى الحساب الكبير « كشف الحجاب » وضعت تاريخ بداءتنا به ١٨٨٠ وبالطبع هذا كان بعد فتح المدرسة بمدة ليست قليلة . ومن

هذا التاريخ فصاعداً تحوّل مجرى تعليمنا عمّا كان سابقاً اي صار حسب القواعد الجديدة المفيدة .

وكان المعلم والمعلمة الجديدان محبوبين من اهـالي المشتى حتى من الكهنة . وفي الصيف كانا يقضيان فرصتهما في وطنهما كفرنبرغ .ووُلد لهما ابنة في المشتى سمياها اسماء ولما انتقلا من المشتى كانا يدعوانها اسماء المشتوية . وقد افادا بوجودهما في المشتى في امور غير التعليم منها انهما شجّعا بعض الاصدقاء في تجربة بزر بارتي لتربية دود الحرير لان البزر الصيني الوطني القديم كان يحل موسمهُ اذ يموت الدود غالباً في مرحلتهِ الاخيرة . وكان ثمن الدرهم من بزر بارتي نصف ريال مجيـدي والعلبة الواحدة فيها سبعة دراهم ونصف الدرهم .فنجحت التجربة واقبل الموسم اقبالاً حسناً فتشجّع الناس من ذلك الحين فصاعداً في استعمال بزر بارتي. وكان المعلم قاسم يخصّني بعنايتهِ لمواظبتي ورغبتي في درس المثائل .

في هذا العهد لم يكن اجتماع يوم الاحد للعبادة ولم تكن مدرسة احد لان المعلم كان يتجنّب ان يمسَّ احساسات اهل المشتى الدينية وهذا ما جعله محبّباً ومرغوباً فيهِ من الاهالي المتعصبين لمذهبهم الارثوذكسي . وقد أعلن المرسلون ان كل تلميذ يستظهر كتاب اصول الايمـان دون غلط يُعطى جائزة نسخة من الكتاب المقـدس حرف ٣ مجلد فاجتزت الامتحان مع بعض التلاميذ ونلنا الجوائز ممضاة من الدكتور هـنري جسب ففرحنا بها كثيراً . ومما كان يسرُّ بهِ التلاميذ ويستفيدون منهُ

جريدة النشرة الشهرية التي كانت توزّع عليهم في بداءة كل شهر .

قد صار تبديل في المرسلين فانتقل الدكتور صموئيل جسب من طرابلس الى بيروت وكان مديراً للنشرة الاسبوعية مع المطبعة من سنة ١٨٨٣ واتى مكانهُ الى طرابلس القس مارش من زحلة وقد اشار في رسالة بعثها لي بعد خمسين سنة الى اول زيارة للمشتى مع الدكتور صموئيل جسب [١] . وكان المرسلون الاميركان يزورون الكنائس الانجيلية والمدارس زيارة روحية وتفتيشية عدة مرات في السنة واعتادوا ان لا يثقلوا على الاهلين بامر الضيافة فيصحبوا معهم جميع لوازم الطعام والشراب من اغذية وادوات طبخ وطباخين حتى اسرَّة وفرش للنوم وبعض المرات يصحبهم الطبيب المرسل وكان يفيد جداً ويزدحم الناس في الاقبال عليهِ لخلوّ هذه الجهات من الاطباء القانونيين في ذلك الحين وبعد وفاة الدكتور وليم كلهون اتى الدكتور هرس ليشغل مركزهُ .

اهتمام اربعة شبان بالتعاليم الروحية

ولا بدّ من الشهادة لتأثرنا الشخصي من وجود المدرسة الانجيلية

---

(١) كتب لي القس وليم مارش في ٢٣ ت ٢ سنة ١٩٣٣ ما يأتي : اتذكر اول زيارتي للمشتى مع الدكتور صموئيل جسب ومس لاكرانج كان المعلم ديب كفوري معلم المدرسة وكان صف فيه خمسة شبان كلهم اذكياء وجنابك احدهم ولاحظنا تقدمك حتى صرت رئيس المدرسة التي كنت تلميذاً فيها ومعلم المعلمين ... الخ

في المشتى . فقد كنت انا وابن خالتي وصديقي عارف انطونيوس الحلو نقرأ في الكتاب المقدس وبعض الكتب الدينية لانفسنا. وانضمَّ الينا اثنان من اصحابنا من خارج المدرسة وهما متري مخائيل الصائغ وحنا سطوف الحلو فكنا نحن الاربعة نواظب برغبة على الاجتماع في غرفة خاصة كان يسكنها احدنا عارف وكانت تجري بيننا وبين بعض الاهالي مباحثات ومقابلات بين التعاليم الانجيلية الجديدة والتعاليم الارثوذكسية. فشاع امرنا وصار البعض يراقبوننا واحياناً يأتي الخوري ليعظنا لنترك هذه الافكار الجديدة ونعترف ونتناول . وقد أطلق الناس على غرفة اجتماعنا المذكورة على سبيل المزاح اسم علية صهيون لانها كانت في طابق علوي . وكنا احياناً نفرُّ من مضايقة المراقبين وننفرد في البرية بين شقوق الصخور حيث يتيسَّر لنا مطالعة الكتاب المقدس الذي نصحبهُ معنا بحرية . واذكر اني عثرت مرَّةً على كتاب لم اهتدِ اولاً الى اسمهِ لفقد الورقة الاولى الحاملة الاسم فشرعت في مطالعتهِ واذا بهِ كتاب لذيذ ومفيد ولم اتركهُ حتى اتيت على آخرهِ. وعرفت بعدئذٍ ان اسمهُ «سياحة المسيحي»[1] . وهكذا كانت لذَّتنا في مطالعة الكتب الروحية . نعود الى سيرة غرفتنا الخاصة المسماة

---

(١) قيل انه بيع بالمزاد في لندن نسخة واحدة من الطبع الاول من كتاب سياحة المسيحي بنحو ١٤٧٥ ليرة انكليزية . وقد ترجم هذا الكتاب الى نحو مئة لغة . وليس بعد الكتاب المقدس من كتاب اعمق منه في اظهار الحياة المسيحية .

علية صهيون فاننا اتينا اليها مرةً فوجدنا اوراقنا وكراريسنا مفقودة منها فما بالينا وبقينا مستمرّين في ما جرينا عليهِ .

اما نحن الاربعة فبقينا على حالتنا من جهة البحث والدرس حتى اقتنعنا تماماً بفضل الحقائق الانجيلية البسيطة وبان الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد للعقائد الدينية . واحببنا أخيراً ان يكون لنا اتصال مباشر بالمرسلين الاميركان في طرابلس لزيادة الاسترشاد وقد اغفلنا ان يكون ذلك بواسطة المعلم ديب لاننا خشينا انهُ يطمس على مشروعنا ويهمله . فكتبنا رسالة مطولة مفصلة بحالتنا كما هي وارسلناها الى مركز المرسلين في طرابلس بطريقة مأمونة وبقينا ننتظر الجواب فمرَّت الايام والاسابيع ولم يصلنا شيء فكتبنا ثانية وارسلنا صورة طبق الاصل عن الكتاب الاول فلم يمضِ وقت قصير حتى دعانا اليه وجاءنا جواب المرسلين فكان لطيفاً ومشجعاً والذي ظنناه – وبعض الظن اثم – ان المعلم في المشتى احبَّ ان يطمس الخبر عنا لنيأس ونعدل عما شرعنا بهِ حفظاً لمركزنا هناك وكنت انا ونسيبي عارف من تلامذة المدرسة كما سبقت الاشارة اما متري الصائغ وحنا سطوف الحلو فكانا يشتغلان في صناعة الاعبئة .

السفر الى طرابلس

●

واسمع واعجب لهذا الفصل الذي صدر منا نحن الاربعة المذكورين

اذ خطر لنا فكر حسبناهُ هاماً وهو انهُ يجب ان نشترك في العشاء الرباني ولان ذلك لا يمكن اتمامه في المشتى تبادر الى اذهاننا فكر ساذج يدل على عدم الروية في الامر لاننا ما انتظرنا رأي المرسلين في ما قصدناه من الذهاب الى طرابلس والاشتراك هناك وكل ما عملناه اننا كتبنا الى القسين هاردن ومارش نعلمهما اننا في موعد حددناه لهما نكون في طرابلس لتناول العشاء الرباني . وفي الوقت الذي عيناه نحن ذهبنا اولاً الى السوق او العرضي الذي يُقام في دير مار الياس الواقع في ساحل صافيتا في عيدهِ الكائن في ٢٠ تموز شرقي ومن ثمَّ استأنفنا السير الى طرابلس فوصلناها في الوقت المعين. وكان سفرنا مشياً على اقدامنا من المشتى الى الدير ومنهُ الى طرابلس. ولوصولنا متأخرين نمنا في غرفة من الخان اذ لم تكن الفنادق منظمة لاستقبال الغرباء وثاني يوم ذهبنا نسأل عن المرسلين الاميركان فاخبرونا انهم مصيفون مع عيالهم في الجبل ودلُّونا على الاستاذ اسكندر عطية فزرناه واخبرناه عن قصدنا في المجيء فلاطفنا واعتذر عن المرسلين باننا نحن اخطأنا بمجيئنا قبل ان يصلنا جواب منهم واهدانا نسخة من رسالة ألفها حديثاً ونال عليها جائزة وموضوعها « فوائد الدين المسيحي للجنس البشري » فخرجنا من عنده شاكرين ودبَّرنا امرنا للعودة بعد ان اشتريت من مكتبة المرسلين كتاب « خدمة العبادة للجمهور والعائلة » ولم يزل هذا الكتاب في مكتبتي حاملاً تاريخ اقتنائه ٣١ تموز سنة ١٨٨٦

وعدنا أدراجنا ماشين مسافة يوم وبعض اليوم وهذه نادرة حدثت لنا في عودتنا وهي اننا نحو العصر وكنا قد قربنا من المشتى رأينا دالية عنب معربشة على الشجرة ونحن جياع فتذاكرنا في هل يجوز لنا ان ناكل منها عنباً وهي ليست ملكنا فعدنا الى شريعة موسى القائلة في (تث ٢٣ : ٢٤) « اذا دخلت كرم صاحبك فكل عنباً حسب شهوة نفسك ولكن في وعائك لا تجعل » وهكذا فعلنا وبينما نحن نقطف العنب رآنا صاحب الدالية من بعيد وصرخ بنا فهرولنا نازلين ومشينا في سبيلنا كاننا لم نأتِ امراً إدًّا ولكن صاحب العنب لحق بنا ولم يبدأ بسؤالنا بل شرع يفتش (جيابنا وعبابنا) فلم يجد شيئاً من العنب فاقتنع في نفسه اننا لسنا غرماءه . ونحن جبنّا امامه فلم نعترف بحقيقة الواقع كما كان يجب ان نفعل ثم تابعنا السير حتى وصلنا الى المشتى ونحن على غاية ما يكون من التعب . وكل ذلك لم يثنِ عزائمنا فبقينا على عادتنا من درس الكتاب والاجتماعات معاً والمباحثات مع الآخرين — ذكرنا في ما مرَّ معنا كثيراً من احاديث المدارس الابتدائية من بسيطة قديمة ، ومن منظمة حديثة . وقد جاء دور الكلام عن المدارس الداخلية التي لي علاقة او بعض العلاقة بها وهذا اوان الشروع في ذلك

المدرسة الكلية السورية الانجيلية

•

في صيف سنة ١٨٨٥ زار مستر هاردن مدرسة المشتى حسب العادة

فصارت المفاوضة معهُ من جهة دخولي الكلية السورية الانجيلية في بيروت (الجامعة الاميركية اليوم) وتقدّم بعض طلبات اخرى فلم يكن محل الأ لواحد ولحسن الحظ كنت انا ذلك الواحد . فتهيأت قدر ما ساعدت الاحوال . وفي وقت افتتاح المدرسة سافرت الى بيروت وقد رافقني في هذا السفر حنا ابرهيم البيطار ابن مربيتي الاصفر الذي كنت ادعوه اخي . حمله على السفر باعثان الاول حبه لي وثانياً سعيهُ لتدبير شغل له في بيروت . وكانَّ الله ارسلهُ لمساعدتي في هذه السفرة حين اللزوم لانني اول دخولي المدرسة وجدت انهُ يعوزني بعض اغراض فارسلت حنا المذكور ومعهُ مكتوب مني الى الخواجا خليل فنيانوس في زوق ميكائيل وهو صديق لنا وكان يقضي وقتاً طويلاً في المشتى وقد طلبت منهُ تدبير ما يلزم . فاتمّ اخي حنا رسالتهُ وعاد اليَّ ببعض الاغراض المطلوبة . وكان رفيقي في الكلية بشور الياس بشور من برج صافيتا . وكان رئيس القسم الاستعدادي الذي دخلناهُ مستر فرنكلن هسكنس ومن الاساتذة الوطنيين المهندس يوسف افتيمس

وبكل اسف وخجل اقرُّ اني لم اكن اعرف قيمة الفرصة الثمينة التي أُتيحت لي بقبولي مجاناً في هذه المدرسة المشهورة ليس لكسل لاني ما اعتدت الأ الاجتهاد ولكن غلب عليَّ هوس الحنين الى البيت الامر الذي لم استطع لنفسي التغلّب عليهِ . ولما عرضت على رئيس الكلية الدكتور دانيال بلس امر خروجي من المدرسة أحالني على مستر هاردن

المصيف في عاليه لاطلب منه السماح لي بالعودة الى البيت فكتبت رسالة بهذا الشأن لمستر هاردن وارسلتها مع اخي حنا البيطار . فاخذ حنا الرسالة وعاد بالجواب الى الرئيس يأذن لي به بترك المدرسة اذا بقيت مصراً على عزمي. حينئذٍ جهزت اغراضي وخرجت من المدرسة بعد ايام معدودة فقط من دخولي اياها . ورافقني في عودتي حنا المذكور كما رافقني في مجيئي . فلم يستحسن اخي الياس عودتي كما لم يوافقني احد على صوابية عملي والحق بيدهم. ولو أتيح لي صديق في بيروت ينصحني ويرفّه عن حالتي في وحشة الغربة ولو أطلت المكث في المدرسة لربما كنت بقيت الى نهاية السنة وتابعت مجيئي السنين التي بعدها [1]

المدرسة الاميركية في صيدا

•

ودار الزمان دورته وانا ملازم مدرسة المعلم ديب كفوري في المشتى الى نهاية السنة المدرسية . ولما اتى مستر هاردن ومستر مارش حسب العادة لفحص المدرسة اغتنمنا الفرصة وأعدنا الكرَّة ملتمسين المسامحة على الهفوة السابقة اذ تقدمت مع بعض الرفاق من تلامذة المدرسة الكبار نطلب الذهاب الى المدرسة الداخلية وبعد المفاوضة تقرَّر

(١) لمّا ألّفت كتاب (رفيق التلميذ) شدّدت واسهبت الكلام في النصيحة لمن يُبلى بمرض الحنين الى البيت من الطلبة الجدد . ولكن يصدق ما يأتي :

يا ايها الرجل المعلم غيره ... هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ

قبول ثلاثة من الطالبين وهم اخي انيس وعارف طنوس الحلو صديقي وانا ولكن ليس الى الكلية في بيروت بل الى مدرسة جديدة في صيدا لم نسمع بها قبلاً وهي « مدرسة الصبيان الداخلية الاميركية في صيدا » وفي الوقت المعيَّن لفتح المدرسة في شهر تشرين الاول سنة ١٨٨٦ تأهبنا للسفر وكان زمن ضيق وعسر حال فارسلت يوسف البيطار وهو اخو حنا الاكبر ابن مربيتي الى مزرعة تخصّنا في قضاء الحصن اسمها حفير ليجلب لي شيئاً من ثمن موسم الذرة البيضاء فاتى لي بخمسة ريالات مجيدية لا غير وكنّا قد تجهَّزنا بقدر الامكان بالاغراض المدرسية فاستأجرنا ثلاثة بغال من المشتى لتوصلنا مع اغراضنا الى صيدا ولا تقلّ المسافة عن اربعة ايام سفر واتفقنا على اجرة خمسة ريالات مجيدية للبغل الواحد . فقطعنا هذه المسافة الشاقّة راكبين على ظهور البغال فبلغنا صيدا وقد انهكنا التعب . ولما حاسبنا المكارين على اجرتهم تقدَّم الي اخي يوسف البيطار الذي لم يكن هو صاحب البغل الذي ركبت عليهِ بل هو يشتغل بالمشاركة مع صاحبهِ الاصلي ابي نقولا زعيتر . والاصطلاح ان صاحب البغل يأخذ نصف الاجرة والمكاري النصف الآخر وهنا يمكنك ان تلاحظ العطف الاخوي وانكار الذات اذ قال لي يوسف: يا نسيم اعطني نصف الاجرة حصة صاحب البغل والنصف الآخر الذي يخصني ابقهِ معك وانا آخذ قيمتهُ من اخيك الياس في المشتى . فأثَّر بي صنيعه جداً . من هذا تحقق ما قلتهُ سابقاً من استمرار العلاقة الحبية

بيتي وبين مربيتي واولادها الى النهاية

حططنا رحالنا في البناية الجديدة للمدرسة (وود هول) ولم تكن قد كملت تماماً فكانت تُستعمل للنوم والطعام اما الدرس والتعليم فكان في الغرف الكائنة في دار الكنيسة الانجيلية وسط المدينة . ولم تكن صفوف الدراسة تامة التنظيم اذ كان يمكن للتلميذ ان ياخذ دروساً في صفوف مختلفة وكانت ادارة المدرسة تعير الكتب اللازمة للتلاميذ . اما رئيس المدرسة فكان مستر وليم كنغ ادي والنائب عنهُ في ادارة المدرسة المعلم يواكيم مسعود الراسي الساكن مع اسرتهِ في الجناح الشمالي من بناية (وود هول) . واول وصولنا لم يكن التلاميذ ينامون على اسرَّة بل على الحصر وبعد مدة قصيرة اتوا باسرَّة حديد صغيرة عسر النوم عليها للكبار من التلاميذ ، فاخترت ان يعطوني الواح خشب اصنع منها تختاً في زاوية غرفة النوم وهكذا عمل غيري من الكبار . وتعيَّن لنا الدرس اللغوي مع الصفوف العليا في كتاب ابن عقيل فكانت العلوم كلها في اللغة العربية . والمسائل الدينية كانت تحتل المركز الهام . اما التلاميذ المزمعون ان ينتقلوا الى المدرسة الكلية في بيروت فكان لهم ترتيب خاص في اللغة الانكليزية مع شيء من اللغة الافرنسية . وسرَّنا ان كان لنا رفيقان آخران من حقل طرابلس احدهما متري ايوب من مرمريتا والآخر ابرهيم خليل زعرو من بينو عكار

الحالة المدرسية

•

اما معلمو المدرسة في سنتنا الاولى فهم يواكيم مسعود الراسي نائب الرئيس وداود قربان وكان اكثر وقته في تعليم البنـات في المدرسة الاميركية في صيداء وجرجس كيال استاذ الافرنسية الخاص الى سنين طويلة ويوسف عمار معلم المبتدئين في المدرسة اليومية . والمعلم سعد معوشي والمعلم داود فليحان وكان له شغل خاص في مدرسة البنات

يمكنك ان تتصوَّر العناء الذي يقاسيه التلاميذ بالانتقال يومياً بين البناية الجديدة (وودهول) حيث يسكنون وبين دار الكنيسة حيث يدرسون ويستمعون ، اذ يذهبون صباحاً للدرس ويعودون بعدهُ لتناول الترويقة وفي فصل الشتاء وبردهِ وظلام لياليهِ قد يكون هذا الانتقال قبل الفجر والظلام باقٍ والطقس ممطر ، وهذا التنقل يتكرر ظهراً ومساء وعند انتهاء الدرس مساء نأتي من دار الكنيسة وقد أنهكتنا هـذه التنقلات المتكررة. ومما يجدر بالذكر ان التلاميذ يتممون هذه التنقلات دون رقابة المعلمين . وهكذا ساعات الدرس . فانه كان يقتصر عـلى تعيين عريف من التلاميذ المتقدمين وكان اسم عريفنا هذه السنة يوسف جبور من جزين

زيارة مدرسة البنات

كانت الادارة تعمل طرقاً للترفيه عن التلاميذ ازاء الاتعاب المدرسية من ذلك ان رئيسة مدرسة البنات الاميركية مس هربت ادي (مس هكنس) وهي شقيقة رئيس مدرستنا مستر ادي دعت تلامذة مدرسة الصبيان ومعلميها لزيارة مدرسة البنات وانا الخص وصف هذه الزيارة من موضوع انشاء تلوته ساعة الخطابة في المدرسة في ١٢ ت٢ سنة ١٨٨٦ الساعة الرابعة بعد الظهر . لبى التلاميذ والمعلمون دعوة رئيسة مدرسة البنات وذهبوا اليها فاستقبلتنا الرئيسة بلطفها المعهود ولاجل إشغال الوقت جرت ألعاب مختلفة سارة وتخلل ذلك بعض الترانيم وكانوا يطوفون بنا ليرونا غرف المدرسة المختلفة وصعدوا بنا الى السطح المشرف على ابنية المدينة المتلاصقة وعلى البحر كما على بساتين صيدا وجنائنها وعلى الجبال القريبة والبعيدة. ولما اوشكت ان تنتهي الزيارة ولم تبقَ حاجة في نفس يعقوب اتى بطرس – وكيل المشتريات للمدرسة – وبيده قصعة مملوءة نقولات من ملبس وقضامي وزبيب ووزع على التلاميذ وقدموا بعض الحلويات للمعلمين ثم أُديرت القهوة على الجميع . وفي اثناء ذلك سمعنا رنة جرس في الحائط فقالوا هذا التلفون الموصل بين مدرسة البنات وبيت مستر ادي واخبرونا ان مستر ادي يسأل اخته عن التلاميذ والمعلمين وطلب ان يتكلم مع المعلم داود قربان فسأله اذا كان التلاميذ قد شربوا القهوة . وفي الختام استأذنا وودعنا شاكرين

معروف ولطف مس ادي – رئيسة المدرسة – لما اظهرتهُ من اللطفْ وكرم الاخلاق .

السقوط في التجربة

•

وهذه نقطة سوداء ثانية اسجلها على نفسي لتركي مدرسة صيدا كما تركت قبلًا المدرسة الكلية على ان تركي الكلية كان بصورة قانونية لائقة وباجازة من مستر هاردن اما هذه المرة فبهوس صبياني محض وبجهالة . ذلك اني اتفقت مع رفيقي وصديقي عارف طنوس الحلو وخرجنا بعد ظهر السبت من دار المدرسة دون استئذان واتجهنا شمالاً على طريق بيروت بقصد العودة الى البيت ماشين فبلغنا آخر النهار محلة السعديات حيث تعشينا ونمنا . فسببنا بفعلتنا هـذه تعباً وقلق بال لادارة المدرسة اذ ارسلت تفتش علينا في الاسواق والبساتين وارسلت التلغرافات الى بيروت ليفتشوا علينا ايضاً . اما نحن فبعد الاستراحة أفقنا نصف الليل بصفاء الذهن فأدركنا عظم الخطاء الذي ارتكبناه وما تردَّدنا في تلاوة فعل الندامة والعزم على العودة فوراً مهما تعرضنا لهُ من الخجل والملامة وتحمُّل القصاص فعدنا ادراجنا

مشيناها خطىً كُتبت علينا ومن كُتبت عليهِ خطىً مشاها

بلغنا صيدا صباح الاحد فذهبنا تواً وقابلنا المعلم يواكيم الرامي .

فاسمع وتأمّل : ما انتهرنا ولا عبس في وجهنا وما فرض علينا قصاصاً بل اكتفى بالقول : اذهبا الى شغلكما ، ولم يُورِلنا الجميل بهذه المعاملة فقط بل اوعز الى المعلمين والتلاميذ بان لا يكلمنا احد عن قضية هربنا فلهُ وللجميع علينا المنّة والشكر

ولم أرَ كالمعروف اما مذاقهُ   فحلوٌ واما وجههُ فجميلُ

ومن ذلك العهد فصاعداً نسخنا من عقولنا فكرة الحنين الى البيت وانصرفنا بكليتنا الى واجباتنا المدرسية ، وايام المدرسة بما تحملهُ من الواجبات المتنوعة تمرُّ مرَّ السحاب . وكنا نكتب الى اهلنا وتصلنا المكاتيب منهم فتنعش نفوسنا . واتت فرصة عيد الفصح وتفرّق فيها الجميع من تلاميذ ومعلمين اما نحن الخمسة المذكورون قبلًا من حقل طرابلس فبقينا في المدرسة وعطفت علينا الادارة ببقاء المطبخ مفتوحاً لاجلنا . وفي هذه الاثناء طلب مني الرئيس مستر ادي ان اعلّم مدّة الفرصة في المدرسة الابتدائية ليتمكّن معلمها يوسف عمّار من الذهاب الى بلدته ابل السقي . وفي نهاية الفرصة اعطاني ثلاثين غرشاً فرجوت منهُ ان يشترك لاسمي في جريدة النشرة الاسبوعية لسنة وكانت قيمة الاشتراك فيها ثلاثين غرشاً تماماً . لاني كنت مولعاً بالمطالعة من صغري

وبعد العودة من الفرصة دار دولاب الاشغال المدرسية على محوره وابتدأت ايام الحرّ فكنا نعالجها بالاستحمام البحري الذي كان غالباً

يرافقنا فيهِ ويراقبنا الرئيس المترادي وكنا بعد الخروج من الماء ولبس الثياب نذهب ايضاً في رياضة تنزُّه بين البساتين حتى نعود مساء الى المدرسة فنتناول طعام العشاء بكل شهية . وآخر السنة المدرسية وان لم يكن توزيع شهادات صار احتفال نهائي كختام للمدرسة . فتلا بعض التلاميذ خطباً كان نصيبي منها محاورة اخذت فيها جانب العلم الرياضي ضد النحو . ولما انتهى كل شُغل في المدرسة تفرق التلاميذ فعدنا – والعود احمد – الى وطننا واهلنا وكم كان سرورنا في هذه العودة بعد غياب تسعة اشهر وبقينا مدة طويلة نتحدث عن المدرسة ونترنم باناشيد احتفالاتها . وبعدئذٍ صرنا نشتاق الى المدرسة ونرغب في العودة اليها . حقاً قول الشاعر « ليس يرضي المرء حالٌ واحدٌ » وكنا نقضي قسماً من اوقات الفرصة بالتنزُّه وشمّ الهواء

وفي اثناء ذلك زار المشتى الاستاذ جبر ضومط الذي كان وقتئذٍ استاذاً للرياضيات في مدرسة كفتين الوطنية الداخلية التي اسسها بعض وجوه الطائفة الارثوذكسية في طرابلس ورافق الاستاذ في زيارتهِ بعض الاصحاب من برج صافيتا ولما اظهروا رغبتهم في زيارة نبع الشيخ حسن في قرية الكفرون بجوار المشتى حيث المياه غزيرة وشديدة البرد الى درجة كان يقصدها معها من في اجسامهم بثور للاستحمام فيها للاستفادة . فرافقنا الاستاذ المذكور واصحابهُ في هذه النزهة المبهجة التي سُرَّ بها الجميع وتكرَّم بعض الاصحاب من الكفرون بتقديم طعام الغداء للجميع

في ذلك المكان الجميل . وفي آخر النهار ركبنا وعدنا الى المشتى .

ومن حوادث الفرصة اذ زار المشتى المطران غريغوريوس جبارة – مطران حماه – فاستقبله الاهالي باحتفال كبير اطلقوا فيه البنادق وكانت النساء تزغرد اثناء دخوله القرية. وتبارى الناس في دعوته الى ولائم الطعام التي قدمت له فيها خطب الترحيب . وكان لنا حظ في دعوته وتشريفه بيتنا في احدى الدعوات . وفي الامساء كان يجتمع الجمهور لسماع وعظه وارشاده في العراء . واقام قداساً حبرياً في كل من يومي السبت والاحد . وممن زار المشتى مستر مارش كعادته في تفقد مراكز العمل وفي مساء وصوله مارس سر العشاء الرباني في اجتماع في المدرسة . واذ اختبر الناس فوائد التهذيب في المدارس الداخلية تقدم البعض الى مستر مارش يطلبون ادخال اولادهم فقبل منهم سليمان سمعان الحلو ابن عمي وتلميذاً آخر اسمه الياس الحكيم فصرنا بهما خمسة تلاميذ داخليين من المشتى في مدرسة صيدا . وفي اواخر الفرصة حضرت اخواتي الثلاث من المتن وصافيتا الى المشتى كما حضر غيرهن من بنات اعمامي المتزوجات في صافيتا ومرمريتا لزيارة الاهل فسررنا برؤية الجميع والاجتماع بهن . ولم تقتصر زيارة اخواتي على السلام والمشاهدة والدعوات الاهلية الى الولائم بل اهتممن بالمساعدة في الاستعداد للعودة الى المدرسة والمساهمة في تهيئة الحاجات المدرسية . ولما حان وقت افتتاح المدرسة ودعنا الاهل وكم كان مؤثراً توديع اخواتي لنا اذ بقين في المشتى لبعد

سفرنا . وفي سفرنا هذه المرّة كان لنا مقابل اسفنا لفراق الاهل الشوق لرؤية الاصحاب من تلاميذ ومعلمين وسواهم . وقد عانينا مرةً اخرى مشقة السفر الطويل بركوب البغال كالعادة . ولما بلغنا آخر مرحلة واشرفنا على صيدا انتعشت انفسنا . واخيراً ألقينا عصا الترحال في دار المدرسة وسررنا بمشاهدة رفقائنا واساتذتنا

السنة الثانية في مدرسة صيدا الاميركية

●

كانت المدرسة هذه السنة اي من ١٨٨٧ — ١٨٨٨ اكثر تنظيماً اذ ترتّبت الصفوف من الاول الى الرابع وكنا نحن من عداد الصف الرابع مع فارق في اللغة العربية اذ اخذنا المعاني والبيان بدل ابن عقيل الذي اخذهُ سائر رفقائنا من الصف الرابع اما رفيقانا من المشتى سليمان الحلو والياس الحكيم فتعيّنا في الصف الثاني .

فارس بك الخوري

ومن بين التلاميذ الجدد صبيٌّ من بلدة الكفير وسيم الطلعة، قصير القامة ، بسّام المحيّا ، دخل في الصف الاول . واذا استغربت تخصيصي اياه بالذكر فهو فارس بن يعقوب الخوري حسبما دُوِّن اسمهُ في سجل المدرسة

اما الآن وفي سنة ١٩٤٩ فهو الاداري الكبير ، السياسي الخطير ، دولة فارس بك الخوري الذي تولّى رئاسة مجلس النواب ورئاسة مجلس الوزارة في الجمهورية السورية. وهو الذي انتدبتهُ دولة سورية ليمثلها في معضلات السياسة العامة في لندن وواشنطون وباريس والقاهرة وغيرها ويعرفهُ رجال السياسة كما يعرفون بيفن وترومن وتشرشل وغيرهم من مشاهير الساسة العالميين . ومنذ دخولهِ المدرسة الى خروجي منها والصداقة وثيقة العرى بيننا وسيرد ذكره فيما بعد

حالة المدرسة العامة

•

زاد عدد التلاميذ عن السنة الماضية فقد كان الداخليون السنة الفائتة واحداً وثلاثين وعددهم هذه السنة اثنان واربعون . اما المعلمون فزاد في عددهم المعلم عبد الله خوري وتبدَّل يوسف عمار بالمعلم الياس عيد من عينقنية بانياس. اما الحالة السابقة في امر الانتقال من بناء السكنى في (وود هول) الى دار الكنيسة الانجيلية فبقي كل شيء على حالتهِ السابقة. وايام الآحاد كالعادة كنا نحضر الصلاة والوعظ في الكنيسة قبل الظهر ومدرسة الاحد بعد الظهر . وكان حاجز فاصل في الكنيسة بين جهة الرجال وجهة النساء . وكانت معلمات مدرسة البنات والكبيرات من التلميذات يأتينَ من المدرسة الى الكنيسة محجبات . ومن اعمال ايام الآحاد ان بعض التلامذة الغيورين ينتدبون انفسهم للذهاب الى القرى

المجاورة للخدمة الدينية في التبشير والتعليم اما مستقلين بانفسهم او مع احد الاساتذة . وفي مساء الاحد يكون اجتماع روحي في غرفة الدرس يديره الرئيس غالباً ويقدم فيه التلاميذ تقارير عما استفادوه في اجتماع الصباح وعما حدث لهم في زيارتهم للقرى المجاورة .

وانقضت السنة المدرسية بفصولها ودروسها واحتفالاتها على غرار السنة الفائتة . على اني اخصّ بالذكر حدث تاريخي تعلق بآثار صيدا المكتشفة حديثاً الخص وصفهُ من فرض انشاء قدمتهُ عنهُ في حينهِ على اثر زيارتنا لهُ

اكتشاف آثار فينيقية في صيدا

•

كان الفعلة يقلعون حجارة في بستان الشيخ في محلة قيّاعة فعثروا على بعض التوابيت. ولما علم صادق بك قائمقام صيدا وضع حراساً يراقبون المكان واستمرّ الفعلة في الحفر حتى اتصلوا الى مغارة اخرى فيها عدة توابيت ايضاً ولما بلغ خبر هذه الآثار الى استانبول أُوفد حمدي بك مدير المتحف السلطاني الى صيدا ليُخرج هذه التوابيت الثمينة وينقلها الى المتحف السلطاني في استانبول. ففتح نفقاً من مكان اوطأ من ارض المغارة يصل اليها وبواسطة العملة والآلات أُخرجت كلها سالمة الى ارض بستان الشيخ وحينئذٍ سُمح لاهل صيدا او غيرهم بمشاهدتها قبل نقلها الى استانبول. فذهبنا تحت مناظرة الاساتذة لرؤيتها عصر يوم ٢٣ ايار

سنة ١٨٨٨ فتفرجنا عليها جميعاً وتعجّبنا غاية العجب من تلك المصنوعات والنقش الدقيق الذي يكاد لا يصدَّق انهُ صنعته يد انسان. وحجارتها من الرخام الابيض واعظمها تابوت كبير على جانبهِ صور مجسّمة نافرة تمثل نساء على حالات متنوعة . ورأينا على جانب تابوت آخر تمثالين احدهما لهُ راس انسان وجناحا نسر وارجلهُ كارجل الحيوان . ورأينا كذلك تماثيل خيل مذعورة تكاد ترفس بعضها بعضاً وغير ذلك من المشاهد الرائعة . وأغطية التوابيت مزيَّنة كذلك بالنقوش البديعة . وكان يقودنا استاذنا يواكيم مسعود الراسي في تفرُّجنا وسط ذلك الزحام من جماهير المتفرّجين . ثم علمنا بعدئذٍ انهم اكتشفوا تابوتاً اسود لم يُسكب داخلهُ وقد وُجد فيهِ جسد انسان محنطاً، وشاع انهم وجدوا فيه نقوداً ذهبية وشمعدانين من ذهب . ووجدوا على غطاء احد التوابيت كتابة فينيقية أُرسلت صورتها الى العلماء في باريس فحلّوا رموزها وهذه ترجمتها « انا بنت كاهن عشتروت ملك الصيدونيين ابن اشمنصر وكاهن عشتروت ملك الصيدونيين الراقد في هذا القبر اعلن لكل من يريد فتح قبري ان ليس فيهِ ذهب ولا فضة ولا حجارة كريمة ، فاذا تجاسرت واقلقت راحتي لا يكون لك توفيق تحت الشمس ولا يكون لك راحة في قبرك » — فقال حمدي بك لو امر صاحب الكتابة بنقشها على باب المغارة وباللغة التركية لربما فُهم مآلها ولكن كيف يُجاب طلبهُ مع جهلنا الفينيقية لا سيما بعد ان راينا تلك الكنوز . وجرت المدرسة

في اعمالها العادية الى آخر السنة المدرسية . فاحتفلت كالسنة السابقة دون توزيع شهادات وكان نصيبي الترحيب بالجمهور فقدمتُ نظماً حيث قلت

آنٌ سعيدٌ ووقتٌ بالسرور حلا   في قربكم سادتي والحظ قد كملا
أقبل الى سادةٍ قد شرفوا حسباً   اخلاقهم في الملا قد اصبحت مثلا
العزُّ والفخر والامجاد تصحبكم   ما لاح نجمٌ وبدرٌ في السماء علا

وفي ختام الحفلة قرّظها الشيخ مصطفى ابو ريشة من القرعون ومدح المرسلين الاميركان بابيات مطلعها :

بدا العمل المأنوس للنفس إيناسُ   لعمريَ اهلوهُ اراهم همُ الناس

ومنها ايضاً :

على فعل خيرٍ أسسوا جلَّ امرهم   لنفع عموم الناس ما فيهم باسُ
جزاهم اله الخلق اضعاف سعيهم   اموراً بها يصفو بموردها الكاسُ

الفرصة المدرسية

•

وبعد انتهائنا بالاحتفالات واعلان الفرصة الصيفية الكبرى اخذ التلاميذ يستعدون للسفر ويودعون بعضهم بعضاً . وكان بالفكر ان نسافر من صيدا بالباخرة العثمانية ولكنها لم تأتِ لسوء الحظ فاستأجرنا حسب العادة من خيل الاجرة للركوب الى بيروت ، وترافقنا مع الصديق نخله زكا ورجلين يهوديين . فسرينا ليلاً الى ان بلغنا نهر الدامور

فنزلنا في خان هناك ونمنا هزيعاً من الليل ثم قمنا وواصلنا السفر الى بيروت فبلغناها بعد شروق شمس يوم الجمعة وقضينا ذلك اليوم في المدينة فتفرجنا على المطبعة الاميركية وكيفية الطبع وآلاته وصفّ الاحرف وكان وقتئذٍ تحت الطبع العهد الجديد حرف ٣ وكانت النشرة الاسبوعية مهيأة للطبع . وثاني يوم السبت نزلنا الى المينا واذا بالباخرة الحديدية قد رست هناك فاسرعنا وقطعنا تذاكر السفر فيها واتينا باغراضنا ونزلنا في الباخرة التي أقلعت وقت الظهر ووصلت الى طرابلس اصيل ذلك اليوم ، فنزلنا الى المدينة ونمنا فيها وثاني يوم الاحد ذهبنا الى المدرسة الاميركية وحضرنا احتفال مدرسة الاحد ويوم الاثنين استأجرنا دواب الى المشتى فوصلناها يوم الثلاثاء ولقينا انسباءنا واصحابنا بخير وسلامة وسررنا بهم كما سُرُّوا بنا . وكنا نقضي الاوقات كالعادة في استقبال الزائرين وردّ الزيارات لهم والتنزُّهات والرياضة الجسدية . وقد طالعت عدة كتب اشباعاً لرغبتي في الوقوف على حقائق العلوم والتواريخ وهكذا انقضت الفرصة ودنا وقت افتتاح المدرسة .

سفري وحدي الى المدرسة

•

تركت المشتى وحدي غير منتظر سفر رفقائي لان عليَّ شغلاً قبل فتح المدرسة يجب ان اقضيه . فبلغت طرابلس ثاني يوم السفر وعصر ذلك اليوم سافرت في الباخرة الحديدية الى بيروت ورافقني التلميذ ابرهيم خليل زعرور — احد رفقائنا في المدرسة — وكان سفرنا ليلاً وفي الصباح التالي

بلغنا بيروت واذا الجنود والعسكرية مصطفة على المرفإ ومعها الآلات الموسيقية. فسألنا عن السبب فقيل لنا ان الغراندوق سرجيوس والغراندوقة زوجته وشقيقة الغراندوق بولس شقيقي امبراطور روسيا اسكندر الثالث موجودون في البارجة الحربية الراسية في الميناء وسينزلون الى المدينة بعد ساعتين، ففرحنا بهذه الفرصة التي أتيحت لنا لمشاهدتهم وبعد ان نزلنا من الباخرة واودعنا اغراضنا في الخان اتينا الى المكان المنتظر ان يمر به الضيوف العظام، وكانت الجماهير تملأ الساحات والشرفات فتيسّر لنا مشاهدتهم في نزولهم وكان معنا في موقفنا الاستاذ داود فليحان . وكانت ألبسة الضيوف العظام بسيطة فحيّوا الجموع الذين مرّوا بهم وذهبوا الى الحديقة العسكرية بدعوة من علي رضى باشا – الوالي الاول لولاية بيروت الجديدة

وعرّجوا لزيارة الكنيسة الروسية . وتوجهوا ثاني يوم الى بعلبك لمشاهدة آثارها المشهورة ومنها الى دمشق. اما الغرض الذي سبقت رفقائي في المجيء لاجل قضائهِ فهو مقابلة مستر مارش الموجود حالياً في عاليه لطلب ادخال ابرهيم بن خليل الحلو الى مدرسة صيدا ، فذهبت من بيروت الى عاليه حيث تمّت المقابلة وقبول ابرهيم المذكور . فكتبت الى ابيه بذلك لكي يرسلهُ مع التلاميذ الباقين في المشتى وثاني يوم استأجرنا حصانين الى صيدا انا وابرهيم زعرور فوصلناها بسلام وسررنا برؤية الاساتذة والاصحاب .

السنة الثالثة في مدرسة صيدا

•

كانت المدرسة هـذه السنة اي من ١٨٨٨ — ١٨٨٩ مملوءة بالاحداث الهامة . ليس لانها السنة الاخيرة لنا في المدرسة بل مما تجمّع فيها من الامور وهذا اهمُّ ما عنَّ على الخاطر ايرادهُ مقسماً الى اجزاء :

(١) اولها واهمُّها توحيد المدرسة . فقد تمت الامنيَّة التي كنا ننشدها من زمان طويل اذ انتقل الدرس والتسميع من دار الكنيسة الى (وود هول) حيث كانت اقامتنا الدائمة . فاصبحت اشغالنا المدرسية كلُّها في مكانٍ واحد وارتحنا من عناء الانتقال المضّ . ودُشّن هذا الاستعمال في بداءة السنة الجديدة المدرسية .

(٢) الاساتذة في هذه السنة هم : يواكيم مسعود الراسي ونجيب صليبي وخليل سيّدة وجرجس كيال وابرهيم فاخوري وناصيف مسعود الراسي فترى ان اربعة منهم جدد واثنان فقط قديمان ومن الجدد اثنان مجدّدان وهما نجيب صليبي وخليل سيّدة وكلاهما متخرج جـديد من الكلية في بيروت (الجامعة الاميركية)

(٣) التجديد في التسميع ووضع العلامات . قد مضى على بداءة المدرسة نحو سبع سنين والتلاميذ يسمّعون دون ان توضع لهم علامات في دفتر الاستاذ . اذ كانوا يكتفون بوضع علامات للامتحانات النهائية

التي كان اكثرها شفوياً . فانفرد الاستاذان نجيب صليبي وخليل سيدة بوضع علامات للتسميعات اليومية. وكانا في آخر الفصل يراجعان التلاميذ بما درسوه في ذلك الفصل . وكان تلاميذهما يشعرون بروح جديدة في نسق التعليم . واسمح لي ايها المطالع الكريم ان اخصص الاستاذ نجيب صليبي بهذه الفذلكة

الاستاذ نجيب صليبي

•

كان وهو في الصف ذلك الاستاذ الوقور المحترم وفي اثناء الفرص تحسبه تلميذاً او رفيقاً لمخالطته وملاعبتهِ التلاميذ . وقد تبرّع في تعليمنا مثائل خاصة لاننا أعفينا من درس كتاب ابن عقيل الذي حفظناه من سنتين وعيَّنت لنا ادارة المدرسة درسين في علم الفلك مختصراً في كتاب النقش في الحجر ، وهندسة اقليدس لجرجس همام ، فتعلمناهما تحت يد الاستاذ نجيب. ومن ميزاته انهُ قلما يفتح كتاباً وقت التسميع . وكان لي علاقة خاصة بهِ وكان لهذه العلاقة تأثيرها في نسق عملي في المستقبل اذ اتخذتهُ نموذجاً لخدمتي التعليمية . واسمح لي ان اتخطى التاريخ اتماماً لذكر علاقتي بهِ . لم يعد السنة التالية للتعليم في مدرسة صيدا اذ دخل المدرسة الكلية في بيروت لدرس علم الطب . وقد اغتنمت فرصة لزيارته اثناء تلمذتهِ وكان في غرفتهِ الخاصة يستعدّ لدروسهِ الهامَّة فوضع الكتاب جانباً وانصرف لمؤانستي فاختصرت الزيارة اذ لم اشأ اضاعة

وقته . وبعد ان اتمَّ دروسهُ الطبية بنجاح ، هاجر الى الولايات المتحدة لزيادة التخصّص . ولما علمت حكومة الولايات المتحدة ما هو عليه من المهارة وحسن الادارة عيَّنتهُ معاوناً لحاكم جزر الفيلبين . وهناك اهتمَّ بوضع قواعد للغة الاهالي وأرسل لي الى صيدا لما صرت معلماً فيها – نموذجاً مما وضعه . وقالت جريدة النشرة الاسبوعية عنه صفحة ١٩٤ من سنة ١٩٠٣ ما نصّه : « ومن اخبار اميركا ان جناب الدكتور نجيب صليبي حسّن لغة السكان في جزر صندانا التابعة للفيلبين ففرحوا بذلك واكرموه كثيراً فاقامته حكومة اميركا معاوناً لحاكم بلادهم وجعلت راتبهُ ٣٠٠٠ ريال اميركي في السنة ونحن نفرح له ونهنئهُ » ولما زار الوطن مع زوجتهِ زارنا في صيدا فسررنا برؤيتهِ جداً .

(٤) انضمَّ الصف الرابع الى صفنا الخامس في المسائل على ان يعود السنة القادمة فيدرس مسائل الصف الرابع اقتصاداً في المعلمين

(٥) كنا خمسة في الصف المنتهي وهم حبيب صبحية من بلاط وفارس نقولا من شبعا ونسيم وانيس الحلو من مشتى الحلو ويوسف حنا من مجدلونا وهؤلاء الخمسة نالوا الشهادات المدرسية في حفلة رسمية آخر السنة وهذا تمَّ لاول مرة في تاريخ المدرسة

(٦) أعطيتُ صفاً من التلاميذ الاحداث علمتهم مبادئ علم الصرف

(٧) كان عدد التلاميذ الداخليين ثلاثة واربعين كالسنة الفائتة بزيادة واحد فقط . وباسف اذكر ان رفيقنا عارف انطونيوس الحلو لم

يعد هذه السنة الى المدرسة لتكملة دروسهِ كما ان الياس الحكيم من المشتى لم يعد ايضاً الى المدرسة

(٨) عُينت عريفاً للتلاميذ اما عريف السنة الماضية فكان مسعود قربان. وواجبات العريف ان يراقب التلاميذ كل اوقات الدرس ليلاً ونهاراً وان ينوب عن المعلم في غيابه وان يضع علامات لسلوك المقلقين للنظام من التلاميذ. وكل اسبوع يأتي المعلم يواكيم ومعهُ الطبشة المشهورة ويجازي اصحاب العلامات حسب العدد ونوع الذنب وتكون الشدَّة او الرفق في ضربات الطبشة على راحة الكف « فيجازى فاعلٌ ما قد فعل »

(٩) تعلّم المنتهون من الصبيان والمنتهيات من البنات معاً كصفٍ واحد فنّ التعليم في كتاب « اغلاط في التعليم » ترجمه عن الانكليزية الاستاذ داود قربان فكان يلقيهِ املاء على صفنا الممتزج في غرفة المائدة من مدرسة البنات ثم نسمّعه لهُ

(١٠) كانت الحفلة النهائية مساء الثلاثا في ٩ تموز في دار الكنيسة ودُعي الاستاذ العالم ابرهيم الحوراني لتقديم الخطبة البكلورية المنتهين وكان موضوعها (الخير الاعظم) وقدّم اخي انيس قصيدة من نظمهِ وصف بها مشائل الدروس في المدرسة نالت الاعجاب وبعضهم حفظوا صورتها ومطلعها :

دع عنك ذكر للمنزلِ   والدار بعد ترحُّلِ

وبعد ان مرّ على القصيدة ٥٠ سنة طُبعت في جريدة المدرسة (ثمرة الفنون) . وكان نصيبي الخطبة الوداعية . وبعد نهاية كل شيء ودعنا الجوع والربوع وذهبنا كل واحد لبلدته. ولما ودّعت بيت المعلم يواكيم الذين كان لي علاقة صداقة متينة معهم قالوا لي في وداعهم انشاء الله ترجع الى صيدا معلماً (١)



(الخمسة المنتهون)

(١) وكأنهم تنبأوا فقد تركت صيدا تلميذاً سنة ١٨٨٩ وعدت اليها معلماً سنة ١٨٩٥ ولكن يا للاسف لم يبقَ المعلم يواكيم في صيدا الا سنة واحدة بعد مجيئي فقد تركها سنة ١٨٩٦ ليخدم كنيسة ابل السقي .

الحالة الروحية في المدرسة

•

وفيما نحن نودع المدرسة نلتفت بنظرة اجمالية الى الحالة الروحية اثناء سني المدرسة التي قضيناها في تلمذتنا . مما لا مرية فيه ان مدرسة صيدا الاميركية مؤسسة كغيرها من المؤسسات التبشيرية التي تديرها المرسلية الاميركية وليس المعنى انها تهاجم المذاهب الاخرى غير الانجيلية فتغتصب منها باقتناصها الطلبة بشتى الوسائل المغرية لتضمهم الى حظيرتها . وها انا اروي لك الذي عرفته عن الغرض الاصلي في تأسيس هذه المدرسة . ان الفكرة الاساسية في انشائها هو اعداد معلمين وقادة روحيين للخدمة في المراكز المحتاجة . وانما تبنّت هذه الفكرة لاقفال مدرسة عبيه التي كانت تقوم بهذه المهمّة . وعليه فانك تجدها في السنين الاولى من تأسيسها تختار الشبان الذين تتوسّم فيهم الجدارة لهذه الخدمة . ومن النادر جداً انهُ كان يدخلها تلاميذ من غير المسيحيين . فقد اختبرنا نحن في السنوات الثلاث التي قضيناها في المدرسة انهُ لم يكن في عداد تلامذتها الداخليين غير ثلاثة طلاب من الدروز واحد اسمهُ ملحم شمس من غريفة . والثاني من الشويفات اسمهُ فندي ملحم، وكان بيني وبينه علاقة صداقة . وفي السنة الثالثة عاد فندي المذكور الى المدرسة واتى من المسلمين اربعة تلاميذ وواحد درزي . فهؤلاء هم الذين دخلوها مدة السنين الثلاث . وكانت الترتيبات الدينية تجري بجرية لكل التلاميذ على السواء دون استثناء .

قلنا ان الطلب كان قليلاً جداً من غير المسيحيين في المدرسة السنين الاولى ، وهذا غير ناتج عن تعصّب ديني لدى مسلمي صيدا بل لقلة الرغبة في طلب العلوم العالية ولهذا كان العدد الاكبر منهم امّيين ولسدّ حاجاتهم في الكتابة والحسابات كانوا يستخدمون اناساً من المسيحيين . فقد كان جبور افندي كاترون الماروني كاتباً ومحاسباً للوجيه الثري علي افندي عسيران زعيم طائفة الشيعة في صيدا . واعرف رجلاً من طائفة الروم الكاثوليك اسمهُ الخواجا رفول الزهار كان يمسك حسابات ومراسلات كثيرين من اصحاب المتاجر والمصالح المسلمين من اللحّامين والبقالين وغيرهم فينتقل من حانوت الواحد الى الآخر ليقيّد حساباتهم .

اما الوعظ في الكنيسة فكان يقوم به القس ادي وفي غيابه ينوب عنه المعلم يواكيم . اما الذي امتاز بموهبة الوعظ فهو القس جورج فورد الذي اخذ لقب دكتور في اللاهوت . وكنا من عظم تاثرنا من وعظهِ نتمنى ان يطوّل اكثر . وعدا هؤلاء كان يزور صيدا بعض القسوس والمبشرين والسياح وغالباً يُدعون للكلام في المدرسة او للوعظ في الكنيسة . وقد وعظ مرةً في الكنيسة مساء الاربعاء القس سليم الحكيم راعي كنيسة حاصبيا في موضوع « يا حارس ما من الليل ؟ » (اش ٢١ : ١١) فاجاد حتى خلب الالباب باسلوبه الجذّاب والافكار الروحية التي كان يلقيها على اسماعنا . وعلى ذكر تأثير الوعظ اروي هذه النادرة : سألني احد اصدقائي من التلاميذ يوماً اذا كنت صرت انجيلياً من

المواعظ المتكررة في الكنيسة والمدرسة . فاجبته كلاّ فلم يدرك مرادي لاني كنت بافكاري واعتقاداتي انجيلياً قبل مجيئي الى المدرسة . بيد اني التذُّ واستفيد من استماع المواعظ . ولا تقلُّ فوائد مدرسة الاحد عن وعظ المنبر . وكان يرأسها غالباً المعلم يواكيم . وفي السنة الاخيرة أعطيت صفاً في مدرسة الاحد . وفي الاسبوع الاول من العام تُقام الصلاة الجمهورية في الكنيسة في الصباح بصورة بسيطة وفي مساء كل يوم يكون وعظ رسمي وصلوات للجمهور وللتلاميذ على غرار اجتماع الاربعاء مساء . انما كانت لمواضيع معينة ومطبوعة تشترك في استعمالها الكنائس الانجيلية عامةً .

من التلمذة الى التعليم

•

كنا قبل نهاية السنة الاخيرة المدرسية قد تعرفنا بمرسل اميركاني جديد لحقل طرابلس بدل القس هاردن الذي مرّ ذكرهُ اذ انتقل من طرابلس الى سوق الغرب وتسلّم رئاسة مدرسة السوق الداخلية . واسم المرسل الجديد القس وليم نلصن وهو شقيق مسز وليم ادي رئيسنا. قلنا اتى الى صيدا لزيارة اختهِ وزوجها فطلب ان يقابل تلامذة حقل طرابلس فاجتمعنا بهِ وسررنا بمقابلته وسألنا عن دروسنا ووطن كل واحد منا . وكان هذا التعارف مقدّمة لعلاقة الشغل في المستقبل وصداقة شركة لخدمة سنين طويلة

بعد عودتنا من المدرسة الى المشتى كنا ظافرين غانمين لاننا نحمل الشهادات المدرسية التي صنعنا لها حافظة من التنك . وكل من زارنا وهنأنا بها نريه اياها . والامر المستغرب في شهادات صفنا انها غير مماثلة الا في الاسطر الاولى المطبوعة وبعدها تذكر اسماء المثائل التي حفظها التلميذ ويوجد اختلاف في هذا بيننا ولم يتماثل الا شهادتي وشهادة اخي انيس. في اثناء الصيف وصلني مكتوب من القس نلصن (الذي سندعوه من الآن فصاعداً دكتوراً لانهُ مُنح هذا اللقب) يقول فيه اني تعيّنت معلماً لمدرسة بشمزين في الكورة بمرتب ١٧٥ غرشاً في الشهر واخبرني عن وقت فتح المدرسة . وقد لاحظت ان احد انسبائي المتنفذين لم يرقهُ ان اصير معلم اولاد حاسباً ذلك حطّة في مقامي .

ولما هيأت نفسي في الوقت المعيَّن وسافرت من المشتى قاصداً بشمزين سأل هذا النسيب اخي الياس أبارادتك كان سفر اخيك ؟ فاجابهُ بالايجاب وانقضت المسألة. ولما وصلت الى طرابلس وجدت كتاباً آخر من الدكتور نلصن موجهاً لي ينسخ فحوى الكتاب السابق ويسألني ان اذهب الى حمص لاعلّم في مدرستها مكان المعلم جرجس الخوري المقدسي الذي تعيّن لمدرسة مرمريتا في الحصن . وعبارة الكتاب : اذهب الى حمص وهناك المعلم جرجس يخبرك ماذا ينبغي ان تفعل » فحوّلت وجهي شطر حمص وقطعت تذكرة سفر في حنطور (داليجنس) الشركة الوطنية وثاني يوم سافرت وكنت الوحيد من الركاب ذلك اليوم . وعلى الطريق

توجد محطات لتبديل الخيل واحسن بدل ما يخرج من المدينة وما يدخل اليها . وحينما وصلنا الى حمص آخر النهار وجدت المعلم جرجس المقدسي منتظراً بريد طرابلس ليعرف ما آل اليه امرهُ من النقل او البقاء . ولما سأله احد اصحابهِ عن النتيجة اجابهُ متمثلاً بقول ابن الوردي « لا تعاند من اذا قال فعل » . وهناك استقبلني الاستاذ المذكور استقبال الصديق وثاني يوم سلمني المدرسة واخذت منهُ بعض تعليمات عن الشغل ومن ذلك الحين توثقت الصداقة المتينة بيني وبينه ولم يلبث طويلاً حتى سافر الى مرمريتا واورثنا تختهُ الخشبي المؤلف من عشرة صناديق خشب فراغات صفائح البترول بثمن زهيد فوضعت فراشي عليهِ ، وكنت قد احضرت لحافاً واحداً ولما قاسيت اهوال البرد ليلاً التزمت ان انشر قسماً من ثيابي فوق اللحاف حتى استطعت الرقاد فاسرعت في طلب لحاف ثانٍ من المشتى فلم يبطئوا في ارسالهِ . وحُلّت المشكلة الاولى . اما المشكلة الثانية فهي الماء لاني لما شربت منها عفت طعم القطران وشكوت الامر لجيراني فقالوا هل اقامتك طويلة ؟ اجبت نعم لآخر السنة قالوا اذاً اشرب الماء وبعد قليل تعتاد عليها . والسبب ان مياه الشرب في حمص تنقل على ظهور الحيوانات في قرب من جلد يدهنونها بقطران حتى لا تسرع الى الفساد فيدور البائع على بيوت عملائهِ ويُعلن خبر قدومهِ وهو سائر منادياً بقولهِ (عبّي) فيأخذ الواحد لزومه ويذخره في خابية خاصة . وهم يضعون وعاء تحت الخابية يحفظ ما

يقطر من الماء الصافي الخالي من الطعم فعملنا كما يعمل القوم وانحلت المشكلة الثانية

المعلم نسيم الحلو

•

ها انا في عالم جديد وحالة جديدة وواجبــات جديدة . نعم اننا تعلّمنا في المدرسة كتاب فن التعليم فرأينا الاساتــذة يعلّمون الصفوف ولكن العلم شيء والعمل شيء آخر والتطبيق غيره . وبالتدريج اخذت آلف العمل الجديد . لم تكن المدرسة كبيرة في عدد التلاميذ الذي لم يتجاوز الاربعة والثلاثين لان لها مناظرين اقوياء فمدارس مطران الروم الارثوذكس الكثيرة التي بذل المطران مجهوده في انشائها وكانت تدرّس اللغة التركية – لسان الدولة الحاكمة – واللغة الافرنسية فضلاً عن العربية وعلومها. كما انهُ يوجد مدرسة لليسوعيين تدرّس الافرنسية والعربية . اني اعترف بارتكابي أخطاء كثيرة في بداءة ممارستي التعليم ولكني كنت اتعلم من الاغلاط واحاول تجنُّبها في المستقبل. وكان عندي في المدرسة تلميذ من الصف المتقدّم عاقل وهادئ ومجتهد اسمهُ حافظ فارس عبود وقد تقدّم ودرس في صيدا وتعلم الـلاهوت وسيم قسيساً لكنيسة حمص في آخر ايامهِ وكان وهو كبـير ابيض اللمّة يناديني المداعبة يا معلمي ..

اما موقع المدرسة فكان في بيت محرَّم قرب الكنيسة الانجيلية لا يفصلها سوى شارع ضيّق مرصوف بالحجارة السودا. اما موقع مدرسة البنات الانجيلية فكان ضمن دار الكنيسة ومعلمتها اجيا يازجي من*محردة (هي الآن زوجة القس حنا خباز) . اما قسيس الكنيسة فكان قبل مجيئي الى حمص يوسف بدر فنُقل الى رعاية كنيسة بيروت الانجيلية وَوُكل الى المعلم يواكيم مسوح امر القيام بخدمة الكنيسة موقتاً وقد خدم مدرسة حمص الانجيلية سنين عديدة . وكان للانجيليين مدرسة ثالثة للصبيان في محلة الحميدية يعلّم فيها مخائيل صافي ولهُ اخ اسمهُ ابرهيم ، وقد نزحا مع عائلتيهما من برج صافيتا وسكنا في حمص . فصار هذان الاخوان من اصدقائي المخلصين . اما المعلم يواكيم فكان يؤانسني وقلّما كان يتداخل في سياسة المدرسة .

كانت خدمة المعلم يواكيم موقتة وكانوا يفتشون على قسيس رسمي يحل محل القس يوسف بدر . فوقع اختيارهم على المعلم مخائيل مرهج وقرَّ رأيهم ان يطلبوهُ من المرسلين وهو خادم كنيسة جديدة مرجعيون ، ولهُ شخصية بارزة في مركزهِ كما ان لهُ اخاً وجيهاً في حمص هو حبيب افندي مرهج . ولما كتبوا صورة الطلب تلاها المعلم يواكيم امام الشعب من منبر الكنيسة كما تلا جوابها لما اتى . ومما اذكرهُ في مكتوب جواب المرسلين لكنيسة حمص ما مفاده : ان المعلم مخائيل مرهج منفصل بكنيستهِ الجديدة عن التعاون في العمل مع المرسلين وعن مجمع مشيخة

صيدا . نعم ان كنيسة حمص حرة ان تختار الشخص الـذي تريده قسيساً لها كما وان المرسلين احرار في مساعدة الكنيسة التي يريدونها . ووقفت المسألة عند هذا الحد . وبقي المعلم يواكيم واعظ الكنيسة الى ان اختاروا المعلم اسكندر حداد من جديدة مرجعيون بعـد انتهاء خدمتي في حمص .

اما كنيسة حمص فكانت عامرة باعضائها الغيورين واجتماعاتها الروحية في البلد صباحاً كان الوعظ في الكنيسة وعصراً في حارة الحميدية حيث المدرسة الابتدائية . ووجدت عند ذاك جمعية دينية عرفت باسم (نور الهدى) مؤلفة من نخبة شبان الكنيسة كان يجتمع اعضاؤها في الكنيسة برئاسة داود فارس عبود (اخي القس حافظ عبود الاكـبر) ويقوم الاعضاء بخدمة الاجتماع بالمناوبة واعتادوا ان يقيموا لها حفلة ادبية آخر السنة يدعون اليها وجوه المدينة . والمتولي بالخطابة وتدبير الخطباء كان معلم المدرسة جرجس الخوري المقدسي . فصار لزاماً ان يقوم المعلم نسيم الحلو بهذه المهنة فرتبت محاورة حول الموضوع: « أحالتنا الحاضرة متقدمة ام متأخرة » وُكل امرها الى عضوين هما سليم نفش ورستم رستم والقيت خطبة في « البدائع في حكمة الصانع » وفي الختام قرّظهـا الاستاذ الكبير انيس سلوم واعظ كنيسة حماه الانجيلية بهذين البيتين

جمعيةٌ ادبيّـة دلّت عـلى ان التقدّم ظـاهرٌ لا يُجحدُ
كشفت مباحثها شموس الحق في خطب كعقد الدرّ بل هي اجودُ

اما الحالة الروحية في الكنيسة فكانت مرضيّة ومرموقة في النشاط الروحي والغيرة الدينية واقيمت اجتماعات مساء الاربعاء في البيوت قرئت فيها بعض الكتب الدينية المفيدة وتذاكر المجتمعون في مواضيع روحية. ولم يكونوا محتاجين الى من يحثهم لحضور الاجتماعات الروحية . وكان من اعمال جمعية نور الهدى الذهاب للتبشير في القرى المجاورة التي على مرور الزمان واحتكاك اعضاء الكنيسة بهم تأسست عندهم كنائس انجيلية جديدة . وبوجود الاستاذ انيس سلوم في حمص دُعي للوعظ في الكنيسة فالقى عظة نفيسة موضوعها « وُزنتَ بالموازين فوُجدتَ ناقصاً » (دا ٥: ٢٧) . ومما اذكرهُ من شواهد الرغبة الدينية انني وانا راقد في غرفتي صباح الاحد اتى لزيارتي بعض الاخوة من القرى المجاورة فايقظوني وطلبوا مني ان اقرأ لهم في الانجيل . واسمع هذه النادرة عن غيرة بعض الاخوة في حمص . انهُ كان في احد الاجتماعات المسائية الاخ جرجس المكاشي وتأخر الاجتماع ولذلك تأخر في العودة الى بيتهِ وكان محظوراً ان يمشي احد ليلاً في الشارع بعد الساعة التاسعة دون مصباح . ولم يكن مع الاخ جرجس مصباح في تلك الساعة المتأخرة من الليل فامسكه البوليس وقاده الى السجن . ومن يكون اهل السجون الأ المغضوب عليهم وغير المرغوب فيهم فاتخذها الاخ جرجس فرصةً سانحةً ليبشرهم بالانجيل ففتح انجيله الذي لا يفارقه واخذ يقرأ لهم فسُرَّ البعض وضجر الآخرون ، ودعوا السجان يلتمسون منهُ ان يخرج هذا الذي

فاطلقهم قائلين السجن ليس للقديسين حينئذٍ اطلق سراحهُ بعد تحذيره من مخالفة القانون بالسير ليلاً دون مصباح .

اما من حيث المعيشة فاني كنت غالباً آكل في السوق وقلما كنت اهيّىء لنفسي الطعام . واحياناً كنت استعين بجارتنا ام سليمان (وهي حماة الاخ جرجس المكاشي المذكور) فتطبخ لي ما يعسر عليَّ معالجتهُ . وجاء من المشتى ابرهيم خليل الحلو الذي لم يعد الى مدرسة صيدا وكان قصده ان يتعلم اللغة التركية في مدرسة مطران الروم وكان ساكناً معي وفي اثناء وجودهِ حدث لنا حادث مخطر في سيرانا على ضفة العاصي في مكان يُدعى ضهر القصر وكنا وحدنا فخطر لنا ان نسبح في النهر ونحن متمرنان على سباحة الانهر وشاقنا ان رأينا المياه كانها ساكنة — ذلك لانها محجوزة فوق المطحنة فخلعنا ثيابنا ونزلنا الى الماء وكنا نلهو هنا وهناك . ثم انتبهنا الى انفسنا واذا بنا بعيدون عن مكان ثيابنا ومقتربون من المطحنة ، فاسرعنا في العودة فوجدنا مشقة في الرجوع وبالجهد وصلنا الى حيث كانت ثيابنا فلبسنا وتعشينا ثم عدنا ادراجنا الى البيت . ولما روينا قصتنا على الناس قالوا قد نجاكما الله من خطر دائم لان في الوصول الى قرب المطحنة حيث يندفع الماء بشدة زائدة مخاطرة ومجازفة لان الماء يجذب المرء بقوة فائقة اذ انه يستخدم لادارة الطاحون ويتعذر على من يقترب اليه الافلات فخفنا بعد زوال الخطر وحمدنا الله على السلامة .

حادث جرس الروم الارثوذكس

●

وحدث حادث خطير اثناء وجودنا في حمص وهو ان مطران الروم الارثوذكس اثناسيوس عطاالله مع وجوه طائفته عزموا ان يعلقوا جرساً للكنيسة على عيد الفصح وكان هذا خرقاً للعادات المألوفة لانهُ محظور عليهم وعلى غيرهم من المسيحيين ان يقرعوا جرساً او ناقوساً لدعوة الناس الى الصلاة، ولذلك كانوا يعتمدون على ساعاتهم في الذهاب الى الكنائس. ولما درى القوم هاجوا وماجوا وخُشي حدوث ما لا تُحمد عقباه. فجرت مفاوضات بين المطران والقائمقام حتى اتصل الامر الى دمشق فتفاوض البطريرك ووالي سورية في هذا الشأن. وبعد الاخذ والردّ جاءت اشارة من البطريرك الى المطران بان ينزل الجرس الذي رفعهُ فانزلهُ ولكن باسف وحزن عميق وانقلبت افراح العيد الى كآبة. (اما بعد ما تركت حمص ودار الزمان دورته فقد عاد فارتفع جرس كنيسة الروم وسائر كنائس المسيحيين في حمص).

خميس المشائخ

ويجري في حمص حفلة دينية كل سنة عند السادة المسلمين والامر الغريب ان الحفلة الاسلامية تتبع حساب الطائفة المسيحية في تعيين وقتها أعني بها اقامتها يوم الخميس من اسبوع الآلام السابق عيد الفصح على

حساب الروم الارثوذكس فيجتمع فيه المشايخ من المدينة وضواحيها ويأتي جمهور غفير من الناس منهم للاشتراك في الحفلة ومنهم للتفرج عليها . فيركب المشايخ على الخيل ويسيرون الهوينــاء تحفُّ بهم تلك الجماهير المزدحمة فيقيمون اولاً صلاة الصبح في جامع بابا عمر ، ومنهُ يتجهون صوب حمص قاصدين مقام سيدي خالد . وماذا اقول عن الجموع المتراصّة بعضها جانب بعض يحتكّ الكتف بالكتف فيملأُون الساحات والطرق والشرفات والسطوح . والنــاس يمشون وئيداً محيطين بالمشايخ الذين يبدون حركات تدلُّ على الحماس الديني . ولكن مع كل هــذا يبقى النظام محفوظاً لا احد يزعج الآخر او يعتدي على غيره وتستمر الحال على هذا المنوال الى آخر النهار فتتفرق الجموع بسلام كلٌّ في حال سبيله .

عظتي الاولى ودخولي عضوية الكنيسة

•

انحرفت مرةً صحة المعلم يواكيم مسوح واعظ الكنيسة فطلب مني ان انوب عنهُ في خدمة المنبر صباح الاحد وكانت هذه المرة الاولى التي وعظت فيها من منبر الكنيسة . فاتخذت موضوعي من (يو ١٤ : ٢٧) « سلاماً اترك لكم سلامي اعطيكم ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا » ولم تزل الورقة المكتوبة فيها العظة محفوظة عندي .

وقبل نهاية سنة المدرسة طلبت من عمدة كنيسة حمص الانجيلية

الدخول في عضوية الكنيسة لحضرت امام العمدة الفاحصة في اجتماعها وجرت سؤالات ومذاكرات لم يبقَ في حافظتي منها سوى سؤال من احد اركان العمدة قال : نحن لا نعلم ولكن انت تعرف ان كان لك غاية شخصيَّة في الانضمام الى عضوية الكنيسة . خنقت في داخلي لهذا السؤال ولكني كنت حينئذٍ في حال مفتوح معها باب المسامحة واسعاً فسكتُّ . والشيء بالشيء يذكر فاني بعد عودتي الى البيت في المشتى وكان قد ذاع خبر اشتراكي فزارني للسلام عمي سمعان وكان متعصباً بعقيدتهِ الارثوذكسية . واول ما فاتحني بهِ بعد السلام قولهُ (يا ابن اخي ما بيعطيك الاميركان هالكم غرش حتى تشترك معهم) . قلت في فكري وهذه دفعة اخرى من جنس دفعة جلسة العمدة في حمص الا اني لم احجم عن الجواب هذه المرة فقلت لهُ (صدّقني يا عمي اني ما اشتركت الا وانا عازم ان اترك التعليم والغروش التي آخذها من الاميركان) . حينئذٍ تأثر تأثراً شديداً وشعر بحزن عميق وقال: اذن اشتركت محبة بالاشتراك وقام حالاً دون ان ينتظر مني جواباً آخر وذهب غاضباً . والواقع انه كان بودي حين عدت الى البيت ان اتعاطى اعمالي الخاصة .



كتاب المجموعات المدرسية

●

وعلى توالي السنين الثلاث التي قضيتها في مدرسة صيدا كنت احمل دفتراً يشبه المفكرة ادوّن فيه ما اراهُ مفيداً ومهماً من التعاليم والمواعظ والاشعار ولما صرت معلماً في حمص نسّقت هذه المقتبسات في ابواب وفصول على صورة كتاب واهديته الى القسين وليم ادي وجورج فورد فقبلاهُ وجاءني جواب منشط من القس ادي مؤرخ (٣٠ ك٢ سنة ١٨٩٠) قال « ومما زاد سرورنا الكتاب الذي قدمتموه لنا بخطكم الذي يدلُّ على ثباتكم وحسن اجتهادكم » (ولا يزال الكتاب والمكتوب محفوظين عندي) .

السنة الثانية في حمص

في هذه السنة ١٨٩٠ اخذ سليمان ابن عمي سمعان المار ذكره شهادة مدرسة الاميركان في صيدا فعيّنهُ المرسلون معلماً في مدرسة حمص وعينوني انا في مدينة حماه . هكذا وضعوني تحت الامر الواقع . فجاء اليَّ سليمان يسألني ان ابادلهُ المركز فيكون هو في حماه واكون انا في حمص

والسبب لهذا الطلب ان امّ سليمان من حماه وله هناك انسباء ويستعين بهم في تدبير معيشته ويُسر بمعاشرتهم . فأجبتهُ بالقبول بشرط تسوية المسألة مع المرسلين . فاجابوه الى اقتراحه وتمت المبادلة . ولما عدت الى حمص وجدت ان مركز المدرسة انتقــل من دار محرَّم في جيرة الكنيسة الى دار ملك المعلم يواكيم مسرح . وكان يسكن في جانب منها انيس الحصني ابن اخت المعلم يواكيم هو وعائلته . وكانت المدرسة تشغل غرفة كبيرة ولا يبعد هذا المركز كثيراً عن القــديم . وتعيَّن لسكناي غرفة في دار الكنيسة في الطابق الارضي سعتها اكثر من اللازم ولم ترق حالتها لي اذ وُجدت غرفتان علويتان في دار الكنيسة أبقيتا لنزول المرسلين فيهما حين زيارتهم لمدينة حمص ولذلك لم يمكن تعيين واحدة منهما لسكناي . ولما رأيت في دار المعلم يواكيم غرفة ملائمة للسكنى فضلاً عن انها بقرب المدرسة سألت المعلم يواكيم ان يؤجرني اياها فقبل وعيَّن القيمة مئتي غرش في السنة وهي تساوي قيمة مرتبي الشهري الجديد فاتفقنا على ذلك وأدَّيت له الاجرة مني وانتقلت باغراضي اليها . ولما جاء الدكتور نلصن ليقوم بزيارته العادية الى حمص عرف قصة الغرفة من المعلم يواكيم فارجع لي الاجرة التي اعطيتها المعلم يواكيم وسوى المسألة بالتي هي احسن .



مُرسلا البدو ڤانتسل وهوج

•

كنت قد تعرّفت السنة الماضية في حمص بمرسل اميركاني لغير جمعية المرسلين الذين ننتمي اليهم نحن . وكان تحت ادارة جمعية انكليزية وعملها خاص بين البدو واسم المرسل ڤانتسل . ذهب هذا في الصيف ليأتي برفيقة له زوجة فعاد بها هذه السنة وبمرسل آخر انكليزي اسمهُ جون هوج مع زوجته ايضاً . وكنت انا والمعلم مخائيل صافي وغيرنا قد أوصينا مستر ڤانتسل ان يجاب لكل واحد ساعة جيدة وان يهتمّ بدقتها وضبطها لا بظرفها وجمالها . فجلب لنا الساعات حسب المطلوب ولم يتجاوز ثمن الواحدة احد عشر ريالاً (مجيدياً) فشكرنا لهُ معروفهُ . وسكن هذان المرسلان في حي من اطراف المدينة يُدعى البرّية . واضطرت زوجتاهما ان تتحجبا في خروجهما من البيت كعادة السيدات الوطنيات لتشدّد الاهالي في المحافظة على التحجّب وعملتا ذلك بمشورة الاصدقاء . وكانت لنا علاقة صداقة وزيارة مع كلتا العائلتين . وقد ارتبطت علاقة صداقة خاصة بيني وبين مستر هوج واتفقنا على اني اعطيه من وقت فراغي نصف ساعة كل يوم اعلمه فيها اللغة العربية وان يعطيني هو مقابلها نصف ساعة يعلمني فيها اللغة الانكليزية لاني لم اتعلم شيئاً منها في مدرسة صيدا ولكني تعلمت قليلاً بمساعدة نسيبتنا وصديقتنا

المعلمة جميلة الحلو احدى خريجات مدرسة البنات الاميركية في طرابلس. وكانت تدير مدرسة الانجيليـة للبنات في المشتى تحت ادارة مرسلي طرابلس وكنت اتبادل معها مبادلتي مع مستر هوج اعطيهـا درساً في النحو وتعطيني درساً في الانكليزية . ولم تكن استفادتي للانكليزية مع مستر هوج مقصورة على ضبط اللفظ ساعة التسميع بل كانت بالاكثر بالتمرن على التحدث في الانكليزية معهُ ومع زوجتهِ ولم اكن حينئذٍ ذلك الجبان الذي يخشى الكلام المكسَّر وارتكاب الاغـلاط . زد على ذلك ان مسز هوج كانت تساعد الفقراء في معالجة امراضهم البسيطة فكنت لها ولزوجها بمثابة ترجمان . واحسب اني استفدت كثيراً بهذه الطريقة في اللغة الانكليزية . واتمنى لو طالت المدة لاحصل على فائدة اوفر . ويعجبك اني لما تركت حمص كتبت لمستر هوج كتاباً باللغة الانكليزية ملآناً بالاغلاط وكان هذا اول وآخر كتاب من نوعه .

نعود الى سنتنا الثانية في حمص فكان في المدينة صيدلي ايطـالي يتعاطى مهنتهُ الصيدلة مدة سنين طويلة وقد خلع القبعة ولبس الطربوش تقرُّباً من الاهالي . وكان يتكلم بعربية مكسَّرة فكان لهُ اصدقاء من السكان لطول مدة اقامته بينهم . وقد حذَّر هـذا الصيدلي الوطنيين من كثرة التردُّد على المرسلين ڤانتـل وهوج ومعاشرتهمـا واوصاهما ان نبلغهما ان عيون الحكومة تراقبهما وبخـاصة في سفراتهما وزياراتهما لقبائل البدو في البرية حيناً بعد آخر . وليست هذه المراقبة

عن تعصُّب ديني فحسب بل خشية ان يكونا من جواسيس الانكليز.

وفي هذه المدة تعرفت بالاستاذ حنا خباز لانهُ في مدة وجودي في حمص كان غائباً عنها يتعلم في مدرسة صيدا الاميركية فعاد من المدرسة ونحن في حمص فتوثقت عرى الصداقة بيننا منذ ذلك الحين .

تركي حمص بسبب الوباء

•

لم تطل كثيراً مدة اقامتي في حمص هذه المرة اذ شاع خبر تفشي وباء الكوليرا ووصولهِ الى حماه . وابتدأ الناس ينزحون هاربين من المدينة خوفاً منهُ وشرعت الحكومة تقيم (الكردونات) لمنع سريان الوباء . وكنا نحن من فئة النازحين . وليس السفر في احوال مثل هذه سهلاً فرافقت قافلةً من تجار المشتى عائدين الى بيوتهم . ولما وصلنا الى احد المخافر العسكرية اعترضوا سبيلنا ومنعونا من متابعة سفرنا وقصدوا ان يأخذونا الى مخفر الضابط الاعلى لينظر في امرنا . وفيما هم سائرون بنا مرُّوا في قرية شين ، فثار اهل القرية وقاموا لنصرتنا ، واقفين في وجه العسكر . فغلب هؤلاء على امرهم وتركونا وذهبوا يخبرون بما جرى لهم . اما نحن فلما اظلم الليل شكرنا الاهالي واستأنفنا السفر ولكن في طريق اخرى ملتوية خشية الوقوع في شركٍ ثانٍ . فاجتزنا قرى

الحصن ودخلنا ناحية حزّور وبلغنا المشتى قبل الصباح وبقينا مدة متوارين عن انظار مخفر المشتى . ثم انتهت المسألة دون ان تصادف اي معارضة

مطران حمص في المشتى

•

وفي هـذه الظروف كان المطران اثناسيوس عطا الله في قرية رباح التابعة لابرشيتهِ في بلاد الحصن . فدعاهُ تامر الحلو ابن عمي ان يحلّ ببركتهِ في بيته في المشتى حيث وسائل الراحة ميسورة اكثر . فقبل الدعوة واحتفل الاهالي بقدمهِ مرحبين بهِ . وكانَ في اجتماع الناس عندهُ يزوّدهم بارشاداتهِ واقام قداساً احتفالياً في الكنيسة اجابةً لطلب البعض وتسابق الناس الى دعوتهِ الى الولائم وكان لنا حظ بتشريفه في ٣٠ ت٢ سنة ١٨٩٠ . وكنا نجتمع بسيادتهِ في اكثر الاحيان . وفي احـدى المرات سألنا ان نترنم بالترنيمة التي مطلعهـا (فارحاً فارحاً امضي الى المسكن المستنير بالحمل) واشترك معنا في الترنم بها بصوتهِ الرخيم . ولما نظفت حمص من الوباء عدت الى التعليم في المدرسة . واذكر مع الاسف ان هذا الوباء الوبيل اخذ فيمن اخذهُ زوجة المعلم يواكيم مسوح خانم تاركة طفلة اسمها رضى فكفلتها جدتها ام خانم وربتهـا . وكان للمعلم واكيم صبيٌ من التلاميذ الكبار في المدرسة . فتسلّمت ام خانم

دفة تدبير بيت المعلم يواكيم بعد وفاة ابنتها الوحيدة خانم . ولم تكن احداث ذات اهميَّة اثناء وجودي بقية السنة المدرسية في حمص . ولما دنت الفرصة الصيفية لسنة ١٨٩١ عدت الى المشتى وأتيت بكل ما لي في حمص . واتى كذلك ابن عمي المعلم سليمان الحلو من حماه فاجتمعنا في المشتى .

عودتي الى المدرسة الانجيلية في المشتى

•

لا بد لي من ان أُطلع القارىء الكريم على ما آلت اليه احوال المدرسة الانجيلية السابقة في المشتى التي تركناها عندما ذهبنا الى مدرسة صيدا بعهدة المعلم ديب كفوري . ولا بد من ان يكون القارىء قد لاحظ من اشاراتنا السابقة الى المعلم ديب المذكور انهُ غير مستقرّ في افكاره وغير مطمئن الى دوام علاقتهِ مع المرسلين الاميركان واستقرار عمله معهم وكاني بحالتهِ تشبه حالة المعلم مشرق غرزوزي التي تحدَّثنا عنه سابقاً. ولكن المعلم ديب لا يستطيع ان يتكل على اهل المشتى في مناصرتهِ بتحويل ادارة المدرسة الانجيلية لحسابهم كما فعل المعلم مشرق في صافيتا . ولذلك التفت الى ناحية اخرى اقصد بها نحو اليسوعيين الذين فتحوا مدرسة في حارة الموارنة (بيت سركيس) واستخدموا للتعليم فيها المعلم مخائيل ابن الخوري يوسف صاحب النفوذ

في القرية. والمعلم جرجس القراء المعلم البسيط القديم في المشتى، واستخدموا اخي انيس الـذي لم تسمح له امه ان يترك المشتى ليذهب الى المركز الذي دعاه اليه المرسلون الاميركان . وانت ترى ان معلمي مدرسة اليسوعيين متفاوتون في درجة المعرفة ومتباينون في الاذواق ، وليس فيهم سوى اخي انيس عنده استعداد للتعليم العصري الجديد ولكن هي السياسة اليسوعية المتساهلة التي تهدف الى تنفيذ غاياتها .

تجديد فتح المدرسة الانجيلية في المشتى

•

المحنا الى حالة مدارس المشتى اليسوعية حين عدت مع سليمان ابن عمي الى المشتى . وعندما اتى المرسلان الاميركيان القس مارش والدكتور نلصن الى المشتى وجدا الجو يلائمها فقال لي سليمان انا اريد ان اطلب من المرسلين ان يسمحا لي بفتح مدرسة انجيلية في المشتى ابقـاء لاثر العمل الانجيلي فيها . فوافقتهُ فكره وقلت لهُ هذه فرصة ملائمة لعرض هذا الطلب . ولكن لما فاتح مستر مارش والدكتور نلصن في هذا الشأن وكنت قد عضدتهُ فيه في حديثي معهما في هذا الامر كان جوابهما واحداً لي ولهُ : وهو اذ كان المعلم نسيم يفتح المدرسة فهما يوافقان على تجديد فتحها ، ولو لم يتقدم طلب من الاهالي بذلك . ولما اصرَّ على رأيهما اتى اليَّ سليمان قائلاً : يا ابن عمي الاوفق ان تقبـل انت

وتفتح المدرسة ، والا فلتت هذه الفرصة السانحة . وبقي هذا المركز بدون مدرسة انجيلية . حينئذ قبلت وشرعت في الاستعداد لفتح المدرسة. ولم يتقدم احد في القرية لمعاضدتنا لان اليسوعيين كانوا اصحاب النفوذ وسهل عليهم اكتساب جمهرة القرويين اليهم .

مشاكل تعليمي في المشتى

•

عرفت ان الحالة كانت حرجة حينما طُلب مني ان افتح المدرسة الانجيلية في المشتى.ومن المصاعب ما هو داخلي لكوني اسكن واعيش مع اخي انيس . في بيت واحد ونحن مشتركان في كل شيء . ومنها ما هو خارجي وهو مقاومة اليسوعيين واعوانهم وكان يدير احدى مدارسهم اخي انيس وكاهن مقدام له ابن معلم ثانٍ عند اليسوعيين وفوق هذا وذا كبير عائلة الحلو يمالئهم.اتكلنا على الله وفتحنا المدرسة ببعض تلاميذ كان اهلهم غير واثقين بتعليم مدارس اليسوعيين. ومشت المدرسة وهي تنمو بالتدريج ويزداد عدد التلاميذ فيها بانتقالهم اليها من مدارس اليسوعيين . حتى صار من المحتمل انهم يستغنون عن احد المعلمين. وهنا عقدة العقد والتجربة العظمى اذ جاءت اليَّ خالتي ام انيس وهي بمقام امي تطلب مني ان امتنع عن قبول التلاميذ الذين يأتون اليَّ من مدارس اليسوعيين . فأجبتها اني آسف لان الضمير والذمة يطلبان

مني ان لا ارفض احداً وكنت اريد انهم يمتنعون من تلقاء ذاتهم عن المجيء الى مدرستي . والنتيجة انه تُرِكَ احد المعلمين الثلاثة من مدارس اليسوعيين ولكن اخي انيس بقي لانهُ المعلم الوحيـد منهم الخليق بمنصب التعليم .

ومما يذهلك ان الاب اليسوعي كان يُدعى الى الضيافة في بيتنـا المشترك بيني وبين اخي انيس، ليس الى الطعام فحسب، بل الى المنام ايضاً ولا احد من الجانبين يظهر الجفاء او العتاب للآخر . ووحـدث ذات يوم وانا اعلّم في المدرسة ان دخل عليَّ عمي كبير عائلة الحلو ومقدّم البلدة وهو يتوكأ على عصاهُ ووقف في وسط الغرفة وقال بلهجة الآمر « باذن من فتحت المدرسة » فاجبتهُ فوراً دون جلجة – باذنك – فبُهت لهذا الجواب ثم عاد فقال اصرف التلاميذ ولا تقبل احداً عندك (وكان يرافقه ابن عمي نعمان الحلو الذي ضلعـهُ معي) فاجبتهُ انا مأمور ان افتح المدرسة لكل طالب فابقى فاتحها ويمكنكم ان تمنعوا التلاميذ من المجيء الى مدرستي . وبهذا القدر من الحوار تمت المقـابلة وقفل راجعاً . وبقيت المدرسة سائرة على سابق عهدها من الحرّية واقتنـع المقاومون بعدم الجدوى من هذه المناورات .

وعلى ذكرنا ما بذلهُ اليسوعيون من الوسائـط والدعاوات المختلفة الطرق ارى من الانصاف ان اذكر دعاوة واحـدة بدرت من الجانب الآخر اعني من الجانب الاميركاني وهي ان مستر مارش اهـداني كتاب

« اليهودي التائه » وهو رواية ضخمة مؤلفة من مجلدين ومشهورة بتبيان اساليب اليسوعيين في اقتناص اولاد الاغنياء واستمالتهم بشتى الوسائل المغرية للانتظام في سلك الرهبنة اليسوعية للحصول على مواريثهم فيضمونها الى صندوق الرهبنة . وكان المرسلون يقومون بزيارات المراكز على عادتهم في اوقاتها. وقد اتفق ان زار المشتى الدكتور نلصن مع زوجته في فصل الشتاء وفي اثناء وجودهما ازداد الطقس برداً واكتسى وجه الارض ثلجاً ، فاضطرا ان يلبثا بضعة ايام في المشتى استأنسنا بهما في وجودهما وسررنا بمعاشرتهما وكان معهما مجموعة كراريس ادبية ودينية وزّعا منها فاستفاد الناس بمطالعتها. ولما تحسّن الطقس برحا المشتى بالسلامة

فكرة المهاجرة الى اميركا

•

في اثناء وجودي معلماً في مدرسة المشتى عاد من اميركا اول مهاجر من المشتى اليها حنا ابرهيم البيطار الذي مرَّ ذكرهُ سابقاً انهُ ابن مربيتي الاصغر وكنت ادعوه اخي . اتى من الولايات المتحدة على غير انتظار فسُرَّ بهِ الاهل والاصدقاء وبخاصة امهُ . وقد احتار في ماذا يعمل من الشغل في المشتى . وتكلَّم معي لاشاركه في فتح حانوت تجارة في المشتى فاجبتهُ : انا امارس التعليم في المدرسة واشرت عليه ان يشارك اخاه الاكبر يوسف . اخيراً قرَّ رأيه ففتح وحده حانوت تجارة . وسار في شغله وحده ولكن عين الحاسدين الطمّاعين كانت تراقبهُ ، فانتهزوا مرَّةً

فرصة الغفلة وخطفوا صندوق الدراهم الصغير الذي كان يأتي به آخر النهار ويودعه في بيت حنا شماس زوج ابنة اختهِ وكنا في السهرة عند جيرانهم فعلمنا حالاً من الاطفال الذين راوا الخاطف فركض اهل الغيرة وتبعوا الخاطف فادركوا الصندوق مخبأً في ركن قرب حائط فعادوا بهِ سالماً . فهذا الحادث وسواه شجع حنا للرجوع الى اميركا قبل ان تنفد دراهمه وأعاد الكرّة عليَّ وألحَّ في دعوتي للذهاب معهُ دون ان يكلفني شيئاً ورتّب اني انا افتح في اميركا حانوت تجارة – وهو ورفقاؤه يحملون السلع للبيع في جولانهم وعليَّ ان احفظ الحسابات وابيع في المدينة . فملت هذه المرة الى رأيهِ واخذت في الاستعداد ولم انسَ اخذ الكتب معي وعلى هذا نزلنا الى طرابلس وهناك قابلت مستر مارش المقيم في الميناء . وأبنت لهُ قصدي فلم يرق لهُ الامر ونصح لي بالعدول عن السفر لان الذي مثلي لا يحتمل شظف العيش وبخاصة في السنين الاولى . ولما كنت متردداً في هذا الامر ملت الى رأيهِ وعدلت عن السفر وكنت واضعاً رجلاً في البحر ورجلاً في البرّ وهنا اقول : لو سافرت وقتئذٍ ماذا كنت انا الآن أبقيت نسيم الحاضر او صرت رجلاً آخر لا اعلم ان الله وحده يعلم . وانما الذي اعلمهُ اني لم اندم في جميع حالاتي . اما اخي حنا الذي ضحى مراراً ولم يزل يضحي في سبيل خيري وراحتي فاسف ومضى حزيناً لعدولي . وهكذا عدت الى متابعة عملي في مدرسة المشتى .

بعض الكتابات

•

وفي سنة ١٨٩٣ اقتنيت الروزنامة العثمانية لصاحبها امين الخوري فوجدت فيها عدا الاشارة الى الوقت بعض الامثال والحكم فعلّقت شرحاً موجزاً على كل مثل لا يشغل اكثر من ظهر ورقة الروزنامة فتألف من هذه الشروح كتيب سمّيته « بانات العَلَم في شرح الامثال والحكم » وارسلت هذه الشروح الموجزة الى امين الخوري صاحب الروزنامة واقترحت عليه ان يطبع شرح كل مثل من الثلاثة والخمسين مثلاً على ظهر ورقة يوم الاثنين من كل اسبوع واخترت امثالاً جديدة بعددها ليدرج منها مثل في كل من يومي الاربعا والاحد. والمثل الجديد موضوع ليشرحهُ من يشاء على الصورة التي شرحتها انا ثم يرسل مجموعة الشروح لامين الخوري فيختار لجنة للحكم للشرح الافضل منها وانا اقدم لهُ جائزة نسخة من قاموس (محيط المحيط) لبطرس البستاني . فلبى امين الخوري اقتراحي بحذافيره .

وكان صاحب المجموعة التي نالت الجائزة الكاتب القدير نقولا افندي الحداد وفي سنة ١٨٩٤ وضعت كتيباً سمّيتهُ (مرآة الزمان في البحث عن الانسان) تكلّمت فيهِ عن الجسم الانساني وعن الرجل والمرأة وعن الزواج وعيشة الزوجين . وفي هذه السنة كان لي الحظ بان

اكون احد نائلي جائزة سجل المدرسة الافضل التي كتب في شأنها الدكتور نلصن في تموز ١٨٩٤ يقول: قد وجدنا صعوبة كلية في مسألة تمييز السجل المتقن لكي ينال صاحبه الجائزة التي وعدنا بها ولكن بعد الفحص المدقق ظهر بان سجلات المعلم عارف طنوس الحلو والمعلم نسيم الحلو والمعلم متري ايوب كانت اكثر اتقاناً وحفظاً من البقية ولذلك نسرّ لنعلن للجميع عنهم حيث نقدم لكل واحد منهم جائزة .

مدرسة اللاهوت

كانت مس لاكرانج مرسلة اميركية غيورة وهي رئيسة مدرسة البنات الاميركية الداخلية في طرابلس. ولم تكن تقصر همتها وعنايتها على مدرستها فقط بل كان يمتد افق اهتمامها الى مراكز الخدمة في حقل طرابلس عامةً وبخاصة مدارس البنات اليومية. وهذا الاهتمام بالعمل الواسع جعل لها علاقة صداقة بالعمال ايضاً وكان لي حظ بعلاقة الصداقة معها وفي اثناء وجودي معلماً في مدرسة المشتى اذاع المرسلون الاميركان تعميماً من عمدة مدرسة اللاهوت المعلين على الخدمة في مشيخات صيدا ولبنان وطرابلس يعلنون فيه ان مدرسة اللاهوت ستفتح هذه السنة ١٨٩٤ في شهر ايار وتستمرّ في عملها ستة اشهر كاملة الى غاية تشرين الاول وسيكون

مركزها في سوق الغرب وكانت قبلاً في بيروت والقصد في هذا التغيير ان يتمكن المعلمون الذين يدرسون اللاهوت من العودة الى الخدمة في العطلة المدرسية التي تمتدُّ ايضاً ستة اشهر من تشرين الثاني الى غاية نيسان والقصد من اذاعة هذا الاعلان فتح الباب لمن يرغب من المعلمين الدخول الى مدرسة اللاهوت .

غير خافٍ ان هذا الموضوع كان في حاجة الى امعان الفكر لان الغاية خطيرة تتطلّب استعداداً ورغبةً وموهبةً . فلما وصلني الاعلان المذكور تردّدت فيهِ افكاري بين الاقدام والاحجام الى ان كان صباح يومٍ من الايام وانا في غرفة المدرسة وحدي قبل ان يحضر التلاميذ . فسألت الله الهداية وانا أزن الموضوع لارى ايّ الكفتين ترجح: القبول ام العدول!؟ واذا برجل يدخل عليَّ حاملاً لي كتاباً من مس لاكانج وقد شرحت بالتفصيل الكلام عن مدرسة اللاهوت واهمية الخدمة المترتبة عليها. وبعد ان انتهيت من تلاوتهِ ومراجعتهِ رجحت كفّة مدرسة اللاهوت . وحينئذٍ كتبت الى المرسلين اقول : اني بالاتكال على الله عزمت ان ادخل مدرسة اللاهوت في وقتها المعيَّن استعداداً للخدمة التي ينتدبني الله اليها .

ولما آن الاوان وازف الرحيل سافرت قاصداً سوق الغرب وعرّجت على بيروت لقضاء بعض الحاجات فيها ومنها صعدت الى المدرسة في سوق

الغرب وكنت متأخراً بضعة ايام فاستقبلني الرفاق السابقون بالترحاب . وكان نظام الطلبة ان المرسلين يعينون للمعلم الاعزب ليرة عثمانية واحدة لاكله وشربهِ وغسل ثيابهِ اما اصحاب العيال منهم فيعطونهم اكثر من ذلك بالنسبة الى كبر العائلة وصغرها . ويقــدم المرسلون ايضاً اجرة الطاهية التي تهيء لهم الطعام . وتلاميذ اللاهوت يديرون لانفسهم امر الطبخ والمائدة وفي آخر كل شهر يجرون حساب النفقات كلها ويقسمونهُ على انفسهم فيؤدي كل واحد ما يصيبهُ . وهؤلاء هم الطلبة رفقائي وانا اذكرهم بالاسم الذي حملوهُ في المدرسة .

اسماء الطلاب :

المعلم اسعد عبود	خيام مرجعيون	متزوج
« حبيب صبحية	بلاط	اعزب
« يعقوب فارس	مجدلونا	«
« يوسف عمار	ابل السقي	«
« فارس حوراني	القرعون	متزوج
« سليم صليبي	سوق الغرب (طالب خارجي)	«
« عبدالله مسوح	حماه	«
« انطونيوس جديد	عمار	«
« حنا خباز	حمص	اعزب
« نسيم الحلو	مشتى الحلو	اعزب

اما الاساتذة فكانوا :

الدكتور وليم ادي – الرئيس – يدرّس علم اللاهوت وتفسير الرسائل .

القس اوسكار هاردن – يدرّس تاريخ العهد القديم يعطيه املاء ويسمعهُ احياناً .

الدكتور صموئيل جسب – يدرّس واجبات الرعاة في كتاب (جلاء اللحظ الجزء الثاني) .

المعلم يوسف عطيّه واعظ كنيسة سوق الغرب يدرّس في شرح الانجيل ومذاكرات .

المعلم بشارة بارودي يدرّس كتاب الادلة السنية على صدق الديانة المسيحية وادركنا بالاختبار ان الاستفادة تأتي عن طريق محادثة الاساتذة ومعاشرتهم والمذاكرات معهم . اما الكتب بالرغم من اهميّتها وعظم افادتها فتأتي في الدرجة الثانية . وقد اختار طلبة اللاهوت المعلم اسعد عبود والمعلم عبدالله مسوح ليكونا قيّمين على النفقات العامة . وهما اعتمدا الخواجا الياس حجار من تجار السوق ليشتري ويرسل الى المدرسة جميع لوازم المطبخ وكانا يحاسبانهِ في آخر كل شهر ثم يوزعان المبلغ على الطلبة بالتساوي وكانت في اغلب الاحيان الليرة العثمانية تكفي لتغطية نفقات الطالب شهرياً .

ومع ان نصفنا كانوا متزوجين والنصف الآخر عُزب ظل الناس يدعوننا اولاد اللاهوت دون تفرقة . وكانت عيشتنا كعائلة واحدة . ولم نكن مقيدين بقيود التلاميذ الداخليين عند الزيارات والنزهات بل نحن كنا ننظم اوقات لدروسنا ونزهاتنا انما علينا ان نحضر التسميعات في اوقاتها ولنا حرية حين لا يكون علينا واجبات خاصة ان نزور بيوت اصحابنا . وكان يُطلب من تلامذة اللاهوت ان يذهبوا ايام الآحاد الى الكنائس المجاورة لاقامة الخدمة الروحية فيها. وكان البعض منا يدخّنون وهذا غير محظور انما كان التدخين ضمن الغرف محظوراً . ودخل مرة الدكتور ادي الى غرف النوم فرأى منفضة السيكارات على الطاولة مملوءة من اعقاب السيكارات . وكل ما عمله انهُ حملها بيدهِ والقى ما فيها في صندوق النفايات. واعادها الى حيث كانت .

زيارتي الى عين تراز

•

بلغني وانا في مدرسة اللاهوت ان بعض التلاميذ من انسبائي اتوا الى المدرسة الداخلية الاكليريكية للروم الكاثوليك في عين تراز – المقرّ الصيفي لبطرك الروم الكاثوليك غريغوريوس يوسف – فقصدت زيارتهم واستأذنت يوم سبت إذ تكون الواجبات قليلة للذهاب الى

عين تراز ، واستأجرت حصاناً ومضيت لطيّتي . وعين تراز واقعة في قمة جبل فكان عليَّ ان انزل اولاً في منحدر الى الحضيض ثم اتوقل الجبل صُعُداً وما كان اكثر المنعطفات في انحداري وصعودي. وفي النهاية بلغت المدرسة ودخلت باحتها ولم اسمع صوتاً وكان التلاميذ جالسين في الظل صامتين كأنهم تماثيل والسبب انهم كانوا في رياضة روحية يتجرَّدون للتأملات . ولما قابلت رئيس المدرسة الاشمندريت كيرلس مغبغب (الذي اصبح بطريركاً فيما بعد) اخبرني ان نظام الرياضة يوجب ملازمة الصمت على التلاميذ ولكنهُ يتساهل بان يسمح لانسباني بمقابلتي فشكرتهُ . وعند الظهر ذهب التلاميذ لتناول الطعام فاعتذر الرئيس بالتأخر الى ما بعد التلاميذ فنتناول الطعام معهُ لان التلاميذ يلازمون الصمت حتى وقت الطعام . وكان مدار الحديث مع الرئيس المقابلة بين الارثوذكس والكاثوليك ظناً منهُ اني روم ارثوذكس ولما علم اني انجيلي ومن تلامذة مدرسة اللاهوت لم يغيّر حسن المعاملة . وكان غبطة البطرك موجوداً وقتئذ في دير السيدة الكائنة فيهِ المدرسة . فاستأذنت لمقابلتهِ وأوصاني الرئيس ان لا أُطيل الزيارة لكثرة مهامّ غبطتهِ لتعلق ثلاث ابرشيات بهِ انطاكية واورشليم والاسكندرية . فاتممت الزيارة وكانت مقابلة حسنة فسألني عن احوال جهات بلادنا الشمالية . ثمَّ استأذنت الرئيس بعد ان شكرتهُ على حسن استقبالهِ ياي . وعدت اقيس تلك المنعطفات تكراراً نزولاً وصعوداً راجعاً

الى مدرسة اللاهوت حيث بلغتها عند المساء .

وقام طلبة اللاهوت كلهم مرةً بسفرة الى قرية عبيه لزيارة الاستاذ داود قربان اذ كان مصيفاً فيها مع اسرتهِ يدرّس العربية للمرسل الاميركاني الجديد في صيدا مستر جورج دولتل فسررنا بزيارة هذا المركز الذي كان سابقاً مركزاً هاماً للعمل الانجيلي تحت ادارة سمعان كلهون المعروف بقديس لبنان . وفي ذلك المكان شرع بترجمة الكتاب المقدس للعربية . فضلاً عن مدرسة عبيه التي خرّجت مشاهير خدمة الكنائس . وعند انتهاء الزيارة عدنا الى مدرستنا .

خطتي في الحياة المدرسية

•

وكانت خطتي ان لا ابرح دائرة المدرسة حتى أتمّ استعدادي للمسائل وبنوع اخصّ مسألة التاريخ التي كنت انفق عليها ثلاث ساعات — ساعة القاء الاستاذ لها ، ونحو ساعتين لتنقيح لغتها وتصحيح العبارات ، لاننا نتلقنها بسرعة ، حتى لا يفوتنا معنى ثم ننسخها مصححة على الصفحة المقابلة وبعدئذ ندرسها لاستبقائها في الذهن . وكان البعض يستثقل هذه الطريقة الشاقة . وفي نهاية المدة ضجّ البعض من تقديم الامتحان عنها وأُعفينا منهُ ولم اندم على ما بذلتهُ في سبيلها . كان هذا مع

مستر هاردن ، اما ما كان مع الدكتور صموئيل جسب المشهور باللطف ورقة الجانب فانهُ كان يدقق في تسميعهِ جداً . وهنا استميح لنفسي المعذرة في رواية هذه النادرة : اتفق مرةً اني عثرت امامهُ فلم افطن لمادّة في السؤال فوقفت صامتاً فحاول جاري ان يسدبني معروفاً فأعلمني المادة همساً ومع اني سمعتهُ وعرفت المادّة بقيت صامتاً فظن جاري اني لم اسمعه فلمسني وهمس بها ثانيةً فتضايقت منهُ اكثر مما تضايقت من الدكتور جسب وأجبتهُ بصراحة : ان جاري يقول عنها كذا وكذا . حينئذٍ صمت الاثنان وبهت التلاميذ واكملت تسميعي .

* * *

انتهت المدة المعينة لدراسة السنة الاولى وأعلن لكل معلم من الطلبة ان يعود الى ممارسة عملهِ المعيَّن في الستة اشهر المقبلة . اما انا فاستأذنت لان يعفوني في هذه الفترة من الشغل القانوني فأُجيب طلبي . وذهب كل واحد في طريقهِ . وكان قد أشغل مركزي في مدرسة المشتى الانجيلية المعلم عارف الحلو صديقي ونسيبي . فاتفقت معهُ ان اقوم بالخدمة الدينية في صباح الآحاد في غرفة المدرسة وواظبنا على هذا الترتيب طيلة الاشهر الستة . وكانت الاجتماعات جيّدة ومشجّعة . وهنا اروي نادرة عن شخص حضر احد هذه الاجتماعات متأخراً فانتقدنا في وجهنا بكل صراحة وبساطة قلب فسرَّني انتقادهُ ولذلك حفظتهُ قال : ما هذا الاجتماع !! اتينا لنسمع فصلاً من الانجيل

فما سمعنا غير كلام بكلام . يعني انه يفضل ان يسمع الانجيل ولو فاته كلام الوعظ . وان هذا الانتقاد على جانب كبير من الحق .

الدرس الذاتي

•

في احدى العطلات التي قضيتها في البيت أوجبت على نفسي ان ادرس اربع مواد في اربعة كتب درساً قانونياً كاني في مدرسة رسمية فافرض كل يوم مثالة معينة من كل كتاب ادرسها واستعد لتسميعها كما ادرس الى الاستاذ . واخترت هذه المواد (١) مراجعة الفلسفة الطبيعية (٢) الكيميا من كتاب النقش في الحجر (٣) العروض والقوافي في ارجوزة اللامعة في شرح الجامعة لليازجي (٤) الجزء الثالث من كتب القراءة الانكليزية .

وكانت لي عطلة مدرسة اللاهوت الستة اشهر مدة اختبار وتمرين على الوعظ اكتسبت فيها ما افادني كثيراً في درس هذا العلم وممارسته . كنت في الماضي اقصر اشواقي على مدرسة صيدا وايامها الحلوة والآن صرت اشتاق الى مدرسة اللاهوت بالشعور نفسه . ولما دنا شهر ايار سنة ١٨٩٥ شددنا الرحال الى ربوع سوق الغرب .



السنة الثانية في مدرسة اللاهوت

•

حدثت بعض تغييرات في المدرسة منها انتقال مكان المدرسة الى بناية قديمة للمعلم نعمة بركات (الـذي اصهرتهُ من اشهر العلماء وهم الدكتور يعقوب صروف والشيخ ابرهيم الحوراني والاستاذ اسعد داغر) وموقعها كان محل بيت سابا بقرب الكنيسة الانجيلية . وسررنا بمعاشرة جارنا الشيخ المعلم نعمة بركات المذكور . وزاد عدد الطلبة واحداً وهو ابرهيم خليل كما نقص اواخر السنة واحـداً وهو المعلم سليم الصليبي اذ دُعي للخـدمة في دمشق عند مرسلية انكليزية لليهود . اما الاساتذة فقـد عاد الدكتور هنري جسب من اميركا وظل الباقون كما هم . ولما كان بيت الدكتور جسب في عاليه لم يستطع المجيء الى المدرسة الأ راكباً جواده . ودرسنا معهُ علم الوعظ في كتاب جلاء اللحظ الذي هو تأليفه وكان يعطينا آيات من الكتاب المقدس لتقسيمها وآيات للشرح عليها كموعظة . وهذه كنا نلقيها امامهُ فيقدم عليها بعض الملاحظات وفي هذه السنة كانوا يكلفوننا احياناً بالوعظ مساء الاربعاء في الكنيسة فضلاً عن خدمة الكنائس المجاورة في صباح الآحاد . وكان من عادة الدكتور هنري جسب ان يقضي مع الصف نحو عشر دقائق قبل مباشرة التسميع في اخبار

شهيَّة ومحادثات طليَّة وكان حديث الناس في ذلك الوقت اضطهاد الارمن . اما فرع واجبات الرعاة الذي علّمنا اياهُ الدكتور صموئيل جسب فقد تخصنا فيهِ الدكتور كرنيليوس ڤانديك المشهور . ومن نكتهِ المستملحة انهُ عند نهاية الاجتماع معهُ قال « بورك فيكم كما بورك في الاولاد » ولما غمض المراد على اكثر التلاميذ قال لنا ان فيها اشارة الى زيتونة مباركة مذكورة في القرآن (راجع سورة النور الآية ٣٤) « شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسهُ نار » . ولما زرناه في بيتهِ في عاليه سأل كل واحد منا عن وطنهِ وجاء دور المعلم عبدالله مسوح قال انا من حماه – اجابهُ حماك الله واتى بعده دور المعلم حنا خباز فقال انا من حمص اجابهُ لا نكمّل لك العبارة يعني لا نقول « حمصك الله » .

وفي هذه السنة زارنا كبير عائلتنا خليل الحلو وهو راجع من زيارة بطرك الروم الكاثوليك في عين تراز . وكان تقليد جميل عند الصف في مثل هذه الحال ان الطلبة يقومون بواجب الضيافة . اما نسيب الضيف فيبقى معهُ لمسايرتهِ ، وتناول معنا طعام الغداء .

وكان اساتذتنا يدعوننا احياناً الى تناول الشاي او الطعام في بيوتهم ويبالغون في مؤانستنا والاحتفاء بنا . ودعانا مرةً الدكتور ادي الى تناول طعام العشاء واتفق ونحن على المائدة ان واحداً منا

قلب كوب الماء الذي امامهُ فخجل فاسرع الدكتور ادي وانقذ الموقف بنكتةٍ قال « هي سموها كباية لانها تنكب » . وتأثرنا كثيراً حين دُعينا الى تناول الشاي في بيت الدكتور صموئيل جسب اذ رأينا مسز جسب الفاضلة وكانت بمقام والدة لنا فقد قامت تناولنا فناجين الشاي وقطع الكعك بيدها

دعوتي للتعليم في صيدا

•

وقبل نهاية المدة المدرسية زار الدكتور جورج فورد رئيس مدرسة صيدا رئيسنا الدكتور ادي فذهب تلامذة اللاهوت للسلام عليهِ وتكرَّم هو بزيارتنا في المدرسة فأنسنا بالاجتماع معهُ . ولزيادة التعارف ذهبنا واياه في نزهة الى الخلاء . وبينما كنا جالسين منفردين طلب ان نشترك بالصلاة ليمنحنا الله البركة في خدمتنا . وقبل ان فارقنا طلب مني ان اذهب اليهِ في المساء بعد العشاء . وفي الوقت المضروب وانا متأهب للذهاب اتى اليَّ احد رفقائي من الصف واعلمني انهُ يجبُ ان يرافقني في هذه الزيارة فاجتمعنا معهُ في بيت الدكتور ادي وبعد تداول الكلام افتتح الحديث معي بقوله : ان مدرسة صيدا يأتيها تلاميذ من حقلي طرابلس ولبنان – اي من غير حقل صيدا فمن الموافق ان يكون بعض المعلمين فيها من غير حقل صيدا كمرشد

لتلامذة حقلهِ لذلك سألني ان امثل حقل طرابلس واكون معلماً في مدرسة صيدا السنة القادمة واعتذر لي بان طلبهُ هـذا يحملني على الانحراف عن قصدي من خدمة كنيسة الى خدمة مدرسة وتلطف واعطاني مهلة لاعطاء الجواب . ولان مستر ادي سيزور والدهُ الدكتور ادي عن قريب فهو يأخذ لهُ جوابي . وكان وقت ابتداء مدرسة صيدا قبل ختام مدرسة اللاهوت قال انهم يدبّرون صفوفي هذه المدة. وطلبت منهُ معرفة المثائل التي يناط بي امر تعليمها لآخذ معي من بيروت بعض الكتب للاستعانة بها فاخبرني عنها . ثم ودّعنا ورجعنا . واول حديث فاتحني فيهِ رفيقي قولهُ « ان الدكتور فورد لا يحبّني ». وبعد حين حضر مستر ادي وكنت قد قرّرت اجابة الطلب فاخبرتهُ اني بسرور اقبل الدعوة . وحينئذٍ تغيّر اتجاه افكاري وآمالي الى جهة اخرى. واستمرت مدرسة اللاهوت الى آخر تشرين الاول سنة ١٨٩٥ وهذا بعض ما نشرتهُ النشرة الاسبوعية عن نهاية المدرسة واحتفالها .

حفلة مدرسة اللاهوت

•

« احتفلت مدرسة الـلاهوت الانجيلية في كنيسة سوق الغرب الاربعاء في ٣١ تشرين الاول سنة ١٨٩٥ وامتحن الطلبـة في علم اللاهوت وعلم الوعظ وكانوا قد امتحنوا في الادلة السنية والقواعـد

السنية ، وتفسير الكتب المقدسة وتاريخ العهد القديم ، وتاريخ الكنيسة وواجبات الرعاة وغيرها . وكان هناك كثير من المرسلين الاميركيين والاساتذة الوطنيين واجتمع في المساء جمهور من الشعب وكل تلامذة مدرسة سوق الغرب الداخلية فتلا الدكتور هنري جسب خطبة على المنتهين في قول الرسول « امتحنوا كل شيء وتمسكوا بالحسن (١ تس ٥ : ٢١) ومنحهم الدكتور ادي شهادة المدرسة » . ثم ذكرت النشرة اسماءهم واوطانهم على ما مرّ بنا قبلًا وتقدّم المرسلون والجمهور يهنئونا ثم عدنا الى المدرسة نستعد لمفارقتها . وكان بفكري بعد درس ستة اشهر ان اذهب الى المشتى للاستجمام قليلًا وقضاء بعض الاشغال وأبيح لي ذلك ولكني رأيت في الامر تأخراً فوق تأخري الحالي عن الواجبات التي تنتظرني في المدرسة فعدلت ونزلت الى بيروت واشتريت بعض الكتب واشياء اخرى مما احتاج اليه وذهبت الى صيدا

انا في صيدا

•

هذه مدينة صيدا وقد انشرح قلبي برؤيتها . ها اني اراها كما فارقتها منذ ست سنين بشوارعها الضيقة المتعرّجة وبناياتها المتلاصقة وجنّاتها الفيحاء الزاهية اني قادم الى صيدا ليس كرجل غريب لاني

قضيت فيها قبلاً ثلاث سنين كتلميذ . وجميع التلاميذ الذين تركتهم فيها لم اجد احداً منهم سوى تلميذ واحد داخلي اسمهُ زكريا جرجس مرقس كان طفلاً والآن هو في صف الكبار المتقدمين . ولم يبقَ من المعلمين القدماء سوى استاذي المعلم يواكيم الرامي في مدرسة الصبيان والاستاذ داود قربان في مدرسة البنات والمعلم جرجس كيال معلم الافرنسية الدائم. واول ما وصلت حططت رحالي في بيت استاذي المعلم يواكيم فسلّمنا وتذكرنا نبوءتهم حين الوداع من ست سنين عندما تمنى ان اعود الى صيدا معلماً . وفي السكنى حللت شريكاً مع الاستاذ شاكر عساف داغر في الغرفة التي هي الآن مكتب الادارة. وبعد حين فضّل صديقي الاستاذ المذكور ان يستقلّ في غرفة لنفسهِ فتنازل عن رضى ومحبة عن سهمهِ في الغرفة المشتركة فصدق فينا القول المأثور

اذا حلَّ الثقيل بارض قومٍ فما للساكنين سوى الرحيلِ

وقد عاهدت نفسي من اول يوم دخلت المدرسة ان لا اضرب تلميذاً وحافظت على هذا التعهد عدة سنين الى ان وُكل اليَّ امر التأديبات فشذذت شذوذاً نادراً . وهذا جعلني اعتقد اعتقاداً راسخاً ان الضرب لا يكسب المعلم احتراماً في عيون التلاميذ وان أكسبهُ رهبةً لاني مع محافظتي على عدم استعمال الضرب ما شعرت بنقص الاحترام عن الذين استعملوهُ .

الاستاذ نوفل اسطفان

ومن المعلمين الذين تعرفت بهم جديداً وصادقتهم الاستاذ نوفل حبيب اسطفان من دير مياس. ومن ذلك الحين توثقت عرى الصداقة بيننا وكنا شريكين سنين طويلة في العمل الواحد في خدمة المدرسة. وهو ممتاز في جودة الخط، وقد تكرّم عليّ بعدّة امثلة جميلة من خطهِ الجميل وبعد افتراق طويل ولانتقال خدمتهِ الى فلسطين عاد الى صيدا على إثر نكبة فلسطين وسمح الله بالملتقى وكم سررنا بعودتهِ الينا.

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كلَّ الظنّ ان لا تلاقيا

والمرسلان اللذان تركتهما في صيدا اعني الدكتور جورج فورد والقس وليم ادي باقيان واتى مرسل جديد اسمهُ جورج دولتل سنة ١٨٩٧ وتحولت رئاسة المدرسة الى الدكتور فورد الذي ادخل اليها التعليم الصناعي.

التعليم الصناعي

●

وضمّهُ الرئيس الى الفرع العلمي كما جدّد فرع اليتامى للطائفة. والتعليم الصناعي أدخل في الترتيب المدرسي اربع صناعات اذكرها مع

اسماء مديريها :

النجارة : مديرها - عبد الرحمان الددا - من صيدا

الخياطة : مديرها - موسى سويد - من دمشق

الكندرجية : مديرها - بطرس خياط - من دير القمر

البناء : مديرها - فارس مسوح - من حمص

وكان التلاميذ يرغبون في النجارة اكثر من سواها وبعدها الخياطة ثم صنع الاحذية وآخر الكل البناء . وتلامذة الصناعة نوعان: الاول العملي وتلاميذهُ يشتغلون كل وقت العمل في الصناعة المعينة ويكون لهم درسان في العلوم يتلقنونهما ليلاً . والثاني سائر التلاميذ الداخلين يشتغل كل تلميذ ساعتين في الصناعة المعينة لهُ كل يوم . ولما كنت ارغب في الشغل اليدوي احببت ان اتردّد في ساعات الفراغ الى النجارة فملت اليها وداومت على ذلك الى آخر السنة .

اما المثائل فتعيَّن لي خمس كسائر المعلمين يومياً وكلّفني الرئيس ان انوب عنهُ موقتاً في تعليم كتاب الادلّة السنية للصف العالي لبينما يتسنَّى لهُ التفرُّغ لتدريسهِ فأضفتهُ الى ما معي. ولكثرة اشغال الرئيس ما تسنَّى لهُ الفراغ المأمول فبقي الدرس الى آخر السنة . وكنت أدعى للوعظ احياناً اما في الكنيسة لجمهور الاخوة والمعلمين او في المحفـل الكائن بجانب مدرسة البنات القديمة (هو اليوم محـل سينما امبير) للتلاميذ

والتلميذات غير المشتركين. وكان مطلوب مني صف في مدرسة الاحد. وكنت اذهب بعض الاحيان لاقامة الخدمة الدينية في احدى الكنائس المجاورة . وقد سألني مرةً الدكتور فورد عن اي الكنائس المجاورة اريد ان آخذ خدمتها فاجبتهُ : اريد ان اكون حرّاً . اما المثائل فالتي كانت تأخذ معظم وقتي هي المعاني والبيان وقد اقتنيت مطوّل التفتزاني وغيره للاستعانة بهِ. فكنت اقضي ساعاتٍ من الليل في درسهِ وتلخيصهِ وجمع امثلة منهُ. وكنت احفظ ذلك في دفاتر اعطيها للتلاميذ لينسخوا عنها هم ايضاً . ولما جاء عيد الميلاد واقامت مدرسة البنات حفلة ميلادية ارتأى رئيس المدرسة ان نقيم نحن ايضاً في رأس السنة حفلة تكون بمثابة اعلان او دعـاية للفرع الصناعي . فوضعت رواية تشمل الصنائع الاربع مثلناها في المحفل المار ذكره حيث اقمنا على المنبر المتسع بما أضيف اليهِ اربعة حوانيت للصنائع الاربع فكان تمثيلها مساء ومع عدم اتساع الوقت للاستعداد اللازم نالت رضى الجمهور . وطلب الرئيس ان نتوسع فيها ونزيد في اتقانها لكي نعيد تمثيلها في آخر السنة المدرسية فتكون بدلاً من الحفلة المدرسية اذ لا يوجد صف منتهين هذه السنة . وجاء عيد ميلاد الرئيس في ٣٠ ايار فهنأتهُ المدرسة ، ومن الجملة نظمتُ لهُ نشيدة هذا بعضها :

قد شدت ورق التهاني   مع قيانِ السرور
اذ بدا في ذا الاوانِ   نورُ عيدٍ ايّ نور

هنئوا الدكتور فوردا   يا أصيحاب الصفا
من غدا في القوم فردا   في الكمال والوفا
واشكروا مولى رضاه   شامل كل الانام
اذ حماه ووقاه   بسلام كل عام

فكرة عدم رجوعي الى المدرسة

•

حين تقرب نهاية السنة المدرسية تفتكر ادارة المدرسة كما يفتكر المعلمون في امر السنة القادمة. من سيعود ومن لا يعود ؟! اما انا فغلب على فكري عدم العودة الى مدرسة صيدا ليس لاني لا احبها ولا لاني تعبت في خدمتي اياها هذه السنة – والخدمة في كل مركز ان لم يتعب الانسان في سبيلها لا ينجح فيها – ولا يرضى الضمير الحي الأ بالنجاح. ولكني وزنت الحالين فرجحت كفة الخدمة قريباً من البيت لان لي علاقة ببعض الاملاك والارزاق التي يُهمَل امرها في بعدي عنها ولاني في سن يجب ان افتكر فيها بامر الزواج وهنالك العقبة الكأداء اعني المسافات الشاسعة التي تفصل صيدا عن المشتى وحالة السفر الشاقة في تلك الايام . فهذه الاسباب مجتمعة زيّنت لي عدم العودة . وبناء على ذلك هيأت اغراضي من كتب وبعض اثاث وارسلتها لتسبقني الى مخزن كتب الاميركان في طرابلس بواسطة المطبعة الاميركية في بيروت حتى

في مروري بطرابلس اجـدها فآخذها معي الى المشتى . ولما وصلت هذه الاغراض ورآها الدكتور نلصن عرف اني غير مزمع ان اعود الى المدرسة فكتب الى الدكتور فورد يعلمهُ ذلك . فدعاني الدكتور فورد الى بيتهِ وسألني عن سبب عدولي في البقاء فشرحت لهُ الاسباب التي تقدَّم بيانها فألحَّ عليَّ ان ابقى واشاركهُ في الخدمة ، حتى انهُ تلطف بقولهِ انا رأيت ان مرتبك لا يكفيك انا مستعد ان انقص من مرتبي وازيد لك . واذا كنت متعباً بزيادة الشغل اخفف عنـك وغير ذلك من وسائل الاقناع فشكرتهُ على حسن ظنهِ بي والحاحهِ لبقائي الأ اني لم انهِ الامر معهُ في الوقت الحاضر .

ثم انصرفنا جميعاً الى الاهتمام بمهام السنة المدرسية من امتحـانات واحتفالات وبخاصة مراجعـة الرواية الصناعية التي مثلناها اول السنة الجديدة فوسَّعنا ادوارها وزدنا في اتقانها . ولتوقُّعنا زيادة الاقبال عليها مثلناها مرتين . وهذا بعض ما قاله مراسل النشرة الاسبوعية في وصفها وعند نهاية السنة المدرسية احتفلت المدرسة بتمثيل رواية عملية وضعها . . نسيم الحلو احد المعلمين فجاءت على غاية الاتقان تظهر تصرُّف التلاميذ والمعلمين في صنائعهم ولضيق المحل مثِّلت امام النساء في النهار وامام الرجال في المساء ونظم المومأ اليهِ نشيد ترحيب نورد قسماً منها

رياض العلوم ازدهت مذ ظهر بافق المعالي سنا من حضر

فيا شادياً صاح رتلنا الوطر تغنّ بعودٍ بانس الوجودْ
بمزمار داوود ربّ الوترْ

ألا مرحباً بكرام الانامْ واهلاً وسهلاً بقومٍ كرامْ
بتشريفهم قد بلغنا المرامْ فضاء المكان وساد الامانْ
وفاح السلام بمسك الختامْ

ولما حان وقت الرحيل من المدرسة وكان التلاميذ من حقل طرابلس كثيرين استأجرنا خيلاً للجميع حتى تكون حاضرة حين اعلان ساعة الفرصة وركبنا جميعاً وسافرنا ليلاً تفادياً من حرّ النهار فبلغنا بيروت صباحاً ومن هناك استأجرنا خيولاً الى طرابلس فاخذت اغراضي التي سبقتني وسافرت الى المشتى فبلغتها بسلام

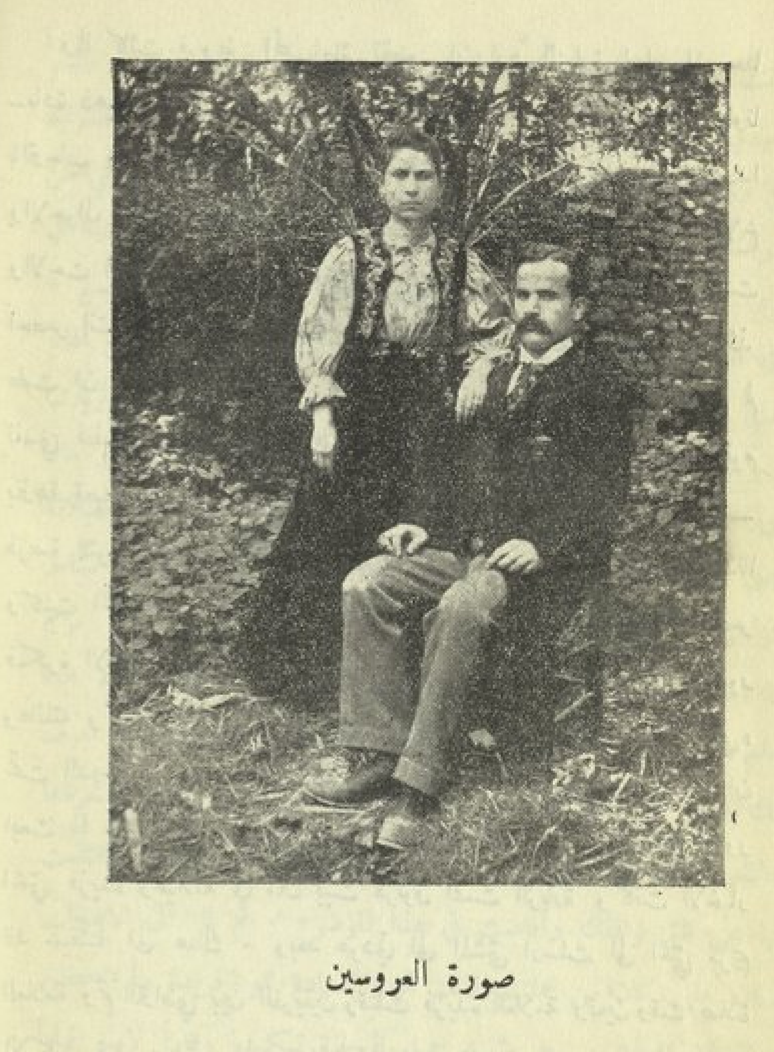
المرحلة الكبرى في الحياة

•

كانت اختي مريم ارملة بشور تامر بشور صغرى اخواتي واكبر من اخي الياس وقد صرفت عنايتها بعد وفاة زوجها في تربية ولديها سوسان الابنة البكر وابرهيم الابن الاصغر . ولكن هذه العناية البالغة لم تُنسها الاهتمام باخيها نسيم لان اخاها الاكبر الياس تزوج ولهُ اولاد والاصغر انيس لهُ ام تبذل حبات قلبها في احاطتهِ بالعناية . وهكذا

كانت مريم قبل زواجها وبعدهُ على القرب والبعد تحدب عليَّ وتهتمّ بأموري كافةً اهتمام الام بابنتها فهي التي هربت بنا في زمن الطفولية من وباء الكوليرا الخطر — كما مرَّ — وهي التي فرزت لي ما يخصني من ادوات البيت واستمرَّت هذه العناية الى النهاية . ومما كانت تعلنهُ في غيابي وفي حضوري قولها : انا لا يطمئن بالي حتى ازوج اخي نسيم . وفي اثناء غيابي هذه السنة في صيدا شرعت تسعى في هذا الامر الهامّ الذي ملك عليها افكارها . وبعد وصولي الى المشتى استدعتني لزيارتها في برج صافيتا . وكان قد اتى للسلام عليَّ عبدالله عرنوق مدير مال قضاء صافيتا ، وهو صديقي وقد اقترن من مدة قريبة بابنة اختي هيلانة واسمها روجينا واقتضت اللياقة ان اردَّ لهُ الزيارة في بيته في بيت سباط واذْ صرتُ قريباً من برج صافيتا ذهبت من عندهِ لزيارة اختي مريم ولما اجتمعنا ذكرت امامي فكرة الزواج ودلّتني على الآنسة فريدة ابنة المعلم الياس سعادة واعظ كنيسة صافيتا الانجيلية . ومما قالتهُ : انا اعرف انك تفضل ان تأخذ واحدة مثلك انجيلية . وهذه الابنة عاشرناها وعاشرنا اهلها مدة طويلة واختبرناها حق الاختبار فلأْت عقلي واقتنعت انها هي التي توافقك وأفاضت في هذا الموضوع . ثم لما اتى الاصحاب للسلام عليَّ كان من جملتهم المعلم الياس سعادة ابو فريدة ولم اكن اعرفهُ الا بالسماع . وهو شيخ جميل لهُ لحية تكسبهُ وقاراً لابس ثياباً عربية وكان يجفو اللباس الافرنجي .

ولما كانت فروض المجاملة تقضي ان اردّ الزيارة للمعلم ابي حنا سعادة ذهبت انا واختي مريم وبعض الانسباء لاداء هذه الفريضة فاستقبلونا بالترحاب وعلى كل حال كانت الاحاديث عامّةً عن مدرسة صيدا والاحوال الحاضرة ولكن كانت النظرات تحوطني من الاب والام والاخ والاخت الصغرى سلوى وبالاخص ممن يعنيها الامر فريدة . وانا كنت احصر انتباهي في جهة واحدة . وقدّمت لنا سلوى الشراب وبعدئذٍ علمت ان فريدة ابتدأت تعنى باموري فسألت اختها سلوى اذا كانت لم تنسني فطمأنت بالها. ولما حان وقت الانصراف تقدم احدهم باقتراح لنقوم بنزهة قصيرة الى عين الحداد ولم تكن بعيدة فذهبنا معاً وكانت ان فرصة للتوسع في الملاحظات . وفي المساء جاء نسيم سعادة للسهرة عندنا وكنت اتحدّث معهُ في عدة شؤون وبخاصة شغلي في المدرسة. ولم تقتصر فكرة الاهتمام في هذا الامر على اختي بل اهتمّ عمّها تامر بشور وعائلته وكانوا يسألوني عما قرَّ عليه فكري . اما انا فأبقيت كلَّ شيء تحت الدرس . وبعد عودتي الى المشتى تقرَّر الامر بيني وبين اختي ان ابعث لها من المشتى علامة الخطبة . واذا كان عليَّ واجب ان ازور اختيَّ فريدة وهيلانة في متن بيت عرنوق أتممت الزيارة وكانت الاخبار قد سبقتنا الى هناك . وبعد عودتي الى المشتى ارسلت الى اختي مريم العلامة وتمَّ التراضي بين الفريقين وقبلت فريدة العلامة وتعيَّن وقت صلاة الاكليل قبل عودتي الى صيدا وقبل عودة نسيم سعادة الى اميركا فتحدَّد يوم الخميس في ١٠ ايلول سنة ١٨٩٦



صورة العروسين

كتبت بهذا الشأن الى القسين مارش ونلصن حتى يتكرّما بموافاتنا الى برج صافيتا في اليوم المعيَّن . وبالطبع كان اهل فريدة لابسين ثياب الحداد ولذلك كانت حفلة الزفاف بصورة بسيطة فاتى معي اخي الياس من المشتى واتى القسان مارش ونلصن من طرابلس وحضر كثيرون من انسبائنا واصدقائنا آل بشور حتى ان كبير العائلة تامر افندي اناب عنهُ السيدة ام نسيم زوجتهُ كما حضر اخوهُ ابو عزيز الياس بشور واولادهُ وغيرهم . وتمت صلاة الاكليل بحضور هذا الجمهور . ومما يلفت النظر ان سلوى اخت العروس كانت وهي تعزف على الارغن الحان ترنيمات الحفلة تهطل دموعها على خدَّيها . وبعد الانتهاء تقبَّلنا التهاني ودُعينا الى وليمة العشاء عند اهل العروس. وثاني يوم سافرنا الى المشتى حيث اقبل الانسباء والاصدقاء للتهنئة . وبعد حين اتى نسيم سعادة واختهُ سلوى لزيارتنا في المشتى فسررنا بهما وكنا نذهب واياهما الى متنزهات مياه المشتى وهي وافرة ثم عادا الى صافيتا . وفي المدة الاخيرة من وجودنا في المشتى اتى الدكتور نلصن ومستر مارش اليها وكانت فرصة للمفاوضة مع الدكتور نلصن في امر عودتي الى مدرسة صيدا فاسفرت النتيجة عن اتفاقنا على كل شيء وتقرير عودتنا وكان حاملاً لي كتاباً من الدكتور فورد بهذا الشأن احببت إثباتهُ للتاريخ ولذكرى العلاقة الطيبة المتينة التي كانت تربطنا معاً وها قد مضى اكثر من خمسين سنة على تاريخهِ.

جبيل في ٣١ آب سنة ١٨٩٦

جناب الاخ الحبيب الاكرم المعلم نسيم الحلو

بعد السلام ومزيد الشوق قد ورد كتابكم الكريم اولاً ثم عقبهُ افضل منهُ لكونهِ معرباً عن ميلكم واستعدادكم للعود الينا وفوق ذلك عن بشائر اقترانكم المبارك حتى تعود الينا ان شاء الله ببركة مضاعفة وعليهِ نحن قد وعدنا نفوسنا بشركتكم في السنة القادمة التي نروما اكثر من الاول لكون المدرسة قد فقدت استاذها الخبير المستعد الهمام حتى يقتضي التعويض بزيادة النشاط في الذين يسلمون لنا (يشير الى انتقال المعلم يواكيم الرامي من خدمة المدرسة الى خدمة كنيسة ابل السقي الانجيلية). واما بخصوص تفاصيل شغلكم هنا والراتب الشهري وغير ذلك فقد فوضت الاخ المحبوب المقتدر القس نلصن ان يقوم مقامي في مخابرتكم وينهي ما يقتضي إنهاؤه بالنيابة عني وانا اقوم بكل ما يرتبهُ هو . ومن جهة المحل فاذا لم نجد في البلد محلاً انسب من ذلك فنقدم لكم الطابق الاعلى بتمامهِ من دار البرج . والرب يأتي لكم بسلام . تفتح المدرسة في ١٤ ت ١ ولكني ارجو قدومكم قبل بوقت . اقبلوا مني التهاني القلبية سلفاً واهدوا مثلها لجناب المصونة مختارتكم . ودوموا الى اللقاء بالتوفيق والسرور اخوكم

جورج فورد

سفر العروسين الى صيدا

•

لما حان وقت سفرنا الى صيدا جمعنا ما لنا من ادوات منزلية مما يمكن نقلهُ واستأجرنا من ينقلها الى صيدا راساً وهناك يتسلمها الوكيل ويحفظها لنا لاننا سنتأخر بعض الوقت في مرورنا على برج صافيتا عند بيت عمي وكانت اختي مريم عندنا في المشتى فودعناها مع سائر الاهل وسافرنا الى صافيتا ونزلنا في الحارة الشرقية عند بيت عمي، وهم مشتاقون الى فريدة التي لم تغب قبلاً عن البيت . وفي زيارتنا لبيت تامر افندي بشور سلَّمونا سجادة كانت اختي مريم قد اودعتها لنا عندهم لحفظناها سنين طويلة (الى ان تزوجت ابنتنا ليا فاختارت ان تأخذها معها) . وبوجودنا في صافيتا اخترنا ابنة اخذناها معنا خادمة لتساعدنا في اشغال البيت اسمها هيلانة بطرس باجرة ريالين مجيديين في الشهر . ثم ودَّعنا وسافرنا الى طرابلس فحللنا ضيوفاً على العم انطونيوس سعادة اخي عمي ابي حنا سعادة. وموقع بيتهُ في حي التربيعة وهو شقتان مشتركة بين الاخوين فاستقبلونا على الرحب والسعة .

واسعفنا العم انطونيوس سعادة ثاني يوم بتدبير خيل لركوبنا ونقل اغراضنا الى البترون حيث نجد عربات توصلنا الى بيروت . وفي البترون استأجرنا عربتين واحدة لركوبنا والاخرى لنقل اغراضنا وسافرنا فلم

نبلغ جونيه الا لبعد الغروب فنزلنا في الفندق وهنـاك وضعنا انفسنا واغراضنا في غرفة واحدة وثاني يوم سافرنا الى بيروت حيث تتيسّر وسائل النقل . فسلّمنا الاغراض الى السيد صادق الحاصباني عميلنا المشهور ليوصلها امامنا الى المدرسة في صيدا واعطانا خيلاً لركوبنا ، فسافرنا الى صيدا ولما بلغناها وجدنا اغراضنا كلها مودعة لنا في الغرفة التي كنت اسكنها قبلاً . ولما سألنا عمّا اذا كان قد أخلي لنا دار البرج لننقل اغراضنا اليه قيل لنا انهم يفتشون لنا على بيت خارج المدرسة ولسوء الحظ وحسنه لم يتوفقوا في هذا المسعى وبعد رأي سُمِح لنا ان نحتلّ الطابق الاعلى من دار البرج . اولم يكن استعدادنا وافياً لتأثيث البيت الجـديد وبمساعدة بعض الاصحاب اشترينا ما هو ضروري واتينا بمنجد يهودي اشتغل لنا المقاعد والمساند وبعد وقت قصير قدرنا ان نستقبل المسلّمين والمهنئين .

وكان الناس في تلك الايام اكثر قناعة وبساطة في تأثيث بيوتهم عما هم عليه الآن . وموقع بيتنا وان كان بناء قديماً فهو جميل المناظر يشرف على الجبال والبساتين الزاهية وقبل ان يخرج الناس خارج المدينة كان يُحسب البرج من المساكن الممتازة . واول مجيئنا قبل ان نرتب مسكننا الجديد تكرّم بعض الاصدقاء بدعوتنا للطعام في منازلهم . وانا كنت باهتمامي مقسّم بين تدبير بيتنا الجديد وبين تدبير المدرسة لاستقبال التلاميذ اول مجيئهم . وهنا تذكرت اشارة الدكتور فورد في

كتابهِ الى المشتى عن الخسارة الكبيرة بغياب المعلم يواكيم الراسي عن المدرسة فقد شعرنا بالفراغ الكبير الذي احدثهُ وهيهات ان يملأه شخص بمفرده[(١)] . نعم وُجد من يتسأم الادارة وهو نسيبه المعلم خليل سمعان الراسي الذي انتقل من مركز جزين الى مدرسة صيدا واحتـلَّ بيت المعلم يواكيم في القسم الشمالي من وود هول . ولكن تقسّم ما كان يقوم بهِ المعلم يواكيم وحده بين عدة اشخاص . ومن هذا الوقت تعرفت بالمعلم الجديد الذي سندعوه من الآن فصاعداً القس خليل الراسي لانهُ رُسم فيما بعد قسيساً لكنيسة صيدا . وتوثقت بيننا وبينهُ عرى المودّة . ودامت مدة وجوده في صيدا ، مرجعيون ، والبرازيل ، وكانت الرسائل متواصلة بيننا وبينهُ حتى اواخر حياتهِ .

قلنا اننا ترتبنا في بيتنا بعض الترتيب ولكن بالحقيقة اننا لم نزل في صف المبتدئين في تدبير المنزل لم نتمرّن كفاية عـلى حمل مسؤولية البيت واسمحوا لي ان اذكر حادثاً بسيطاً في داخلية البيت وهو اننا

(١) سار المعلم يواكيم مع المدرسة منذ اول طفوليتها حين ابتدأت باربعة تلاميذ يأكلون على الطبلية في بيته ورافقها الى ان نمت وكبرت وهو قابض على جميع شؤونها بيديه يشتري الاغراض لها من السوق ويرسلها مع الخدمة . وهو الـذي تحمَّل مسؤولية تأديب التلاميذ مع شيء من الشدة . وكان هو واعظ كنيسة صيدا حين غياب المرسلين . ورئيس مدرسة الاحـد سنين طويلة . وكان لديه الاذن والترخيص في الخروج والدخول للتلاميذ . واعتاد ان يضبط هذه الامور كلها بيده لا يكل ولا يملّ . وحسبه ان يكون مستقلاً ويأبى ان يتنازل عن شيء من مهامه الكثيرة واذا حصل سوء تفاهم بينه وبين بعض المعلمين فهو الظافر دائماً .

عجناً احد الايام ولما قصدنا ارسال الخبز الى الفرن وجدناه مقفلاً لانهُ كان يوم عيد ولا يفتح الفرن فيهِ فاحترنا في مسألة تدبير الخبز والافران جميعها مسكّرة . ليست الصعوبة في تدبير الاكل فاننا نستطيع ان نشتري من السوق الخبز ونستعير من الجيران . انما الصعوبة في ان الخبز المختمر يتترع وتخمرهُ . اذاً ترتب علينا الرجوع الى الاعصر القديمة فنشعل النار ونشوي خبزنا على مشواة اقراص الكبة . وهكذا عملنا وما اطيبهُ خبزاً اذ اكلناه بعرق وجوهنا .

البئر الارتوازية

•

اشترى المرسلون الاميركان في هذه السنة ١٨٩٦ قسماً من اراضي قرية الميومية التي تبعد نحو خمسة كيلومترات عن صيدا . وشرعوا يشتغلون ويصلحون في ما اشتروه على طريقة فنيَّة متقنة تهيئة لفتح فرع زراعي كما انشأوا فرعاً صناعياً ولزيادة العناية وتوفير اسباب النجاح ارصدوا مبلغاً من المال لاستنباط الماء بالآلة الخاصة لحفر الآبار الارتوازية . وتولّى الاشراف على هذه المنشآت الجديدة الدكتور جورج فورد . فجلب الآلة من اميركا الى صيدا . واستحضر مهندساً زراعياً لادارة الحفر واستحسن ان يجرب العمل اولاً في دار المدرسة في صيدا . وكانت هذه الآلة تُدار بقوة البقر ولكنهم وجدوا بعد قليل انها لا تفي بالغاية

فعدلوا عنها واشتروا آلة بخارية بقوة اثني عشر حصاناً فوفت بالمقصود. واستمر الحفر والآلة الثاقبة تخرق طبقات الارض مارةً على اجناس الصخور المختلفة التي حُفظ منها عينات من قطعها المتفتتة وكانت الآلة تصادف بعض الاحواض من المياه الاّ انها لم تكن ترتفع في الثقب او انها ترتفع ارتفاعاً قليلاً على عمق سحيق لكونها غير مضغوطة ضغطاً كافياً او لان لها مهارب تنصرف فيها . فلم يبقَ والحالة هذه من فائدة في الاستمرار على انزال المثقب الى الطبقات السفلى . فدفعاً لكل محذور كانوا ينزلون القساطل الحديدية ممسكة بعضها برقاب البعض ، حتى بلغت قعر الثقب فأعادت الآلة الثاقبة سيرتها الاولى في خرق الطبقات وكان يستمرُّ هذا العمل نهاراً وليلاً. ولما بلغوا عمق ٧٥٠ قدماً لاحظوا ان الماء اخذ يرتفع في انابيب الحديد شيئاً فشيئاً حتى بلغ ما يقرب من سطح الارض ووقف عند درجة عشرين قدماً تحت سطح دار المدرسة . ومع انهم والوا النزول الى الطبقات السفلى حتى بلغ العمق ٩٠٠ قدم ولم يرتفع الماء عن الحد الذي بلغه . ثم حفروا بئراً ثانيةً في جانب آخر من دار المدرسة فكانت النتيجة مماثلة في الحالتين . وكانت ادارة المدرسة قد استدعت المعلم مخائيل بستاني ليكون ناظراً على الاملاك التي اشترتها في قرية الميومية وغيرها . وفي اثناء حفر البئر الارتوازية كان مساعداً مع المهندس وحدث مرة اثناء حركة الآلة البخارية ان علق بين السير والدولاب فدار بهِ ورماه فانكسرت رجلهُ فتعطل بسببها طويلاً ولكنها جبرت

وعاد الى عمله . ثم نقلوا ادوات الحفر الى اراضي الميومية وجربوها في اماكن مختلفة في المرتفعات والمنخفضات فلم تنجح . وكان نجاحهم في بئري صيدا أوفى من سواهما .

⊙ ⊙ ⊙

غير خافٍ ان مركز مدرسة الفنون حيث حفرت البئران كان اعلى من سطح البحر وكان ممكناً جرّ الماء الى الاحياء الواطئة المجاورة للبحر ولكن تُرك ذلك واقتصرت الفائدة على ما يستخرج بالطلمبا حال كون الماء في اصله غزيراً جداً عذباً فراتاً ، والذين كانوا يشربون منه صاروا يعافون الشرب من ماء نهر الاولي الذي كان يشربه اجدادهم . وقد أرسل منه الى مختبر الجامعة الاميركية في بيروت وفحص فوجد جيداً جداً . ثم إن الدكتور فورد شرع بمدّ الانابيب الحديدية تحت الارض مبتدئاً من وجه الارض في الجهة الشمالية الشرقية في المدينة حيث تبتدىء طريق بيروت . اذ اشترى بقعة بني فيها غرفة وتبرّع بانشاء سبيل ضخم على نفقته واهداه لبلدية صيدا وقد تمّ هذا المشروع الكبير وجرى الماء بغزارة وفي مساء يوم الجمعة في ٢٣ حزيران سنة ١٩١١ كان لي الحظ ان ذهبت مع صاحب المشروع الدكتور فورد وقرينته وبعض المدعوين من الاخصاء الى المركز المقام لتوزيع الماء منه وكان ذلك لاختبار جري الماء لاول مرة . وما كان اشدَّ دهشنا وسرورنا حين تدفق الماء بغزارة من فم القسطل ولم يمنعنا من ارتشافه ما خالطهُ من طعم القساطل وهكذا

جرى الماء في السبيل المقام ليستقي منه الجمهور *

نزهة الربيع

•

نعود الى الحوادث المدرسية الاعتيادية — كان من عادة المدرسة ان تمنح يوماً كاملاً قرب الاعتدال الربيعي في ٢١ اذار ففي هـذه السنة (١٨٩٧) ترتب ان يذهب التلاميذ بنزهة الى نهر الزهراني وان يذهب البعض بالاغراض اللازمة بحراً في القارب وقد اختاروا ان يكون طعام الغداء لحماً مشوياً . وذهب سائر التلاميذ مشاة الى المكان المذكور. ومعلوم انه يلزم كثيراً من الجهد لتحضير اللحم وشيِّه وحفظِهِ ساخناً حتى النهاية : فشرعنا في تقطيع اللحم وتحضيره للشيّ بعد ان أضرمنا النار وجرى كل شيء بترتيب وكنا كلما تهيّأ بعض اللحم المشوي نضعهُ في قدر مغطّى وهكذا الى آخر العملية . وبعد هذا الجهد والعناية من الجميع

* واقول باسف ان الناس لم يقبلوا على شراء هذا الماء الجيد والبعض اشاعوا مذمّته والطامّة الكبرى انه عندما تألفت مؤخراً شركة وجلبت ماء جديداً من نبع كفروه الى صيدا ووزعته بالتأجير والتملّك للاهالي وسدّوا الآبار ألغوا استعمال هذا الماء خارج المدرسة حتى ان السبيل الجميل المقدّم بمائه مجاناً ألغي وهُدم . فصار هذا المشروع الكبير المفيد اثراً بعد عين . واراني قد تجاوزت الترتيب التاريخي وتخطيت الزمان لاستوفي الكلام في الموضوع الواحد من جميع وجوهه .

وجدنا الغداء لذيذاً جداً خصوصاً وانه رافق اللحم بعض الاطعمة الاخرى كاللبنة والحلاوة .

واتفق ان مرّ بنا رعاة اكراد – تجار غنم – فرأينا معهم كلباً كبيراً ابيض اسمه بوزو فاشتريناهُ منهم كما اشترينا قدراً من اللبن . وحاجتنا الى الكلب في المدرسة ان بعض اللصوص كانوا يسطون احياناً على اغراض التلاميذ في غرف النوم ليلاً وقد اعيانا امرهم . ولكن لما ذاع خبر الكلب وشراسته كفّ المعتدون واللصوص عن اذية المدرسة . وكان الكلب يربط نهاراً ويُطلق ليلاً . وقد اعتاد على اهل المدرسة فلا يمسهم باذى واذا رأى احداً غريباً مع اناس من اهل المدرسة لا يتعرّض له بعكس اذا كان وحده .

صيفيتنا في صيدا

•

وبعد نهاية الاعمال المدرسية تفرّق التلامذة والاساتذة ، كلٌ ذهب في سبيله وبقينا نحن في صيدا نقاسي حرّ ايام الصيف . والذي اعاقنا عن الذهاب صعوبة السفر وبعد المسافة ، ولان زوجتي كانت حاملاً لا تحتمل المشقات . وكانت مراسلات الاطمئنان متبادلة ومتواصلة بين بيت عمي في طرابلس وبيننا الى ان قربت ايام الولادة في اواخر اشهر الصيف

فاتوا من طرابلس الى صيدا ليكونوا بقرب ابنتهم فريدة · اذكر اني حين استقبلتهم في دار المدرسة وكان يتصل بسلّم خشبي الى بيتنا في البرج ما اصطبر عمي حتى يبلغ البيت ويرى فريدة بل بادرني بالسؤال عنها ليطمئنَّ باله · وكم كان ملتقاهم بها مؤثراً

اما الولادة فكانت في ٢٤ ايلول الساعة الثامنة مساء عام ١٨٩٧ وكان المولود ابنةً وقامت الوالدة بالسلامة · وكنت قد اتفقت مع فريدة على اسم عربي خفيف فاتخذنا لها اسم (لميا) ولما سألنا جدها ابا حنا عن اسم مشترطين ان يكون عربياً اخذ يسرد قائمة اسماء ابتدأ فيها باسم لميا فقلنا له قف عندك هذا ما اخترناه نحن · ونظمت لها تاريخ ولادتها بابيات ثلاثة قلت :

مولودةٌ أنعم المولى بها ولكم ... لله في خلقه يا قوم آلاء
قد اشرقت دارنا من يمن طلعتها ... لما بدت ولها للطرف سيماء
وانشدت بلسان الحال قائلةً ... يا صاح ارّخ اتت غيداء لمياء

ها قد وجد الرابط القوي بين الرجل والمرأة اعني به الاشتراك في تربية الاولاد الامر الممزوج بالسرور والآلام · ذكرنا في ما مرَّ اننا لم نزل مبتدئين في فن تدبير المنزل والآن بعد انقضاء سنة وولادة الابنة ارتقينا الى صف اعلى اقصد به تربية الاولاد · وفي المدة الاولى من هذا الطور بوجود والديْ فريدة واختها معنا كان الامر يسيراً نوعاً لانهم

أعانونا وارشدونا في كيفية سلوك هذا السبيل . اما انا فكنت اكثر اوقاتي اقضيها في الواجبات المدرسية ولكن لان بيتي ضمن دائرة المدرسة كان سهلاً عليّ ان انتقل فوراً من الواجبات العامة الى الواجبات الخاصة. واما امرة عمي وابنتها سلوى فكانت مهام البيت ومساعدة فريدة تشغل كل اوقاتها وكان عمي يذهب لزيارة بعض الاصحاب في اماكن شغلهم ممن تعرّف بهم في المدينة فيتسلى بمحادثتهم . ولانه كان متفقهاً في الشرائع الدينية ليس المسيحية فقط بل اليهودية والاسلامية ايضاً كان يبحث مع الناس من كل الاجناس بصورة حكيمة (روحية ومفيدة) بعيدة عن مماحكات الجدل العقيمة . وكان الجميع يسرون ويستفيدون من محادثته وخاصة صديقه الصراف اليهودي ابرهيم خياط فهذا كان الى مدة طويلة يتذكر محادثاته مع عمي ويسألني عنه . وفي مدة وجود امرأة عمي عندنا عملت انا مربّى زهر الليمون المختص بهِ الطرابلسيون . واعجب ان اهل صيدا مدينة الليمون مثلما هي طرابلس لا يعنون بصنعه مع مهارتهم بصنع المربيات الاخرى .

عماد لميا

•

تقدم معنا ان العمل كان جارياً في حفر البئر الارتوازية في دار المدرسة وظهرت تباشير النجاح ولزيادة رغبتي واهتمامي في هذا المشروع قصدت

تأخير معمودية ابنتنا ليا حتى يخرج الماء من قلب الارض الى وجهها وقد اعلنت قصدي هـذا للدكتور فورد . ولكن لما طالت مدة الانتظار انقذ الموقف الدكتور فورد بانهُ يمكننا ان نخرج المـاء من البئر ونعمد الابنة بهِ خشية ان تطول المدة اكثر فاتفقنا وعينا الاحد في ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٨ لتعميدها وكانت العادة المألوفة ان يغتنم الوالدون وقت الاشتراك في العشاء الرباني ليقدموا اولادهم الى المعمودية ولكن هذه المرة لم يكن اشتراك فاقام الدكتور فورد خـدمة العبادة والوعظ جاعلاً المعمودية موضوعهُ الخاص واحضر معهُ الماء من البئر الارتوازية وعمّد ابنتنا ليا بهِ .

هذا وقد كنت في هذه المدة حين ارى والداً في الشارع او في المتنزهات ماسكاً بيد ابنهِ وماشياً بجانبه اناجي نفسي قائلاً : متى تكبر ليا ابنتنا وتصير تمشي هكذا بجانبي ؟ وعلى سيرة مشي الاولاد اروي لك فكاهة عن ولد صغير (قالت ام لطفلها – اتودّ ان تمشي يا زوزو او تركب الترام ؟ اجابها الطفل احب المشي على شرط ان يحملني احد)



فاجعة خاتمة المدرسة

•

أُصيبت المدرسة في آخر مدتها بفاجعة أليمة بفقد احد الشبان من الصف المنتهي واسمهُ دياب موسى نكود من قرية فيروزة بجوار حمص وكانت وفاتهُ غرقاً في البحر . اعتاد التلاميذ منذ بدء تأسيس المدرسة ان يذهبوا للاستحمام في البحر وقد مرَّت هذه السنون الطويلة ولم يصبها مثل هذه الفاجعة التي كان وقوعها يوم الخميس في ٢ حزيران سنة ١٨٩٨ اذ كان التلاميذ حسب العادة يستحمون ولما لم يكن البحر هادئاً يطمئن اليهِ البال اوعز اليهم المعلم المرافق لهم ابرهيم فارس داغر ان يخرجوا الى البرّ ليلبسوا ثيابهم فهمّوا بالخروج وتخلّف بعض كبار التلاميذ وكانوا قد ابتعدوا عن الشاطئ. فعسر عليهم العودة وبصعوبة كلية وصلوا الى البرّ عدا واحداً منهم وهو دياب موسى المأسوف على شبابه اذ غالب الامواج فغلبتهُ وغمرتهُ ولم يقفوا له على اثر الاَّ بعد التفتيش الطويل فعرفوا انهُ قُذف بجسمه على شاطئ رمل النبي يونس شمالي صيدا فأُتي بهِ وصار لهُ مأتم حافل في محفل المدرسة ألقى الدكتور فورد خطبة « والبحر لا يوجد في ما بعد » (رؤ ٢١ : ١) كان لها وقع مؤثر في الجميع . ثمَّ ووري جثمانه في المقبرة الانجيلية فودعهُ رفقاؤه بدموع حزن .

مجموعة العاملين في مدرسة الفنون منذ خمسين سنة ١٩٠٠ — ١٩٠١

الحفلة السنوية

•

قدّم الدكتور فورد العظة للخريجين — عظة البكلوريا يوم الاحد في ٣ تموز وبنى كلامه على ما ورد في (يوحنا ١ : ٤) « وفيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » ولنفاسة هذه العظة أُدرجت في النشرة الاسبوعية . ويوم الاثنين الساعة الرابعة مساء قدم تلامذة الصف المنتهي خطبهم السنوية بحضور هيئة المدرسة فقط لسبب حداد الصف المنتهي على رفيقهم الراحل . ويوم الثلاثا في ٥ الشهر غصّ محفل المدرسة بالجمهور لاستماع الخطاب السنوي الذي قدمه الدكتور اسكندر بك البارودي في موضوع (صيدا والكتاب المقدس) فاجاد وافاد ثم وزع الدكتور فورد الشهادات على المنتهين بعد ان زوّدهم بالنصائح الثمينة . وهذه اسماء القسم العربي منهم داود الاشقر ، وسليمان برنين ، وميخائيل جبران ويوسف حنا ، وعبدو غراب . وهؤلاء هم القسم الانكليزي الاستعدادي انيس عجيمي ، وتوفيق فرهود ، وتوفيق داود ، ودعيبس عقود ، وسليم الخوري ، ونجيب عازوري ، ويوسف سوسو .

وعند اغلاق المدارس للعطلة الصيفية جرى زفاف الاستاذ شاكر عساف داغر على الآنسة هيلانة مسعد الحداد . وتمت حفلة الاكاليل التي قام بها القسان الدكتور فورد ووليم ادي في بيت العريس . ووقفت لها عراباً

واهديتها الكتاب المقدس مع كتاب ترنيمات .

⊙ ⊙ ⊙

في هذه الاثناء اتى الى صيدا نوع جديد من الطباخ وقوده من زيت البترول فاستغربنا استعماله بادىء ذي بدء وتوهمنا ان يكون لطعم البترول شيء من الاثر في الطبيخ ولما سألنا الذين اقتنوه عن ذلك اجابوا لا شيء من الاثر فيهِ . حينئذٍ اشتريت طباخاً من نوعهِ ببيتهِ الخارجي محافظة عليه وللموافقة استعماله وثمنهُ مع بيتهِ كان ثلاثة ريالات مجيدية. واذا سألتني وما شأن طباخ البترول وما هي اهميتهُ حتى تفسح له مكاناً في الاخبار . فاجيبك انهُ هو يذكرني بنفسهِ لانه لا يزال من اكثر من نصف قرن الخادم الامين يحتلُّ مكانهُ في المطبخ ويرافقنا في تنقلاتنا من بيت الى آخر وفي الصيفيات يتمتع معنا بجودة مناخ الجبال ايضاً فيرافقنا اليها . واذا اعتلَّ او اصابه انحراف في صحتهِ نذهب بهِ الى طبيبهِ الخاص فيعالجهُ ونعود بهِ صحيحاً للاستعمال في مقامهِ الدائم في البيت

صيفية ١٨٩٨ في المشتى

•

تشجعنا هذه السنة وقصدنا تمضية الصيفية في المشتى فسافرنا بحراً الى طرابلس. وهنا استقبلنا على المينا اهل زوجتي المعلم الياس سعادة وعائلتهُ وكانت اشواقهم عظيمة لابنتهم وعائلتها ولما هدأ روعهم واطمأنوا الى سلامتها اهتموا في تدبير الاغراض ونقلها الى البيت وركبنا جميعاً الترامواي

الذي يصل المينا بالمدينة وحللنا جميعاً ضيوفاً عليهم . واذا كنت تعهدهم سابقاً في برج صافيتا فقد تركوها الآن وعادوا الى طرابلس إستعدوا للسفر الى اميركا . مكثنا في طرابلس في بيت عمي بضعة ايام كانت فيها ليا الصغيرة سلواهم جميعاً وبخاصة لجدّها الذي كان يذهب بها الى السوق ويغريها بالبسكوت

وفي هذه المدة القصيرة تعرّفنا الى الانسباء الجدد وكانوا يريدون ان نمكث عندهم اكثر ولكننا فراراً من الحرّ عجّلنا بالسفر الى المشتى ووعدناهم اننا في العودة نمكث عندهم وقتاً اطول . فودعناهم وسافرنا ولما بلغنا المشتى تلقانا الاهل والاصدقاء بالسرور لغياب سنتين عنهم . وقضينا الصيف ننعم بالهواء الطلق النقي وبالماء العذب البارد فضلاً عن سرورنا بمشاهدة الاهل ومعاشرة الاصحاب ولم تكن احداث ذات اهمية حتى حان ميعاد الرجوع فجعلنا الطريق على عمار حيث نمنا فيها عند صديقنا المعلم انطونيوس حديد وكان ذلك يوم الاربعاء فدعاني للوعظ في اجتماع ذلك المساء فتكلمت عن امتحان ابرهيم . وكان ترتيبنا ان نقوم باكراً لنلحق الخطور (الداليجنس) المسافر من حمص الى طرابلس فنلتقي به في محطة تلكلخ ونسافر فيه الى طرابلس والقصد بهذه الدورة الطويلة ان نوفر نصف طريق طرابلس ركوباً على البغال .

ولما وصلنا الى محطة طرابلس وجدنا عمي - ابا حنا سعادة - في المحطة فاخذنا الى بيتهِ واول من استقبلهُ ليا الصغيرة فحملها الى البيت ففرحوا

بنا كما فرحنا بهم وبما ان ليا كانت على وشك الفطام اتفقنا على ان تبقى مع امها في طرابلس واعود انا وحدي الى صيدا . وهناك اكون كمعلم داخلي مدة غيابها . وهكذا تركت طرابلس ولما بلغت صيدا وحللت في بيتي رأيتهُ فارغاً موحشاً فاقنعت نفسي ان اشتغالي في مهام المدرسة سوف يلهيني ويسليني . ولسوء الحظ ان الخادم مصطفى بشاشي بينما كان يكنس وينظف احدى الغرف قلب طاولة الوسط وعليها قنديلان جديدان ثمينان فكسرهما فقلنا هذه اول خسارة لنا بغياب ربّة البيت .

وكنت بعد انتهاء شغلي في المدرسة واستعدادي للدروس اكتب الفريدة الى طرابلس رسائل ان لم نقل نشرات اخبارية فيها حوادث ماجريات اموري بالتفصيل وهذا مثال منها اثبتهُ لانهُ يشمل الحوادث التي اكتبها في هذه المذكرات — صيدا ١١ تشرين الاول سنة ١٨٩٨ .

ابنة عمي العزيزة — كان الوعد ان اكتب لكِ مرةً في الاسبوع وها انا اشذّ عنهُ بكتابتي مرتين — الآن لي فرصة ان اخبركِ عما حدث بعد كتابي السابق . قد ذهبت يوم الاحد صباحاً الى الميومية مع المعلمين وهناك شاهدت مرسلي صيدا جميعاً مع مسز وود ومعلمات مدرسة البنات وعائلة زكا ومسعد الحداد وغيرهم . وجميعهم سألوني عنكِ وبفكر الاكثرين انكِ تأتين بعد اسبوع او اقلّ . والقصد بهذا الاجتماع العام . تدشين بناية (بيولا) ولما ازف وقت الاجتماع افتتحهُ الدكتور

صموئيل جسب بالصلاة ووعظ القس وليم ادي وتكلم في الموضوع الدكتور فورد . وبعد الاجتماع سألت الدكتور فورد ان يسمح لي ان اكون كمعلم داخلي هذه المدة فرحّب بي وقال يا ليتني في صيدا لارتب لكَ جميع ما يلزمك فشكرته ثم ودعنا ونزلنا قبل الظهر . ومساء سهرت في بيت المعلم داود قربان وهناك علمت ان مرتب شهر العلاوة التي وصلتني سابقاً كهدية قد جرى تقديم مثلها الى جميع المعلمين حتى معلمي المدارس اليومية في القرى . وذلك من مكارم مستر وود لسدّ حسم مرتب الشهر الاعتيادي . وصباح الاثنين اشتغلت قبل الظهر في اخراج بعض اثاث البيت الى الشرفة لتعريضها للشمس وساعدني بعض التلاميذ في اخراجها واعادتها. ووضعت الطاولة الكبرى بقرب الحائط في مكانها القديم ورتبت المساند وفرش السرير ترتيباً يعجبكِ ولم أنسَ عن وضع صورتنا امامي على طاولة الكتابة وهذا يحملكِ على حسباني مجتهداً . وبعد الظهر صار اجتماع عند الدكتور فورد تقرر فيه ان يكون التعليم في الليل مثالة واحدة والمثالة الاخرى تُسمَع نهاراً هذا للقسم العملي . وتسلّم كل معلمين ادارة فكان نصيبي في الانشاء والخطب مع المعلم شاكر وفي الصنائع مع المعلم نوفل . والتأديبات تُركت للمعلم خليل الراسي مع مستر ستورت جسب . اترك الآن الكتابة .

لاقوم ارتب الكتب على الطاولة واضعها في غرفتي . اخبريني عن فكرك من جهة المجي. بالحرية ومعها صعب عليَّ وتعبت في غيابك افضل راحتك اذا استحسنت البقاء. لم اجد حتى الآن غسّالة تغسل وتكوي وقد كلفت ام شاكر ان تدبّر لي واحدة. نرجو ان يتيسّر الامر. انّ جميل التلميذ الذي جاء معي من طرابلس الى المدرسة مبسوط طمنوا اهلهُ عنهُ ولما رآه الدكتور فورد رحّب بهِ وآنسهُ . اهدي عني وافر الاحترام لوالديكِ مع السلام للآنسة سلوى وكذلك للخادمة هيلانة وتكراراً قبلي عني وجنات عزيزتي ليا وطمنيني عن صحتك وصحتها . .

ودوموا بسلام ابن عمك نسيم الحلو

واخيراً استقرَّ الرأي على المجي. وانا لا استطيع الذهاب الى طرابلس فعزم عمي ان يرافق فريدة في مجيئها بحراً . وهذا ما كتبهُ لي في ذيل احدى رسائل فريدة : ما أخّرنا عن الحضور الا الخوف من نوء البحر والآن ساعة تحريرهِ الطقس جيّد ولنا الرجاء بالله بان يدوم الطقس الجميل كل هذا الاسبوع ونسافر بالسلامة الى صيدا . وبوقتهِ نخبركم تلغرافياً حرر في ٢٠ ت ٢ سنة ١٨٩٨

وكانت الباخرة الصغيرة جولي مقلقة ومزعجة ولكن مع عدم مناسبتها سافروا فيهـا من طرابلس الى صيدا حتى اضطرت فريدة ان تستعين

بطبيب الباخرة ليسعفها لعظم انزعاجها في هذه السفرة. وقد يسّر الله فوصلوا جميعاً بالسلامة وعادت الحياة العادية الى البيت .

زيارة الامبراطور غليوم الثاني

•

علمنا ان جلالة امبراطور المانيا سيزور بلادنا مع جلالة الامبراطورة والخطة التي أُعلنت لهذه الزيارة انهُ يصل حيفا يوم الاربعا في ٢٧ ت ١ سنة ١٨٩٨ ويافا في ٢٧ منهُ ، والقدس في ٢٨ وفي ٢٩ منهُ يدخل القدس في احتفال عظيم وفي ٣٠ يزور بيت لحم وفي ٣١ يدشن الكنيسة الالمانية الجديدة وعندما يصل حيفا في عودتهِ يركب البحر الى بيروت حيث يصلها يوم الجمعة في ١١ ت ٢ ويبيت في السفينة وثاني يوم ينزل الى المدينة ويكون ناظم باشا – والي سوريا – قد جاء الى بيروت لاستقبال جلالتهِ والسير في ركابهِ اثناء هذه السياحة . ففي هذه الفرصة السانحة أذن الدكتور فورد لي وللمعلمين خليل سمعان وداود قربان وشاكر داغر ان نتوجه الى بيروت يوم وصول الامبراطور على ان يدبّر الدكتور مثالثنا في غيابنا لتكون لنا فرصة لمشاهدة صاحب الجلالة والتفرُّج على حفلة استقبالهِ . وفي هاتيك الايام كانت زيارة بيروت لا تنقضي بيوم او يومين كما في عصر سير السيارات بل يلزمها ثلاثة ايام واكثر . فسافرنا الى بيروت وحللنا في الفندق ورأينا استعدادات الحكومة الكبيرة . ولوجود

بعض وقت الفراغ لدينا قمنا بنزهة الى ضبيه فسررنا بها وفي الوقت المحدود لنزول الامبراطور والامبراطورة الى المدينة هرعنا الى الميناء فرأينا الجماهير يملأون الشوارع والفسحات فوقفنا في جهة موافقة ولكي نرتفع قليلاً استأجر كل واحد كرسياً صغيراً بربع ريال مجيدي ليقف عليهِ ويشرف على الطريق. ولما نزل الامبراطور ضجَّ الجمهور بالهتاف والتصفيق ومرَّ الموكب فلمحناهُ لمحاً . وتحرَّك الجمهور كموج البحر الزاخر . واتفق ونحن في ساحة البرج ان مرَّ الموكب الامبراطوري بنا

وفي هذه الزيارة الملكية قدَّم المعلم اسعد الشدودي هدية للامبراطور منظومة سفر امثال سليمان الحكيم فقبلها واجازه عليها بان تطبع على نفقتهِ ويستغل مقدّمها مدخولها. ولما اكملنا هذه الزيارة عدنا الى اشغالنا التي تنتظرنا في المدرسة .

ولادة ابنتنا سلوى

•

كان على عمي المعلم الياس سعادة ان يتحمَّل مشقة سفر آخر من طرابلس الى صيدا مع امرأة عمي لحضور ولادة فريدة . فكانت ابنتها سلوى تلحّ عليها بسرعة السفر ليلحقا الولادة وكانت تعلّم عند ذاك في مدرسة البنات الاميركية في طرابلس. فجاءا هذه المرَّة راكبين على خيل كل هذه المسافة الطويلة وهما شيخان . وكانت امطار الربيع قد امدَّت

الانهار فامتلأت وفاضت وصعب قطعها. فلما وصلا الى آخر الرحلة عند نهر الاولي حاولا قطعه قرب البحر وهو فـائض فكادت الخيل تغرق تحتها وكادت امرأة عمي تغرق لو لم ينجدهما اهل الغيرة ويسعفونهما في العبور الى الضفة الثانية . واعانهما الله ووصلا بالسلامة الى دار المدرسة فاسرعت لاستقبالهما ومع كل ما نالها من التعب زال تعبها حين شاهدا ابنتها فريدة مبسوطة وابنتها لميا. وطالت المدة بعد مجيئها حتى ولدت وكانت ولادتها صباح الاربعا في ٢٩ اذار سنة ١٨٩٩ وكان المولود ابنة ثانية سميناها سلوى محبةً في خالتها سلوى . وكانت سلوى سعادة قد لحقت بوالديها الى صيدا وكنا نفكر ان نسميها سلام تفاؤلاً بمؤتمر السلام الذي دعا اليهِ نقولا الثاني امبراطور روسيا وعُقد في ١٨ ايار من السنة نفسها في مدينة لاهاي عاصمة هولندا . وكانت الطفلة شقراء الشعر . ولما قامت فريدة بالسلامة واطمأن بال اهلها من جهتها عزموا على السفر الى طرابلس ليستعدوا الى سفر ابعد - الى الولايات المتحدة - حيث يوجد ابنهما حنا واخوه نسيم والأخ الاخير في اخذهما اليهِ لانهُ هو لا يستطيع ان يترك شغلهُ الناجح في تجارة السجاد ويسكن معهما في طرابلس . فودّعناهما وداعاً لا رجاء في اللقاء بعدهُ وكان ذاك مؤثراً جداً وما حملهم على التصبّر سوى الفكر انهم بعد وصولهم الى اميركا يدبرون امر لحاقنا بهم ولكن ...

ما كلُّ مـا يتمنّى المرء يدركهُ   تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ

وعلى اثر هذا القرار باعوا ما باعوهُ من اغراض البيت ولما قصدوا بيع البيانو قال لهم البعض ابقوا هذا لفريدة فاجابوا سوف تتبعنا فريدة فلا حاجة بها اليه . وكان سفرهم في فصل الصيف وبعد وصولهم بالسلامة بعثوا لنا برسائل الاطمئنان . وهناك اضطرَّ عمي ان يخلع على غير ارادتهِ الزي العربي ويلبس الافرنجي . وكان يصف لنا الحالة في مكاتيبه ان من يراقب الناس في الشارع يحسب ان القيامة قد قامت من السرعة الزائدة في الذهاب والاياب كأنَّ الناس هاربون يوم الحشر من الغضب الآتي . وبعد وصولهم وسكنهم مدة في بروكلن عيَّنت الجالية العربية الانجيلية عمّي واعظاً لها بتدبير الدكتور جسّ انس الذي كان رئيس مدرسة اللاهوت في بيروت سابقاً . وفي تلك الصيفية لم نجد حافزاً يرغبنا للسفر الى المشتى وبخاصة لازدياد مشقات السفر بوجود طفلين معنا فبقينا في صيدا .

واختلفت وجهة نظر الكتَّاب وهم على عتبة باب سنة ١٩٠٠ في تقرير بداءة القرن العشرين فهل هو في بداءة هذه السنة او التي بعدها فكان القرار انهُ بعد نصف ليل الحادي والثلاثين من شهر كانون الاول سنة ١٩٠٠ يبدأ القرن العشرين وبالتدقيق انهُ يبدأ في الثانية الاولى من الدقيقة الاولى من الساعة الاولى من شهر كانون الثاني سنة ١٩٠١

وفي هذه السنة استقال المعلم خليل سمعان الراسي بعد ان قضى ثلاث سنين في خدمة المدرسة وسافر الى بلاد البرازيل حيث سبقهُ اخوتهُ

وأسسوا لهم شغلاً هناك فخسرت المدرسة خدمته المفيدة . وعلى اثر ذلك استدعى الدكتور فورد المعلم متى عبود ليحل محلهُ فاتى وحده الى المدرسة وابقى عائلته في بيته في خيام مرجعيون . وكان المعلم متى موصوفاً في طيبة القلب وسلامة الطوية وبراعته في الوعظ .

نجاة غرقى المدرسة

•

وبوِلنا ان المدرسة تعرضت هذه السنة لتجربة كبيرة خطرة وبعناية الله كانت العاقبة سليمة . وذلك انهُ في اواخر سنة ١٨٩٩ في شهر كانون الاول اعطت المدرسة رخصة للتلاميذ كي يخرجوا فيها الى السوق لقضاء حاجاتهم وليتجولوا في متنزهات المدينة . فخطر على بال فريق منهم ان يقوموا بنزهة بحرية فاستأجروا قارباً وبحريتهُ لكي يجولوا فيهِ حول الجزيرة وقلعة البحر وما يحيط بالشاطىء . وكان هؤلاء يملأون القارب حتى كاد يضيق بهم واتفق ان مرَّ على الميناء المعلم متى عبود وهم ينزلون الى القارب فدعوهُ لمرافقتهم فلبى الدعوة ورافقهم . وبعد ان جال قليلاً عرض ان سقط طربوش احدهم في البحر فمدَّ يدهُ ليتناولهُ من الماء ومدَّ آخرون كذلك ايديهم مُلقين ثقل اجسامهم على حافة القارب وزاد الطين بلة ان اتى تلاميذ من الجانب المقابل وجرَّبوا ان يسعفوا رفقاءهم فاختلّت الموازنة ومال القارب وقلب راساً على عقب بمن فيهِ وكانت

ساعة ويا هول تلك الساعة • حينئذٍ تجلّت النخوة ولعبت المروءة في رؤوس بحرية صيدا الموجودين على الشاطئ حين وقعت الواقعة فالقوا بانفسهم في الماء وشرعوا في انقاذ الغرقى واحداً بعد واحد فاعان الله واخرجوا الجميع من وسط اللجج الى شاطئ السلامة • وكان المعلم متى من الذين تعبوا وكان اكثر الجميع تعباً التلميذ حليم بركات من جديدة مرجعيون • واتوا بالجميع الى المدرسة وجاء الطبيب واجرى الاسعافات اللازمة للمحتاجين • ولما قصد الدكتور فورد ان يقدّم مكافأة مالية للبحرية ابوا قبول اي شيء• ثم دعاهم الى وليمة عشاء في المدرسة يشتركون فيها هم والتلاميذ الذين انقذوهم فرضوا وقام التلاميذ على خدمة الضيوف • وبعد الوليمة قدم الدكتور فورد لكل واحد عباية حرير عربون المحبة والاعتراف بالجميل •

رسامة المعلم اسعد عبود قسيساً

•

كان المعلم اسعد عبود الاشقر اول من رُسم قسيساً من رفقائي في مدرسة اللاهوت وتمّت رسامتهُ لمركز صور في كنيسة صيدا الانجيلية في ٢١ ت ١ سنة ١٩٠٠ واشترك في حفلة الرسامة الدكاترة دانيال بلس وجورج فورد وصموئيل جسب والقسوس وليم ادي وفرنكلن هسكنس ويوسف بدر وفي هذه الاثناء وُلدت ابنتنا نجلا وفي

خريف هذه السنة ١٩٠٠ طلب مني الدكتور فورد ان استلم خدمة الكنيسة في خيام مرجعيون

تدشين بناية بيولا مدرسة لليتامى

•

قصد الدكتور فورد ان يدشن بناية بيولا مدرسة لليتامى رسمياً بحضور المجمع المشيخي الانجيلي فدعاه للالتئام فيها وطلب ان يكون اعضاؤه ضيوفاً على ادارة المدرسة وذلك يوم الجمعة في ٥ تموز سنة ١٩٠١ فاجتمع عدد من القسوس الاجانب والوطنيين والمبشرين وخدمة الكنائس والنواب . وبعد اجراء المراسيم المختصة بالمجمع بعد ظهر السبت استعداداً لحفلة التدشين. فافتتح الاجتماع القس اسعد عبود بالترنيم والصلاة وقرأ المعلم يواكيم الرامي فصلاً من الكتاب المقدس ثم وقف الدكتور فورد يعرّف الحاضرين بالتلاميذ اليتامى الموجودين فكان كل يتيم يقف ويتلو عن ظهر قلبه بعض آيات وترانيم ومزامير . وقدم الدكتور صموئيل جسب خطاباً في شرف خدمة اليتامى والقس يوسف بدر في واجباتنا نحوهم وخُتمت الحفلة بالترنيم والصلاة .

وفي ٢١ تموز سنة ١٩٠١ توفي طبيب المدرسة الدكتور شبلي ابلا واحتراماً لذكره أُبدل اجتماع صلاة صباح الاحد في الكنيسة الانجيلية

ليتسنى لاعضاء الكنيسة حضور الجناز في كنيسة اللاتين . وبعد وفاته استدعت ادارة المدرسة الدكتور سليم افتيموس ليكون طبيب التلاميذ الخاص بدلاً منهُ .

الاصطياف في جباع الحلاوة

•

ان حرّ الصيف في مدينة صيدا شديد الوطأة على الناس ولذلك من استطاع الى الهرب منهُ سبيلًا فرّ الى الجبال حيث الهواء العليل والماء السلسبيل . فاجتمع ثلاثة من اساتذة مدرسة الاميركان في صيدا وقرروا ان يقصدوا معاً قرية جباع الحلاوة للاصطياف فيها وهم داود قربان وشاكر داغر ونسيم الحلو وانضمّ اليهم الخواجا نخله زكا واختهُ المعلمة مريم وامها . فذهبوا اولاً للاستطلاع وكشف الموضع وان امكن استئجار منازل . والحقّ ان بلدة جباع جميلة – مياهها غزيرة وجنائنها فاخرة فيها من كل فاكهةٍ زوجان ناهيك بالمناظر التي تشرف عليها مما يبهج العيون ويسرّ القلوب ولكن (لا تعدم الحسناء ذاما) فاننا لم نجد فيها بيوتاً مرتبة مناسبة للاجار . ومع ذلك رضينا بما تيسر لنا فاستأجرنا افضل ما يوجد . وعدنا الى صيدا نستعدُّ للصعود الى جباع . اما اغراض البيت فارسلناها مع بعض الحمالين ونحن وعيالنا ركبنا على دواب من كفر ملكة ووضعنا الاولاد

في صنـاديق مكشوفة عـلى ظهور الدواب ايضاً . وهناك المشقة والتعب في السير نحو خمس ساعات . ويسّر الله ووصلنا سالمين ولكن منهوكي القوى . وبعد ان استقرَّ بنا المقام وارتحنا من عناء السفر شعرنا بارتياح وانتعاش من جودة الهواء وعذوبة المـاء . واهل البلدة قوم يعطفون على الضيف الغريب ويكرمونهُ واكثريتهم الساحقة من طائفة الشيعة بينهم قليل من المسيحيين الروم الكاثوليك يشتغلون كحدادين ونحاسين وكان صاحب بيتنا الحاج محول لهُ كلمة مسموعة ومكانة بين الناس .

نحن لا نحبُّ ان ننتقد من يتشدّد في التمسُّك في عقائده وعاداته والاهالي كانوا يسايرونا بقدر الامكان والوجوه الذين يختلطون معنا ويعاشرونا مشايخ بيت الحرّ وكبيرهم الشيخ علي افندي وهو جليل القدر ومحترم جداً فاتى اكثرهم للسلام علينا وشربوا قهوتنا وهذا من باب التسامح ونحن رددنا لهم الزيارة وشربنا قهوتهم . اما العلماء في الدين فلم يشربوا القهوة عندنا منتحلين لذلك اعـذاراً . والطامّة الكبرى في امر الخبز في الفرن عندهم ، فان الفرّان لا يسوغ لهُ ان يضع خبزنا على بلاط الفرن مباشرةً بل على صفيحة من نحاس تفصل بين الخبز وبلاط الفرن. وكانوا يخبرونا ان جباع كانت مصيفاً مشهوراً للعائلات المنظورة في صيدا فيقصدها القناصل وغيرهم من الاجانب . ورَوَوا لنا بعضاً من نوادر الدكتور كرنيليوس فانديك الذي كان مصيفاً

في الجباع فاشتكوا اليهِ مرة على ابنهِ وايم في حداثتهِ بانهم رأوهُ يمشي على جسر خشب طويل يرتكز على جدارين من بناية السرايا الخربة والعلوّ ليس قليلاً فيخشى عليهِ من السقوط فاجابهم ان وليم ربما دُعي الى الخدمة في البحرية وحينئذٍ يُطلب منهُ ان يمشي على جسر اشدّ خطراً من هذا فدعوهُ وشانهُ يتمرّن حتى لا يخشى السقوط. وبين المشايخ ادباء وعلماء ومنهم البعض يذهبون الى العراق فيقضون جزءاً كبيراً من عمرهم في النجف الاشرف يدرسون علوم اللغة والفقه الديني والاصول فيحصلون على درجة العالمية بعد غياب سبع عشرة سنة او ما يقارب ذلك والشبان من اولاد المشايخ يراعون حاساتنا. فقد قصدنا مرةً ان نقوم بنزهة في مكان يسمى (مزاريب العسل) فلما وقعت انظار اولاد المشايخ علينا من بعيد وكانوا قد سبقونا الى ذلك المكان ما كان منهم الأ ان حملوا اشياءهم وقصدوا مكاناً آخر تاركين لنا المكان دون ان يقبلوا التماسنا ببقائهم. وماذا نقول عن فاكهة جباع فهناك الخوخ باجناسهِ والاجاص والعنب الزوتراني والجوز اما السفرجل فهو الفاكهة العامة التي لا ينقطع طول اشهر الصيف تصديرها الى صيدا وبيروت، ولوازم المعيشة من لبن وحليب وبيض ميسور ويمكن الحصول عليها باثمان معتدلة (كنا نشتري ١٢ بيضة بغرش واحد) فاين نحن من ذلك الزمان !؟ وكذلك اللحم موجود دائماً واكثرهُ من الماعز. فهذه الاشياء وسواها جعلتنا مسرورين وحببت لنا ان نعيدها سنة اخرى. ولما انتهت الصيفية عدنا الى تمثيل الرواية

التي اتممناها في المجيء للاغراض والركوب على الدواب .

معاونة الرئيس واسم مدرسة الفنون

في اثناء صيفيتنا في جباع سنة ١٩٠٢ كان لنا اتصال بالدكتور فورد المصيف بجوارنا في محلة اسمها الرمانة في المخيّم . وكان يبعد اكثر من ساعة عن جباع . فكنت ازوره واجتمع بهِ مراراً واساعدهُ في الترتيب المدرسي وفي الاشغال الكتابية . وقد دعانا ثلاثتنا داود وشاكر ونسيم لموافاتهِ الى حرج قرية كفرملكة تحت جباع وكان في طريقهِ الى صيدا لاجل المشاورة في بعض الاشغال ومساعدتهِ في بعض الامور وفي ذلك الاجتماع تقرَّر ان يكون اسم المدرسة العربي (مدرسة الفنون) .

زيارة نجيب الحلو وحادث الفرس

●

زارنا في جباع اواخر المدة ابن عمي نجيب الحلو وقد اتى راكباً فرسهُ ونام تلك الليلة معنا في غرفتنا الضيقة ، فربطنا الفرس امام باب الغرفة المشرفة على البرّية . وكان ذلك الباب لا مفتاح ولا قفل له . واعتمدت ان اسندهُ بقطعة من الخشب كي لا يفتحهُ الهواء وفيما نحن نيام اذا بنجيب يوقظني حول نصف الليل ويقول : الفرس مأخوذة هي غير

موجودة . فقمت للحال وأيقظت جارنا الحـاج نحول واعلمناه الامر . فقال لا تخافوا (لصوص جباع لا يسرقون من جباع) . وجرينا جميعنا على الطريق العام نفتش عن الفرس ونسأل عنها واذا برجل من داخل داره ينادينا : انتم تفتشون عن الفرس الشاردة . ها هي مربوطة في الدار ادخلوا حلُّوها وخذوها . فاني سمعت وقع حوافرها وهي شاردة فخرجت وامسكتها لئلا تبتعد اكثر فلا تقدرون على اللحاق بها ، وقد حفظتها ريثما يأتي اصحابها ويسألون عنها . فشكرنا له مروءته وعدنا بالفرس الى مربطها فكتفناها اكثر من الاول . وفي الصباح عاد ابن عمي نجيب بالسلامة راكباً فرسهُ .

وفاة المسز فورد

وفي ٢٧ كانون الاول سنة ١٩٠٣ توفيت ماري بري فورد والـدة الدكتور فورد ، وكانت خير معين لابنها في خدمته وكانت لنا علاقة محبة وصداقة معها . وكانت علامة محبتها ان اهدتنا آية من الكتاب المقدس (من مزمور ٣٧ : ٧) باطار جميل وعلقته على جدار منزلنا اول ما فتحنا بيتنا



الشيخ ابرهيم الحوراني

•

كنت في احدى زياراتي الى مدينة بيروت قد اسعدني الحظ بمقابلة الاستاذ الاكبر الشيخ ابرهيم الحوراني ، وكنت اعلم سابقاً انهُ مدعو لالقاء الخطبة النهائية على الخريجين في حفلة توزيع الشهادات للمنتهيات في مدرسة البنات الاميركية مساء الجمعة في ٢٢ ايار سنة ١٩٠٣ . فرجوتهُ ان يكون ضيفنا في زيارتهِ هذه الى صيدا ، فتكرَّم بقبول الدعوة وعند حضوره جاء الاساتذة والاصدقاء للسلام عليهِ والتمتع بفكاهاتهِ الشهية. وفي صباح الغد رايتهُ جالساً في غرفة الاستقبال ليشرف منها على بساتين صيدا الغناء وهو يكتب فظننت انهُ لم يُتمّ نسخ خطابهِ ولما سألتهُ اجاب موضوع خطابي (المستقبل) وليس فيهِ من الفكاهة ما يستدعي الانتباه فأحببت ان اقدم لهُ بابيات اوجهها الى الجمهور . فقلت ولكن لا يوافق ان تتلوها ليلاً وهي مكتوبة بقلم رصاص اسمح لي ان ابيضها بحبر وآخذ الجاري لقاء ذلك النسخة الاصلية المكتوبة بقلم الرصاص . قال: خذها بارك الله لك فيها. وقد أعجب الجمهور كل الاعجاب بها وتناقلتها الصحف وها انا اوصع هذه الصفحة بقسم منها وهي :

قَدُمَ الزمانُ وصبوتي تتجدَّدُ ... فكانني في كلِّ عصر أُولدُ
شيخاً أرى بين الشيوخ وامرداً ... في المردِ مما شاب منهُ الامردُ

وصفوا لنا الدنيا على غير الهدى — والحقُّ ما دنياكَ الأ مشهدُ
فيها تباينت الرؤى وتعددت — وتوحدت حسناً فلا تتعددُ
واحبُّ ما فيها اليَّ شذا الصبا — من ارض صيدا والحدائق تشهدُ
ارضٌ كفردوس النعيم نساؤها — حور الجنان لها المحاسن تسجدُ
ورجالها اعلام نورٍ في الدجى — والنور في غسق الدياجي يحمدُ
ما انسَ لا انسَ الذي شاهدتهُ — من انسكم فنظيرهُ لا يوجدُ
في مهجتي زرعت يمين ودادكم — شكراً وما زرعت يمينٌ تحصدُ

ولما تلاها صفق لها الجمهور بشدة – اما المنتهيات فالقينَ خطبهنَّ وانشدنَ ترنيمة الوداع من نظم استاذهنَّ السابق داود قربان . وقدم الدكتور فورد النصائح لهنَّ ووزعت الرئيسة مس برون الشهادات عليهنَّ وانصرف الجمهور .

اللائحة الاولى لمدرسة الفنون

•

اذاع الدكتور فورد رئيس المدرسة سنة ١٩٠٣ لائحة مطبوعة عن المدرسة وقوانينها ورسومها ودروسها للسنة القادمة ١٩٠٤ وهذا ما يتعلق منها بالقسم العملي : تقبل المدرسة تلاميذ قليلين ممن يقصدون الاعتناء بالصنائع اكثر من العلوم . ويُعطى هؤلاء دروساً تعادل نصف دروس القسم العلمي فيصرفون القسم الاكبر من اوقاتهم في المدرسة في الصنائع .

فيستطيع الواحد كل سنتين ان يتم دروس سنة كاملة علمية ... وورد في شان قسم الايتام ما يأتي: يختص هذا القسم بالصبيان بين سني الست والثلاث عشرة الذين كان قبل تثبتهم اعدوا لديهم معروضاً انهم من الطائفة الانجيلية . ويُطلب من ذويهم دفع ما يمكنهم دفعهُ من نفقاتهم المدرسية وتقديم فرشهم وكسوتهم ان امكن .

سيامة قسيسين

•

وكانت قد تمت سيامة المعلم حبيب صبحية في غيابي وهو القس الثاني من صفنا فهنأتهُ بالقسوسية . وصار تعييني في المجمع المنعقد في كنيسة الجديدة مع الاخ نخله زكا من كنيسة صيدا على لجنة لتوزيع الكتاب المقدس – اي ترتب علينا ان نقبل تقدمات الكنائس ونشتري بها نسخاً من الكتاب المقدس واجزائهِ لحفظها في مستودع عندنا لتكون تحت طلب الكنائس ونعمل على توزيعها وتقديم التقارير من الكنائس لنا ثم نحوّلها المجمع المشيخي في دورتهِ المقبلة . وتكلم القس ادي في ما نقدر ان نعملهُ لمساعدة لجنة توزيع الكتاب المقدس. وفي ذلك الوقت ايضاً تمت سيامة المعلم طعمة رحال قسيساً على كنيسة حاصبيا وكان قد انتقل اليها من كنيسة زحلة

موتمر المبشرين الانجيليين

•

من ابهج وافيد المؤتمرات الروحية في بلادنا الاجتماع الديني الذي دعا اليه رئيس الكلية الانجيلية السورية في بيروت الدكتور هورد بلس . وكانت الدعوة لجميع خدمة الدين في سوريا ولبنان وعقدت الجلسات في نوادي الكلية المذكورة وتحت ادارة رئيسها . وترتب ان يستمرّ المؤتمر ثلاثة ايام متوالية . وكان البرنامج ان تقام فيها صلوات وتضرعات وابتهالات . وتقدَّم فيها خطب ومباحث في اهمّ والزم المواضيع الروحية الدينية توصلاً الى انفع الوسائل التي تؤول الى تقدُّم وبنيان الكنائس الانجيلية في هذه البلاد . وأعدّ لراحة المدعوين في دور المدرسة غرف المنامة وكل ما يلزم من الخدمة والطعام والشراب وسائر لوازم الضيافة .

وتوافد المدعوون الى بيروت من حلب ، وحماه، وحمص ، وطرابلس وتوابعها ومن جبل لبنان ، وزحلة ، وصيدا ، وصور وتوابعها فبلغ عددهم نحو الثمانين . وفي مساء الخامس من نيسان أقيمت جلسة استعدادية في منزل الرئيس وتقسّمت المواضيع فكان نصيبي موضوع « فوائد قراءة الكتاب المقدس بترتيب » وكان الوقت المحدَّد للمتكلّم عشر دقائق يقف المتكلّم عند نهايتها . وبعد ظهر الجمعة كانت الجلسة

الاخيرة للمؤتمر في قاعة الرئيس بلس حيث أقيمت فيها صلوات وداعية وشكر وتكريس. وكانت القلوب ممتلئة من عواطف الشكر للرئيس بلس لاجل كل ما ابداهُ من كرم الضيافة ومكارم الاخلاق. ثم ختم الاجتماع بالبركة الرسولية الدكتور دانيال بلس الرئيس السابق وارفضَّ الاجتماع وودَّع المؤتمرون بعضهم بعضاً وذهبوا الى مراكزهم. وقد أُخذت صورة أعضاء المؤتمر جميعاً اقتنيت واحدة منها ووضعتها ضمن اطار وها هي لم تزل محفوظةً عندي ولسوء الحظ ان اكثر من نصف المرسومين فيها سبقونا للاجتماع الذي يضمُّ المؤمنين في الامجاد العليا. وهذه اول ورقة انتثرت من شجرة المؤتمر بعد ستة اشهر تماماً.

وفاة الاستاذ شاكر داغر

هُدَّ ركن من اركان مدرسة الفنون بوفاة الاستاذ شاكر عساف داغر في ٦ ت ١ سنة ١٩٠٤ في خيام مرجعيون في بيت صديقهِ المبشر امين عبود بينما كان قاصداً انتجاع الراحة لشعوره بوعكة في جسمهِ. واحتفل بجنازتهِ في كنيسة الخيام الانجيلية.

كتاب رفيق التلميذ

احببت ان اجمع شيئاً من الفواكة الاخلاقية والتعليمية آملاً ان تكون عوناً ومرشداً لطلبة المدارس وسميتهُ (رفيق التلميذ) واخذت

رخصة لطبعهِ من حكومة استانبول وجعلتهُ هدية اكرامية لمسز وود صاحبة الفضل على مدرسة الفنون. واستعمل الكتاب في المدرسة وتبعنا كثير من المدارس في استعمالهِ وقد سرّني ان اجتمعت باستاذ من البحرين وحين التعارف قال انت اذاً صاحب كتاب رفيق التلميذ الذي نستعمله في البحرين . ولما نفدت الطبعة الاولى نقح وجرى فيهِ تحسينات وطبع طبعة ثانية و كانت الطبعة الاولى سنة ١٩٠٤

وقد ورد لي كتاب بشأنهِ من نظارة المعارف العمومية – دار الكتب الخديوية في مصر – يطلبون نسخة من الكتاب وهذه صورتهُ :

حضرة ... نسيم افندي الحلو

حيث ان من مستلزمات دار الكتب الخديوية ان تجمع ما يحسن حفظهُ من الكتب والجرائد والمجلات وما شاكلها مما يكون فيهِ النفع العام المراد من تأسيسها كما لا يخفى. وحيث انكم نشرتم الكتاب الموضح بيانهُ بعاليهِ ويجب ان لا تُحرم منهُ دار الكتب الخديوية بل يكون من عداد محفوظاتها فالمرجو من حضرتكم التكرُّم بارسال نسخة منهُ بصفة هدية حرصاً على الفائدة العمومية ولكم الشكر سلفاً

رئيس القسم الادبي وكيل الكتب الخديوية

جمعية الخدمة الوطنية

•

تأسست في كنيسة صيدا سنة ١٩٠٣ جمعية مفيدة وممتازة وكانت مؤلفة من الجنسين الرجال والسيدات وكانت اجتماعاتها لا تقوم على الخطب وكثرة الانظمة بل تقتصر على التداول في ما يمكنها ان تقوم بهِ من الاعمال المفيدة بالنسبة الى مقدرتها المالية. كل عضو فيها يؤدي رسماً سنوياً ويحسب ان هذا هو القسم الصغير مما عليهِ من الواجبات في خدمة الجمعية. وتنفرد هذه الجمعية في انها لا تعطي من مالها للمنشآت الاخرى لانفاقهِ في وجوه خيرية بل تشعر انهُ عليها ان توجد هي مشاريع عملية مفيدة وتنفق عليها من مالها

وبالطبع ان اشتراكات الاعضاء لا تكفي للقيام بمشاريع ذات شأن ولذلك رأت ان تقيم كل سنة حفلةً أدبيةً تدعو فيها احد الخطباء المشهورين الى الخطابة وترتب ان تقام بعض الالعاب الرياضية مع الخطابة لتسر المشاهدين مصحوبة بموسيقى ويكون الدخول بتذاكر لطبقة معينة من اهل العلم والادب واصحاب الغيرة وهؤلاء يقبلون على شراء التذاكر لحضور الحفلة اولاً ولمساعدة الجمعية ثانياً.

ومن خدمات الجمعية فتح مدرسة في قرية الصالحية بجوار صيدا. ثم رأت ان الحاجة أمسّ في قرية شبعا بجانب جبل الشيخ فنقلتها اليها.

واتخذت الهلالية من ضواحي صيدا حقلاً لخدمتها الروحية . ثم شرعت في جمع مكتبة على رجاء ان تفتح غرفة للقراءة في صيدا ، وعلى توالي السنين وبغيرة اعضاء اللجنة وسخاء المحسنين انشأت غرفـةً للقراءة وقد اجتازت سنتها الثالثة وكانت اللجنة التنفيذية لهـذه الجمعية سنة ١٩٠٤ الاساتذة نوفل اسطفان وابرهيم داغر ونسيم الحلو وكحلا حداد

خدمة القس ادي لمجدلونا والجميلية

•

كانت اكثر الاملاك في قريتي مجدلونا والجميلية من اقليم الخروب تخص بعض البكوات من جبل لبنان فتقـدّم المحسن الغيور القس وايم ادي وساعد الاهالي بقطع النظر عن المذهب والطائفة بالمال اللازم لشراء الاراضي من اصحاب الملك . وذلك ليس لانهُ غنيّ يتعامل بالاتجار للربح الشخصي بل كان المال يأتيهِ من الوطنيين المهاجرين ، اذ كان موضع ثقتهم فيرسلون اليهِ التحاويل المالية ولم يكن ذلك مقتصراً عـلى الانجيليين المهاجرين بل من كل طائفة ومذهب وكانوا يفوّضونهُ في حفظها او استثمارها بالطرق التي يراها موافقةً . فلكي يستثمر لهؤلاء المهاجرين اموالهم ولكي يملك من يشاء من اهالي القريتين المذكورتين أقرضهم مما بيده من المال بفائدة بسيطة وكان يقبل استرجاعه بدفعات متقطعة حين اليسر ويقبل الكمية مهما كانت جزئية حتى متى سدّد الواحد كل ما عليهِ سجّل له ما اشتراه

باسمهِ . لان اصل البيع كان صفقة واحدة باسمهِ هو . واستخدم لهــذه المعاملات والمحاسبات كاتباً خاصاً الخواجا شكري فريوات من النبطية . وقد صادف القس ادي اتعاباً جمّة في سبيل اتمام هذه الخدمة المتشعبة . وباسف نذكر انهُ توفي قبل ان تنتهي جميع هذه المعاملات والعلاقات المالية فاشتغل في تصفيتها بعد وفاتهِ نسيبهُ الدكتور وليم نلصن ولكن بعد تعب جزيل وخسارة لا يستهان بها

رئاسة الدكتور جسب بالوكالة

لاسباب صحيَّة وطلباً للراحة تنحّى رئيس المدرسة الدكتور فورد سنة ١٩٠٥ عن ادارة المدرسة موقتاً وتسلَّم مهامّ الرئاسة الدكتور صموئيل جسب يعاونهُ ابنهُ ستيورت احد اساتذة المدرسة

زفاف المعلم ابرهيم فارس داغر

دُعيت يوم السبت في ٢٩ ايلول سنة ١٩٠٦ لحضور حفلة زفاف الاستاذ ابرهيم داغر على الآنسة جميلة ابنة بشارة عكاوي ، فذهبت الى مجدلونا لحضور الحفلة . وقام بصلاة الاكليل القس وليم ادي والقس متى عبود في كنيسة مجدلونا الانجيلية وبعد الصلاة هنأ الحاضرون العروسين ودعوا لهما بالهناء والتوفيق .

زفاف الدكتور جورج فورد

وردت الاخبار من الولايات المتحدة حاملة انباء سارة بزفاف مس كاترين كريمة المستر وليم بوث احد المشهورين بالفضل والنبل على الدكتور جورج فورد رئيس مدرسة الفنون الاميركية في صيدا . ولكن مع الاسف بينما كانت حفلات الافراح معقودة في نيويورك لهذا الزفاف كانت المآتم معقودة في صيدا بسبب وفاة احد القسوس الافاضل .

وفاة القس وليم كنغ ادي

سافر القس وليم ادي من صيدا يوم الاربعاء في ٣١ ت١ سنة ١٩٠٦ هو وولداهُ كلارنس والفرد ومعهُ خادمهُ الامين حسن عكاوي الى جهات عليا الشعب ونصب خيمتهُ على بعد ستة اميال من البصة وصرف يوم السبت بالاستعداد للوعظ في الغد فشعر بألم شديد ليلًا ادرك على اثرهِ انهُ مفارق الحياة فدعا اليهِ ولديهِ وودعهما وطلب ان يتلوا لهُ المزمور الثالث والعشرين ، وودع ايضاً خادمهُ حسن عكاوي ومما قالهُ : الدكتور فورد يسافر اليوم من اميركا الى سوريا وانا اليوم اسافر من سوريا الى السماء . واوصاهم بعض الوصايا الى قرينتهِ وشقيقتهِ وسائر اقربائهِ وجميع المعلمين والمبشرين وطلب ان يدفن بين الشعب الذي خدمهُ في صيدا وكان آخر كلامه « ايها الرب يسوع اقبل روحي » ودخل في

صباح الاحد – يوم الراحة الارضية – الى الراحة السماوية الابدية. وجيء بجثانهِ الى صيدا فتقاطرت الجماهير من المرسلين الاميركيين وغيرهم من بيروت وطرابلس وزحلة وصوفر واهل صيدا وجوارها لحضور مأتمهِ . وجرت صلاة الجنازة بعد ظهر الاثنين في المحفل الانجيلي .

رسامة القس خليل الراسي

عاد المعلم خليل سمعان الراسي من المهجر في البرازيل الى بلدتهِ ابل السقي فدعتهُ كنيسة صيدا الانجيلية ليكون خادماً لها وهو ليس غريباً عنها لانهُ اشترك في خدمتها لما كان استاذاً في مدرسة الفنون فلبى طلبها واتى لخدمتها . ثم التمس اعضاء الكنيسة من المجمع المشيخي رسامتهُ قسيساً عليهم واجابةً لطلبهم تمت رسامتهُ في ١٧ ك ٢ سنة ١٩٠٧ وقام برسامة الرسامة الدكتور صموئيل جسب والقسوس جورج دورتلل واسعد عبود واسعد عبد الله الراسي . وكانت هديتي لهُ بسيطـة مئة بطاقة زيارة مطبوعة باسمهِ وبمنصبهِ الجديد .

رسامة المعلم عبد الله مسوح قسيساً

وهذا ثالث قسيس رُسم من طلبة صفنا في مدرسة اللاهوت وهو المعلم عبد الله مسوح خادم كنيسة حماه وتمت حفلة الرسامة في ١٧ ت ٢ سنة ١٩٠٧ وقام براسيمها الدكتور وليم نلصن والقس اسعد عبود والمعلم

يوسف عطية وتلا فيها المعلم انطونيوس حديد خطبة ارسلها القس حبيب صبحية من حلب خاطب بها الكنيسة ولم يتمكن من الحضور ليتلوها بذاته

غرف القراءة لذكرى القس ادي

تألفت لجنة من اعضاء جمعية الخدمة الوطنية المارّ ذكرها وانيط بها جمع تبرعات من مريدي القس وليم ادي في الوطن والمهجر لاقامة اثر تذكاري لهُ فلبّى كثيرون الطلب بغيرة وسخاء . ولما تجمّع لدى اللجنة كمية تقوم بالاثر المراد انشاؤهُ تمَّ بالاتفاق مع اسرة الفقيد ان يكون بناء يُخصَّص لغرف قراءة تقوم جمعية الخدمة الوطنية بادارتها والانفاق عليها. وسمح المرسلون الاميركان ان يُقام البناء على سطح حانوت الخياطة الكائن في زاوية الجانب الشمالي من مدرسة الفنون. وتمَّ البناء فجاء في غاية الموافقة . وصار تدشينهُ في ٢١ ك ٢ سنة ١٩٠٨ بحضور المرسلين الاميركان من صيدا وبيروت كما دُعي جميع المكتتبين فحضر من تمكّن من الحضور منهم وتكلّم في حفلة التدشين القس خليل الرامي والاستاذ فارس عازوري من اعضاء اللجنة وبصفتي امين صندوق الاكتتاب قدَّمت التقرير المالي ، وتليت قصيدة مرسلة من القس اسعد عبد الله الرامي . ثم تكلّم الدكتور فورد نائباً عن المرسلين الاميركان شاكراً القائمين بهذا المشروع المفيد وكذلك تكلّم الدكتور هسكنس مكرراً الشكر بلسان اسرة الفقيد وختم الدكتور صموئيل جسب الحفلة بالصلاة والبركة

اعلان الدستور العثماني

•

كنت اتحدَّث مع صديقي الشيخ فؤاد الخطيب (الذي اخذ لقب باشا بعدئذٍ) ونحن جالسان في غرف القراءة الجديدة فذهلت لسماعي اياه يتكلم بحرية وصراحة زائدة في المواضيع السياسية وكانت افواه الناس ملجومة منذ سنين عن النطق بمثل ذلك . فحذَّرتهُ من المغبَّة في تطرفهِ فاجابني ابشرك ان الاحرار فازوا ودخلوا استانبول واجبروا السلطان عبد الحميد ان يُعلن الدستور . فكأنَّ غمامة كثيفة انقشعت عن باصرتي وخلعنا جميعاً رداء الحذر والخوف ودرجنا نتحدَّث في السياسة على طول الخط وهذا هو الاعلان الرسمي .

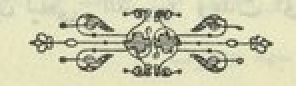
في ٢٤ تموز سنة ١٩٠٨ أذيعت ارادة عليا تأمر بافتتاح دار الفنون التمثيلية (مجلس المبعوثان) نزولاً على ما قضى بهِ الدستور . وطيَّرت اسلاك البرق هذه الارادة الى الولايات العثمانية على اطلاقها فقوبلت البشرى بحماس رائع ومشت المواكب في الشوارع والساحات تهتف للسلطان الذي اعلن الدستور واذن بالتئام مجلس المبعوثان فابيضَّت وجوه واسودَّت وجوه وعانق الشيخ المسلم الكاهن المسيحي وأعلنت الحرية والاخاء والمساواة . وهكذا كنت ترى الناس عائمين على طوف في بحر من السرور تقذفهم امواج الافراح الى كل جهة وصوب .

اما نحن في حالتنا البيتية اذ كملت طريق العربات بين صيدا وجزين صار ميسوراً لنا مصيف قريب وسهل المنال وعليه ذهبنا الى جزين واستأجرنا شقة من بيت الخواجا حنا كوكباني القريب من بناية الحكومة. ولما عمّت الافراح كما سبق باعلان الدستور العثماني امتدت الاحتفالات الى جبل لبنان فدعا قائمقام جزين — اسعد بك لحود — بعض المأمورين والوجوه من صيدا ومركز القائمقامية والمصطافين للاشتراك بالاحتفال بمباهج عيد الحرية فجاءتنا من الجملة الدعوة لحضور الاحتفال في دار الحكومة التي اكتظّت بالمحتفلين وهم وقوف يزحم بعضهم بعضاً. وكان الخطباء يتناوبون منبر الخطابة من الاهالي والضيوف المدعوين. ويمكنك ان تتصوّرني في وسط هذا الحشد الكثيف. وانا على هذه الحالة افتقدت دبوس ذهب كان في صدري أُعطيتهُ في احدى الحفلات المدرسية فلم اجدهُ. وكيف يمكنني التفتيش عنه في وسط ذلك الحفل الزاخر؟ ومن كدري رجعت الى البيت واهماً اني ربما نسيتهُ هناك ولكني ما وجدت شيئاً. ثمّ عدت فقلت خسرنا الدبوس فلماذا نخسر الحفلة وعدت الى دار الحكومة وتقدمت الى الامام بين الناس حتى بلغت باب الغرفة التي في الصدر فحانت مني التفاتة الى عتبة الرخام في اسفل الباب واذا بالدبوس الذي تلاعبت بهِ اقدام الجمهور المزدحم حتى ادّى بهِ المطاف الى حمى هذه العتبة المباركة واستقرّ في حماها بامان. فانحنيت واخذتهُ بسرور واذا بهِ سالم من كل اذية فقلت مع القائلين ليحيَ الدستور وعدت الى البيت احمل بشرى وجود المفقود.

في هذه الاثناء اذ كان الدكتور فورد في المصايف كتبت لهُ مشيراً الى هذه الاحتفالات حيث قلت : كنا نتعب كل سنة بامر وجود خطيب لحفلات المدرسة وها نحن الآن نرى كل افراد الشعب صاروا خطباء والفضل للحرية واعلان الدستور .

مجمع مشيخة صيدا الخامس والعشرون

التأم في كنيسة صيدا يوم السبت في ٢ تموز سنة ١٩١٠ وجرت ترتيباتهُ واعمالهُ حسب العادة . وفي مساء الاثنين ١٤ الشهر قدم الرئيس السابق القس اسعد عبود تقريراً مجملاً حاوياً خلاصة اعمال المجمع مدة ٢٥ سنة فأوضح بالاختصار عمل المجمع في غضون تلك السنين والنجاح الذي رافق عمله كالنموّ في العدد وازدياد الغيرة وتجديد وترميم الكنائس . ويوم الثلاثاء دعا الدكتور فورد اعضاء المجمع لزيارة بناية راماپوهول الحاوية القسم الابتدائي من مدرسة الفنون الرابضة في اعلى رابية تشرف على اجمل المناظر براً وبحراً . فقبلوا الدعوة بكل سرور وقضوا نهارهم بكل هناء وحبور وعادوا شاكرين افضال الدكتور فورد ومسز فورد الكريمين . ولما انتهت اعمال المجمع وترتيباتهِ تفرقوا بسلام ووئام .



قسم صغار التلاميذ في راما يوهول

لما كان امر فصل التلامذة الصغار عن الكبار مفيداً جداً للفريقين عمدت مدرسة الفنون الى قسمة تلامذتها الى شطرين منفصلين وقد توفقت بعونه تعالى لانشاء بناية خصوصية لهذه الغاية في اشرح موقع في جوار صيدا في المحلة المسماة دار السلام من اراضي قرية الميومية . وهذا البناء فسيح ومستوفي الشروط للراحة وهو يتسع لمئة وعشرين طالباً . وتعيَّنت مس سمرڤيل – وهي سيدة انكليزية – للعناية بالاحداث والادارة المنزلية ولاجل المحافظة على كل ما يؤول لخير الاولاد الصغار . وتقرَّر ان يكون انتقال قسم الصغار الى راما يوهول وقت افتتاح المدرسة في ١٢ت١ سنة ١٩١٠ وهم فريق الداخليين الذين درجتهم دون الصف الثاني ونظراً لسعة المكان تقبل المدرسة عدداً كبيراً من سن ٩ الى ١٤

تجديد كنيسة صيدا وتدشينها

●

شعرت الطائفة الانجيلية في صيدا منذ زمن طويل بوجوب اصلاح وتوسيع بناء كنيستهم الكائنة في وسط المدينة . ثم خرجت هذه الامنيَّة الى حيّز العمل بهمة القس جورج دولتل وراعي الكنيسة القس خليل الرامي فتجدَّد بناؤها وتوسَّع على احسن طراز واتمَّ اتقان حتى صارت

تسع ما لا يقل عن اربع مئة شخص .وتعيّن الاحد الواقع في ٢٣ ت١ سنة ١٩١٠ لتدشينها وبعد تلاوة بعض قراءات من الكتاب المقدس وانشاد بعض ترنيمات ، وقف القس دواتل وسلّم مفاتيح الكنيسة الى القس خليل كنائب عن عمدة الكنيسة مع مبادلة عبارات لطيفة تناسب المقام. وألقى القس خليل عظة التدشين. ثم وقف الدكتور فورد وتلا بعض الآيات المناسبة ثم قدّم صلاة التدشين وختم الاجتماع بالبركة الرسولية .

تولّي ستيورت جسب رئاسة المدرسة

•

في السنة المدرسية ١٩١٠ – ١٩١١ تنحى الدكتور فورد عن رئاسة مدرسة الفنون وخلفهُ فيها مستر ستيورت جسب نائب الرئيس . فاذاع الدكتور فورد هذا الاعلان في صدر اللائحة المدرسية السنوية وهذ نصّهُ:

اني أقصد التخلّف عن رئاسة مدرسة الفنون رغبة في التفرُّغ لفروع اخرى من الاعمال التبشيرية وذلك اعتباراً من اول تموز القادم وعليهِ اعلن للجميع بان كل المخابرات المتعلقة بالمدرسة سواء اكانت بخصوص قبول تلاميذ فيها ام امور اخرى يجب ان تكون مع مستر ستورت جسب الذي ارجو لهُ وللمدرسة تحت ادارتهِ كل توفيق ونجاح .

وبناء على فراغ مركز نائب الرئيس استدعاني المرسلون باقتراح الرئيس الجديد لأُشغل هذا المركز الشاغر . وبعد افتتاح المدرسة بمدة

حمل مستر جسب حيلةً عليَّ ليقيم حفلة رسميـــة لمنصبي الجديد وكان هو هو الأولى بمثل ذلك فاكتفى بتوليهِ الرئاسة بصورة بسيطة لم تخرج عن المألوف . اما حيلتهُ عليَّ فانهُ تآمر ورتّب مع المعلمين ان يحملوا التلاميذ على طلب يوم نزهة فلا نردّ طلبهم لانهم كانوا في حاجة الى ذلك . وهكذا سلكت الحيلة ودُعي كلُّ من لهُ علاقة بالمدرسة الى وليمة على مائدة المدرسة ظهراً في راما بوهول . وفي الوقت المعيَّن حضر الجميع وتناولوا طعام الغداء على مائدة المدرسة معاً وقالوا لنعقد اجتماعاً في نادي المدرسة . ولما اجتمعوا جلس بعض الاشخاص الرسميين على المنبر وانا واحد منهم . ثم شرعوا في الحفلة (وانا مثل الاطرش في الزفّة) بالكلام قال الدكتور صموئيل جسب ذلك الشيخ الجليل : لما كان مركز شغلي في طرابلس كنت اذهب الى مدارس القرى لافحصها ومن الجملة مدرسة مشتى الحلو فرأيت بين طلبتها تلميذاً اسمهُ نسيم الحلو الخ — حينئذٍ ادركت اني علقت في الفخ وحتموا عليَّ ان اسلِم للامر الواقع (وان كنت في ثياب النزهة البسيطة) وتكلم بعد الدكتور جسب الدكتور فورد وبعض المعلمين ففصّلوا لي من مكارم اخلاقهم ثوباً فضفاضاً من المديح فخجلت من نفسي وصبرت على بلواي . وزادني خجلي اني لم اكن مستعداً لهذه المفاجأة حتى ولا في لبس ثيابي . ولما انتهوا اعطوني فرصة للكـــلام فشكرت لهم صنيعهم وتكلمت عن مبادىء المدرسة في التهـــذيب والخدمة ، وعن التزاماتنا ازاء هذه الواجبات . وحسبت في نفسي ان

هـذا الاكرام من المرسلين ليس الى شخصيتي بالذات بل الى الخدمة الوطنيين عموماً لاعلانهم عن ثقتهم بهم في ادارة الاعمال

سكننا في رامابوهول

لما كبر فرع الاحداث في رامابوهول باضافة الصف الاول من فرع صيدا اليه وعزمنا ان ننقل الثاني ايضاً رأينا من الموافق ان انتقل بعائلتي واسكن في البيت الخاص في جانب من بناية المدرسة . فأكون انا وعائلتي داخليين وتكون بنتانا الكبيرتان ليا وسلوى داخليتين في مدرسة البنات في صيدا والصغيرتان ليديا وميليا والخادمة داخليات معنا كما مرّ . وتقاضت منا المدرسة رسماً معتدلاً لذلك .

وهذا ما اعلناه عن قسم الاحداث المذكور : —

قسم الاحداث في دار السلام

لما ضاقت ابنية المدرسة في صيدا وساحاتها عن استيعاب جميع الطلبة رأت ادارة المدرسة ان تنقل الاحداث الى بناية رامابوهول وابتدأت منذ سنة ١٩١٠ في نقل الصفوف الواطئة الاحداث مما هو دون الصف الثاني وقد عزمت هذه السنة على اكمال اصلاحات لازمة للقسم الاعلى منها المخصص لنوم التلاميذ قاصدة بذلك ان تنقل الصف الثاني سنة ١٩١٢ اليها . هذا فضلاً عما قامت به من اصلاحات هامة في ما حول بناية

المدرسة بتمهيد وتسوية ساحات فسيحة منها ملعب كبير الى الشرق للعبة كرة القدم وملعب الى الشمال للعبة كرة السلة وآخر غرباً للتنس . وغُرست أشجار مثمرة وغير مثمرة حوالي هذه الملاعب حتى غدت بهجةً للعيون وفي غاية الملاءمة لرياضة التلاميذ الجسدية والعقلية .

زيارة مجمع مشيخة طرابلس

•

أُوفدت من قِبل مجمع مشيخة صيدا الى حضور مجمع مشيخة طرابلس . وكان التئام المجمع في كنيسة محردة قرب حماه في ١٣ آب سنة ١٩١٣ وكان لا بد من مروري على مدينة حماه حيث يوجد صديقي ورفيقي في مدرسة اللاهوت القس عبد الله مسوح . فوصلت مع بعض الرفقاء الى بيتهِ قرب المساء ، ولم يكن لدينا وقت لذهابنا الى محردة فاضافنا عنده . ولما حان وقت النوم سألنا سؤالاً رأيناهُ غريباً اول الامر قال : اتفضلون النوم في الغرفة داخلاً ام في الدار خارجاً في العراء في باحة المنزل ؟ ثم فسّر لنا ما غمض علينا فهمهُ قال : ان مناخ حماه ناشف ليلاً فضلاً عن حرّ الغرفة داخلاً ولذلك اصطلحوا ان يناموا خارجاً في العراء . فاتبعنا مشورتهُ ولم نندم — وثاني يوم قصدنا محردة جميعاً . ومناخ محردة يماثل مناخ حماه لذلك لم نستغرب انهم جعلوا نومنا على سطح الكنيسة في العراء . وما اجمل القمر في تلك الليالي الصافية والبدر كامل ! وكنت

ترى أو بالحري لا ترى سطح الكنيسة لانهُ مشغول كلهُ طولاً وعرضاً بفرشات الضيوف فكان المنظر نادر المثال . وقد كان النوم مريحاً . وكانت الضيافة في الطعام عامة في مكانٍ واحد لجميع اعضاء المجمع . وكانت تُعقد الجلسات في الكنيسة ، اما اجتماعات العبادة والوعظ مساء فكانت تعقد اولاً في الكنيسة المحاطة بدار فسيحة الارجاء مربَّعة ومسوَّرة . ولكن لشدَّة الزحام انتقلوا بها الى العراء في الدار المذكورة حيث نصبوا منبراً . وكان عدد الحضور يزداد ليلة بعد اخرى حتى بلغوا نيفاً والف نسمة . واذا راقبت الداخلين من باب الدار ترى خطاً من الناس رجالاً ونساء كخط النمل لا ينقطع من اول الاجتماع الى آخره مما يبهج النفس ويفرّح القلب . وفي اليوم الاخير اي الاحد في ١٧ آب وعظ بعد الظهر الدكتور نلصن عن التبشير وكان معيناً لمستر نكل ان يعظ مساء فبدا لهُ شغل دعاهُ ان يذهب الى حماه ويغيب عن الاجتماع المسائي وقد أعلموني ذلك من اول النهار ودعوني لاقوم مقامه بالوعظ . فاتخذت موضوعاً جديداً « اين هو مسكن الله » .

وبعد ان انتهى المجمع ذهبنا في نزهة على العاصي . فقد دعا الاخوة اعضاء المجمع الى عشاء سمك على نهر العاصي عند قلعة شيزر المشهورة فسرنا في ذلك السهل الفسيح ثم ظهرت لنا قلعة قديمة كأنها على قاب قوسين او اقرب ، لكننا لما وصلنا الى قرب منها واشرفنا على نهر العاصي رأينا القلعة مستقلة على قمة رابية صخرية ، وكأني بها قُدَّت

من راس ممتد من السهل نحو وادي العاصي فتكوَّن جبل صخري بنوا على رأسهِ القلعة . فنزلنا في ذلك المنحدر وقصدنا القلعة التي يكتنفها العاصي من اكثر جهاتها فصعدنا اليها وجلنا في جنباتها ثم عدنا الى رفقائنا . وكان الاخوة قد اصطادوا السمك وشرعوا في اضرام النار وشيّهِ ، فاكل الجميع وشبعوا فكانت نزهة جميلة وعشاء لذيذاً وعدنا في المساء الى البلدة . وبعد ان اكمل المجمع اعمالهُ تفرّق اعضاؤهُ فذهب كلٌّ في حال سبيلهِ .

حبيب اليازجي

•

انتهينا من الكلام عن زيارة المجمع المشيخي في محردة ولم نأتِ على ذكر بطل كنيسة محردة حبيب اليازجي (أبو ضرغام) الذي وضع لهُ صديقهُ الدكتور غصن تاريخاً في الانكليزية في كتاب خاص. فارى نفسي مُلزماً ان انقل فذلكة مختصرة عنهُ

وُلد في قرية محردة سنة ١٨٤٤ وتزوج سنة ١٨٦١ فكانت زوجتهُ لهُ خير معين في خدمتهِ الروحية ولكنها سبقتهُ الى الابدية سنة ١٩٠٥ اما اعتناقهُ المذهب الانجيلي فكان سنة ١٨٦٨ وهو باكورة الانجيليين في محردة .

ومن نوادره في بداءة استنارتهِ انهُ سمع ان الكتاب المقدس يُباع في مدينة حمص وكان يحبُّ مطالعة الكتاب فعزم على شراء نسخة منهُ . فقام ووضع سيف على جنبهِ حسب عادة تلك الايام وسافر الى حمص وقصد مكان بيع الكتب المقدسة وطلب نسخة فلما تسلّمها بيدهِ تهلّل وفرح . ثم سأل عن الثمن فكان فوق ما يستطيع ان يدفع في ذلك الوقت . ففكر في الامر قليلاً ثم نزع سيفهُ عن جنبهِ ونظر الى بائع الكتب قائلاً : ليس لديَّ الذي تطلبونهُ انما انا مستعد ان اقدّم سيفي ثمناً لهذا الكتاب . فتعجب الحاضرون من شدة رغبتهِ في الحصول على الكتاب المقدس . فرضي البائع واجاب طلبهُ . وحمل حبيب اليازجي كتابه المقدس وعاد الى بيتهِ . فكأنهُ استعاض عن سيف الحديد بسيف الروح . وواظب على قراءتهِ الى اهل بيتهِ وجيرانهِ . وذكر الدكتور هنري جسب في كتاب ٥٣ سنة في سوريا ان هذا السيف وصل الى غرفة جمعية التوراة الاميركانية في نيويورك وحُفظ فيها .

زيارة مراد بارودي لراما بو هول

مراد بارودي الصيدلي الماهر القديم كان مغرماً فوق فنه بالآثار القديمة . وكان عند صديقهِ الدكتور فورد احسن مجموعة اثرية شخصية فاتى الى بيت الدكتور فورد زائراً ومستميداً . فاشار عليهِ الدكتور

فورد ان يزور قسم التلاميذ الاحداث من مدرسة الفنون في راما بو هول قبل عودته الى بيروت حيث يرى بعض الآثار ايضاً وأركبهُ على فرسهِ الدهماء فسررنا بزيارتهِ وأريناه كل ما يستحقُ الذكر. ورأى ايضاً افتقار المدرسة الى مكتبة وبعد عودتهِ تكرَّم بارسال بعض الكتب المخطوطة القديمة مما كان يجمعهُ ومنها كتاب شكر بخط جميلٍ فيهِ وصف للموقع ومديح للدكتور فورد صاحب هذه المنشآت الثمينة

المدرسة كلها في راما بو هول

ان زيادة الاقبال على المدرسة جعل المركز في صيدا يضيق عن استيعاب جميع الطلاب فكان ينتقل قسم بعد آخر الى بناية راما بوهول على ما تقدم معنا سابقاً . واخيراً عولت الادارة بعد الاتكال عليهِ تعالى على نقل بقية الفروع الموجودة في صيدا في خريف سنة ١٩١٤ حيث تجتمع وتتحد كل الاقسام من علمية وصناعية في مركز دار السلام .

زيارة فلسطين

•

منذ سارة وود سيدة فاضلة وحيثما تلفتنا نرى لها مآثر في مدرسة الفنون وقد تناولت افضالها العاملين في المدرسة ايضاً . وهذه مأثرة من

تلك المآثر بلغنيها مستر جب رئيس المدرسة حيث قال : ان مس وود مستعدة ان تدفع عنك نفقات زيارة المدارس والاماكن المقدسة في القدس الشريف فاستعد للسفر ونحن ندبّر شغلك في المدرسة اثناء غيابك وهذه فرصة لك في غاية الموافقة : فما عرفت لمن يجب أن أؤدي الشكر ألمس وود ام لمستر جب فالاثنان يستحقانه . ثم وان مستر جب درّبني في اتمام هـذه الزيارة وقال الاحسن ان تسافر بواسطة شركة كوك فترتاح من البحرية في بيروت ويافا وزودني ببعض الرسائل الى اصدقائه في فلسطين . فشرعنا في السفر على بركات الله .

برحت صيدا الاثنين في ١٨ ايار سنة ١٩١٤ الساعة ٢½ ب ظ وكان سفرنا منها الى بيروت في السيارة وهذه اولى سفراتي في السيارات ولسوء الحظ كان مجلسي بجانب السائق وزاحمني من الجهة الاخرى صاحب السيارة وقبل ان نخرج من الطريق المتعرّجة بين البساتين قرب عين ابي اللطف زحمت السيارة بعض العربات فمرّت بينها وبين حجارة ملقاة على الطريق فاصطدمت السيارة بالحجارة وبعناية الله كانت العاقبة سليمة . واضطرت السيارة ان تقف حتى تمرّ العربات ثم واصلنا السير بين الاسراع والبطء ، فتأخر وصولنا الى بيروت عما قدّرنا له ساعتين اذ استغرقت المسافة اربع ساعات وكان المنتظر اثنتان . والعائق الاكبر لهـذا التأخر هو اننا لما وصلنا الى قرب الشويفات توقفت السيارة بسبب نفاد البنزين منها . فذهب السائق الى حانوت قريب ولم يجد

بنزيناً فاتى بصفيحة بترول وافرغها في مستودع السيارة ولكن البترول لا يسدّ محل البنزين تماماً وزد على ذلك انهُ ازعجنا برائحتهِ وكان سير السيارة متوجاً ولذلك تأخرنا في الوصول عن الميعاد .

في الباخرة الافرنسية

وقصدت باخرة افرنسية تقلني الى يافا وكانت باخرة كبيرة ونظيفة لكن الركاب لم يكونوا كثيرين . عرفت ذلك لان الذين جلسوا معنا على المائدة للعشاء لم يتجاوزوا العشرة . ولسوء الحظ لم انم الأ غراراً واصابني صداع حال اني لم أُصب بدوار البحر . وتعرفت الى ضابط عثماني قضيت معهُ قسماً من السهرة على ظهر السفينة . ولما بلغنا صباح ثاني يوم ميناء يافا لم يكن البحر هائجاً كما هو مشهور عنه وهذا كان من حظنا ولذلك دنت السفينة اكثر من الشاطىء . فنزلنا بسهولة الى البر واستقبلنا بحرية كوك وقصدنا محطة سكة الحديد .

من يافا الى القدس

وصلنا الى المحطة قبل وصول القطار اليها . ان يافا مدينة كبيرة قيل لنا انها تبلغ ٤٠ الفاً من السكان وابنيتها تمتدُّ طولاً على شاطىء البحر . والناظر اليها من الباخرة يراها جرداء لا يتخلل ابنيتها اشجار

كنيها وداخلها يماثل سائر المدن القديمة في سوريا · ولكن لليهود الصهيونيين في ضواحيها ابنية تحفُّ بها الاشجارُ الجميلة وهناك سوق طويلة فسيحة على الطراز الحديث · وبرتقال يافا كبير سميك القشر لكنهُ ناشف نوعاً ما بالنسبة الى برتقال صيدا (الماوي) واللذيذ

سافرنا في قطار الصباح الساعة ٨¼ ق·ظ فجرى بنا ونحن نعجب بما احدثتهُ الجالية الصهيونية من العمران · فكنت ترى الرمل المنبسط المهمل قد غرست فيهِ اشجار الكرمة وهي غضَّة نضرة ممتدة مسافات بعيدة · نعم الارض للمجتهدين · وما ابهج مناظر السهول المنبسطة المتسعة المزروعة قمحاً الى ابعد ما يمتدُّ اليهِ البصر · ومررنا ببلدة اللد وثمَّ غابات ممتدَّة من شجر الزيتون ومررنا بالرملة · ووافقنا ان القطار لم يكن مسرعاً فامكننا ملاحظة ما حولنا · وكان بعض المسافرين من اهل القدس يدلُّوني على بعض اماكن ورد ذكرها في الكتاب المقدس منها حقول الفلسطينيين التي احرقها شمشون القاضي فتصوَّرت الثعالب المشتعلة تجري بين الزرع اليابس وهو يشتعل اشتعالاً · وفي مرتفع على الطريق عسر المرتقى محصَّن الجوانب مغارة واسعة قيل لنا انها هي المدعوَّة شق صخرة عيطم (قض ١٥ : ٧) التي التجأ اليها شمشون · وعند الظهر اشرفنا على اورشليم المدينة التي يقدّسها اهل الكتاب من كل الطوائف · واول ما ظهر منها الابنية الحديثة ثمَّ استلفتوا نظري الى بقايا قلعة داود التي يحيط بها خندق عميق ·

فألقينا عصا الترحال في فندق مستر هيوار الانكليزي وبالحقيقة هو فندق ظريف نظيف مرتّب يشمله السكون والهدوء ولا عجب لاني كنت الضيف الوحيد فيهِ، ولا تستغرب اذا قلت لك ان الفنادق الهامة في القدس لا تستقبل ايًا كان وبعضها لا يقبل الأ الاجانب . وقد نبهني مستر جسب الي ذلك واعطاني كتاب توصية الى مستر هيوز فقابلني بلطف وعاملني احسن معاملة وقد ظننت اني استطيع النوم بعد تناولي طعام الغداء لحرماني منهُ الليلة الماضية فلم استطع نوماً اذاً ماذا اعمل وانا مُتعب منفرد غريب الديار فعزمت ان ازور مدرسة دار الايتام السورية (شنلر) الالمانية فكانت الطريق طويلة لم أقطعها الا بعد العناء . فوصلت الى فسحة الدار فرأيت بعض الطلبة ينشرون خشباً ضخماً بمنشار يُدار بآلة ميكانيكية فسألتهم عن القس اسبر ضومط فذهب بي ولد ودلني على بيتهِ ، ولسوء حظي لم اجدهُ في البيت وكذلك لم اجد الصديق الاستاذ الياس نصر الله حداد واخيراً اهتديت الى الاستاذ سليمان عبود وهو الوحيد الذي لم اعرفهُ من اولاد عبود القسوس والمبشرين فلاقاني بلطف فكأنَّ محبة اخوتهِ سرت اليه . فجال بي في انحاء المدرسة وأراني فروعها واقسام اعمالها .



في كنيسة الصعود

•

كنيسة الصعود الالمانية الحديثة قائمة على احدى قمم جبل الزيتون وعلى قمة اخرى يقوم برج شاهق للروس . صار لي حظ كبير بحضور الصلاة وحفلة عيد الصعود في هـذه الكنيسة بفضل الصديق الكريم القس فرهود قربان فانهُ تكرَّم ودعاني لمصاحبتهِ اليها . المكان مرتفع وتصل اليهِ العربات بصعوبة ولكثرة المحتفلين من الجالية الالمانية ارتفعت اجرة العربة الى اضعاف العادة وبعد العناء تيسّر لنا عربة . وفيما نحن سائرون استقبلنا عن بعد برج عالٍ يكاد يمسُّ السحاب وشاهدنا ما يحفّ بهذا الصرح العالي من الاشجار والرياحين . ومن تلك الذروة اشرفنا على غور الاردن ورأينا بحر لوط والاردن يصبُّ فيهِ ومقدار امتداده الى الجنوب . ورأينا ايضاً جبال موآب .

اما كنيسة الصعود فقد تمَّ بناؤها منذ اربع سنوات والاضافات حواليها على ازدياد . الكنيسة شاهقة الارتفاع ويشغل سقفهـا المقبب صور تمثـل صعود المسيح وفيها رسوم الرسل والانبياء . واما عن الوان المرمر والزخرفة والذوق البديع فاني احبس القلم عن الافاضة في وصفها . ولما سألت القس فرهود ما هي درجة هذه الكنيسة من حيث الاتقان بالنسبة الى سواها من التحف في القدس لاني لم أرَ غيرها

بعد فاجاب انها الاولى . وعلى الاجمال فانك كيفما التفتَّ الى السقف او الارض او الجوانب او النوافذ او غير ذلك حتى في كل بقعة صغيرة تجد رونقاً بديعاً . وقد جرت الصلاة باللغة الالمانية التي اجهلها لكني تأثرت بالخشوع البادي على الجميع . وبعد نهاية الصلاه قصد الحاضرون مقصف الفندق الكبير الملاصق للكنيسة والتابع لهـا فمدّت الموائد الواسعة وجلس الجمهور حولها فاشتركنا معهم . فقدّم الشاي والكعك على انواعهِ مراراً عديدة من ايدي سيدات ذلك المركز الالمانيات تحت ادارة احدى الشريفات الالمانيات . وبالطبع فان كل شخص يدفع رسماً زهيداً بالنسبة للاناقة الزائدة . وفي صدر هذه القاعة تمثال نصفي من الرخام الابيض للامبراطورة اوغسطا الالمانية المسمّى البناء باسمها . وفي القاعة المجاورة صورة مكبّرة للامبراطور غليوم الثاني . وفي فسحة الدار الرحبة على احد الجدران الغربية تمثالان من البرونز للامبراطور والامبراطورة . وفي تنقّلنا من غرفة الى اخرى دهشنا غـاية الدهش وازدحمت المرئيات الغريبة في مخيلتنا حتى كادت تغصُّ دون استيعابها . وما اكتفينا الا بالصعود الى اعلى البرج الشامخ وارتقينا للوصول الى القمة ٢٦٢ درجة وفي الاعلى عدة اجراس كبيرة يزاحم بعضها بعضاً ومن هذا العلوّ امتدَّ نظرنا الى الآفاق البعيدة . ولما قضينا شهوة النفس وازمعنا العودة ترك القس فرهود زوجتهُ ترجع في الطريق الاقرب الى البيت ليرافقني في الطريق التي نمرُّ فيها بالآثار المقدّسة

طريق آلام المسيح

•

بعناية خاصة لم يفسح الوقت لكتابة هذه الحوادث الى مساء السبت في ٢٣ ايار لاني فيهِ زرت مكان الصلب والقيامة ثانيةً باكثر تدقيق وتوسع ولذلك سادمج هنا ملاحظات زيارة الخميس مع زيارة السبت. نزلت مع مرافقي القس فرهود قربان من جبل الزيتون فمررنا اولاً في كنيسة « ابانا » وسُمِّيت هكذا لانهُ مكتوب على جدرانها « ابانا الذي في السموات » في ٣٢ لغة حتى كادت الكتابة تغشي الجدران. ومررنا كذلك بكنيسة قبر مريم العذراء المبارك فنزلنا اليهِ بسلم حجري عريض مؤلف من ٤٦ درجة ينتهي حيث تنبسط ارض الكنيسة. وهناك بئر ماء عذب شربنا منهُ فاذا هو جيد. وقيل ان مياه عين سلوام تجري منهُ. والى جانب الكنيسة الايمن مدخل واطئ يستطرق الى مكان القبر حيث عُلّق ٢٦ قنديلاً نصفها للروم الارثوذكس والنصف الآخر للارمن الارثوذكس . وسائر الكنيسة للطائفتين المذكورتين ايضاً ومركز هذه الكنيسة في وادٍ منخفض. والمكان منها فصاعداً يسمَّى وادي قدرون ومنها فنازلاً يُسمَّى وادي يوشافاط.

قد آن الوقت لنسير في طريق الآلام فزرنا اولاً مكان جثسيماني وهو بيد اللاتين ومفصول بطريق عن كنيسة مذهبة القبب تخصُّ

الروسيين ويقول هؤلاء ان مكان جشيماني الحقيقي عندهم. وللروم في الجانب الآخر من المدينة مكان يُدعى جشيماني ايضاً . ثم اتينا الى جانب قلعة في الجهة الشمالية من الحرم الشريف قيل انها كانت مقام بيلاطس البنطي حيث جيء بالمسيح اليهِ . واما طريق الصلب الى جلجثة فيمر في شارع يُقسم الى محطات فيها رسوم تمثل المسيح لما حمل الصليب وسقط تحتهُ لحملهُ عنهُ سمعان القيرواني وحينئذٍ التفت الى بنات اورشليم وهنَّ يتبعنهُ باكياتٍ وقال لهنَّ « يا بنات اورشليم لا تبكينَ عليَّ بل ابكينَ على انفسكنَّ وعلى اولادكنَّ » (لو ٢٣ : ٢٨) وفي احدى المحطات صورة تمثل امرأة تمسح بمنديل وجه السيد من العرق فرُسم وجههُ على المنديل . وهكذا الى ان وصلنا الى مكان الجلجثة وهو مرتفع في جانب من كنيسة القيامة .

القبر المقدَّس

قد اختلفت الاقوال في هل هذا المكان المعروف هو القبر الحقيقي أو سواه. وتوجد دلائل واثار يستندون عليها لتأييد او ترجيح الظن وقد غلب على فكرنا هذا الترجيح في زيارتنا ثانية عصر السبت بصحبة مستر روبنصن والخواجا الياس جلاَّد ترجمان قنصل الولايات المتحدة في القدس فاستنتجنا ان مكان القبر وكنيسة القيامة هي مركز الدائرة المرجحة.

والابنية التابعة لها التي تمتدّ حواليها الى مسافة واسعة تشتمل أقبية مهجورة وخربة واماكن تجدَّد بناؤها بيوتاً وحوانيت . وقد نزلنا في سلالم الى الجهة الشرقية درجات كثيرة لا اعلم عددها فانتهينا الى حوض ماء متسع .

ثم صعدنا الى مقام الجلجثة فوجدنا جانب بلاطـة متنحياً ليُرى من خلال الشق الصخر الذي ارتكز فيه الصليب . والى جانب القبر من جهة الغرب الشمالي يُستطرق الى بعض المدافن المنقورة في الصخر مما يدلّ على انها قبور قديمة وبالطبع ان اليهود لا يدفنون موتاهم الأ خارج المدينة . فاستنتجوا من هذا ان مركز القيامة كان على زمان المسيح خارج المدينة . وقال الخواجا الياس جلاد ان الملكة هيلانة لما اكتشفت هذه المدافن تحققت مكان القبر المقدس وأبقت المدافن مفتوحةً لتكون شاهداً على ذلك . وقد يوجد قبور كثيرة غيرها ليست مفتوحةً . ولعل هذا هو قبر يوسف الرامي وعائلتهِ لانهُ اعطى قبرهُ الاصلي للمسيح وهو في مركز الدائرة . لما اتينا الى القبر مساء الخميس نحو الغروب كان الموقف مهيباً ووقوراً للغاية فدخلنا توّاً الى داخل مقام القبر فامتلأت عواطفنا تخشعاً ورسخت للموقف صورة في اذهاننا لا تمحوها الايام وكنت ترى اناساً قليلين من رهبان وسواهم مثل اشباح يروحون ويجيئون بسكون وخشوع . وكان احد الرهبان جالساً داخل مقام القبر حارساً . وهنا في جانب قبر يسوع الناصري الذي مات مهاناً جثا امبراطور عظيم

خاشعاً امام عظمة ابن الله المتجسد وهو الامبراطور غليوم الثاني عندما زار القدس سنة ١٨٩٨ .

وبعد ان زرنا القبر دخلنا كنيسة القيامة التي يدعوها البعض كنيسة نصف الدنيا وهي اشهر من ان توصف بعظمتها وقدميتها وتاريخها وقيمتها في عيون العالم المسيحي قاطبةً . هذا هو المقام الذي يحجُّ اليه المسيحيون من اقطار المعمور ويتبرَّكون برؤيتهِ والذي اهتزَّت اوربا باسرها وتجند ملوكها وامراؤها لاسترجاعهِ الى حوزتهم من يد المسلمين ودامت الحروب نحو مئتي سنة في هذا السبيل وهي المسماة بالحروب الصليبية . فعظيم انت يا ابن الله المتجسد كما في السماء كذلك على الارض . وأعين الكل أياك تترجى يا مخلص العالم . ولما تركنا دائرة القيامة بقي رسمها ماثلاً امام اعيننا وراسخاً في اذهاننا . ومررنا في عودتنا على كنيسة الصلاحية قيل ان فيها كانت ولادة العذراء المباركة . وان في جانب منها مكان بركة بيت حسدا . وقيل ان البركة المذكورة كانت بجانب رسم باب مسدود في حائط دائرة الحرم الشريف .



الى بيت لحم

•

قصدت زيارة بيت لحم السبت في ٢٣ ايار سنة ١٩٣٤ فرافقني اليها القس فرهود قربان فاخذنا عربة خصوصية بقيمة ربع مجيدي فقط والمدينة تبعد نحو ثلاثة ارباع الساعة في العربة فوصلنا الى بيت القسيس سعيد عبود فاستقبلنا بالترحاب . وبعد الاستراحة ذهبنا برافقة القس المذكور لزيارة كنيسة المهد حيث وُلد السيد المسيح. ومدخل الكنيسة الخارجي ضيق ومن ثم وصلنا الى فسحة يقيم فيها الخفير حارس الكنيسة ثم وصلنا الى باب خشبي غليظ خشن عتيق اكل الدهر عليهِ وشرب وسبب انهُ على هذه الحالة كونهُ مشاعاً لا يخصُّ طائفة واحدة .

وبعد اجتيازنا هذا الباب وجدنا انفسنا في فسحة الكنيسة وهي في اصلها على شكل صليب ولكنها قُطعت بفاصل حيث تبدأ شعبتا الصليب وعلى كلٍ من جانبيها صنف من الاعمدة الثخينة الظاهر عليها هيئة القدَم. قيل انها بنيت في القرن الرابع المسيحي وفي الجانب الآخر منها واقف جندي للحراسة . ومن هذه الفسحة دخلنا الى المقام الداخلي حيث هيكل الكنيسة بزينتهِ البالغة . ثم انحدرنا من الجانب الايمن الى مغارة المولد فوجدنا انفسنا بين كهفين الايمن يمثل النجم الذي قاد المجوس وفي ارضهِ نجمة فضيّة والايسر يمثل المذود حيث وُلد المسيح

ورأينا بازائنا جندياً آخر واقفاً للمحافظة . وممن يخافون ؟ الخوف من المسيحيين بعضهم من بعض.

ولما صعدنا من الجهة المقابلة رأينا على جدران الفسحة هناك ايقونات كادت تمحى وبعضها مشوهة الهيئة وهي تخص الروم الارثوذكس وهم لا يجسرون على انزالها لاصلاحها او ابدالها لانهم بذلك يخسرون حق اعادتها الى مكانها . ومن هناك انتقلنا الى زاوية تخص الارمن فرأينا سلسلة حديد ممتدة من جانب الى آخر وقصتها ان استصدر الارمن فرماناً سلطانياً لوضعها بقصد تعليق القناديل فيها ولكن لما تم وضعها وقصدوا تعليق القناديل عارضهم الروم الارثوذكس بدعوى ان الفرمان ينص على وضع السلسلة ولا ذكر فيه لتعليق القناديل فيجب استصدار فرمان آخر لتعليق القناديل . ولم تزل لتاريخ رؤيتنا اياها عارية من القناديل . وقد حدثت مراراً فتن وخصومات بسبب حق المرور من باب او تجاوز بعض الحدود .

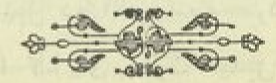
وتفرجنا في بيت لحم على الحوانيت وعلى المصنوعات الصدفية من عرق اللؤلؤ ، والخشبية من جنس الزيتون . ومن غريب الازياء القبعة العالية التي تلبسها المرأة المتزوجة في بيت لحم مائلة الى الوراء وتغطيها بمنديل كبير ومن المستقبح ان ترفع المرأة المنديل عن رأسها . ولكي نعرف سر ما تحت المنديل دعا القس سعيد عبود واحدة من الصديقات ونحن في السوق ودخلنا كلنا الى حانوت صديق ورجا المرأة ان ترينا

ما على قبعتها ففعلت ورأينا صفوفاً من النقود الذهبية القديمة وغيرها .
وتُحسب القبعة التي رأيناها بسيطة ولكنها تكلف نحو الف غرش من
عملة تلك الايام. والعرف المتَّبع ان المرأة لا ترفع الغطاء الأ في بيتها .
واما الابنة العزباء فلا تلبس قبعة . وزرنا في بيت لحم مدرسة البنات
الانكليزية والكنيسة الانجيلية الالمانية التي يعظ فيها القس سعيد عبود
والكنيسة صغيرة ولكنها جميلة وسقفها المنحني يمثل السماء الزرقاء بنجومها

دير الارمن

•

ومن الاماكن التي زرناها ايضاً دير الارمن وهو بالحقيقة كناية عن
مستعمرة فيها مدارس وكنائس وبيوت سكن، وحدائق تشغل فسحة
واسعة. واما نحن فزرنا القاعة المشهورة التي يستقبلون فيها الملوك والعظماء
وقد عُلّقت رسومهم على جدرانها وأرونا الكأس التي شرب منها
الامبراطور غليوم الثاني . وزرنا ايضاً الكنيسة التي يشغل جدرانها
الرسوم والصور، وفي ناحية منها مخدع مرصَّع بابه بعرق اللؤلؤ داخلاً
وخارجاً وهو من صنع دمشق . وارض المخدع هي البقعة التي قُطع فيها
رأس يعقوب الرسول كما يقولون . وهم ينتسبون الى هذا الرسول .
وزرنا ايضاً المدرسة الحاوية بعض التحف والآثار



زيارة الحرم الشريف

•

وفي صباح ٢٦ ايار ١٩٠٤ قصدت صباحاً مع الاخ القس فرهود قربان دائرة الاوقاف لاخذ رخصة لزيارة الحرم الشريف فحصلنا عليها بسهولة. ولما دخلنا من احد الابواب استقبلنا ونحن صاعدون احد الشيوخ فأعطيناه ورقة الرخصة فسار امامنا وقد اوعز الى احد الغلمان فاتى لنا بحذائين لبسناهما وسرنا اولاً الى جامع قبة الصخرة . قيل لي اول زيارتي لكنيسة الصعود الالمانية انها اولى التحف القدسية فحفظت القول في فكري واما عند دخولي جامع قبة الصخرة فقد عدلت عن التسليم بذلك الحكم لان زخارف هذا الجامع ولا سيما القبّة المدهشة تحيّر العقول وتخلب الالباب فهنالك الاعمدة المرمرية تحمل التيجان العسجدية الالوان تحيط بها عيون النوافذ بنقوشها العجيبة الغريبة البديعة الصنع والبعيدة المثال . استلفت نظرنا الشيخ الذي يقودنا الى بعض النوافذ التي أصلحت منذ ٤٠ سنة فاذا بها قد تغيّرت الوانها بخلاف الاصلية الصنع . وقد شغلتنا سماء ذلك المقام عن النظر الى ارضهِ المفروشة باثمن الطنافس العجيبة . ثم نزل بنا الشيخ الى كهف هو المغارة التي تحت الصخرة . وكنا قد أشرفنا من وراء الحاجز على الصخرة الشهيرة التي كانت كما يقول اهل الاختبار – واشار الى ذلك دليلنا – انها المكان

الذي كان الاسرائيليون يقدمون عليهِ ذبائحهم . ولما صرنا تحت الصخرة نظرنا فوقنا الى وسطها واذا بنافذة قيل انها صُنعت في الاصل لتجري منها دماء الذبائح في قناة الى الخارج . وعلى جوانب هذا الكهف عدة مقامات تذكارية بجانبها بعض المشائخ يضيئون الشموع .

ولما انتهينا من جامع الصخرة ذهبنا الى الجامع الاقصى وهو فسيح الجوانب يقوم على اعمدة كثيرة وهو مفروش على رحبهِ بالسجاد الثمين وفيهِ زخرفة . وهناك عمودان يكادان يلتصقان. وقد وضعت بينهما عوارض حديد لتحول دون المرور بينهما. اخبرنا الشيخ ان هذا الحديد وضع لان البسطاء كانوا يعتقدون ان من يمرُّ بينهما يكون صالحاً ومن لا يستطيع المرور يكون شريراً فلئلا يذهب بعض العلماء ذوي الاجسام الضخمة ضحية هذه الخرافة امر احد السلاطين بوضع هذه العوارض . وفيهِ مكان قال لنا دليلنا انهُ هو الموضع الذي ظهر فيهِ الملاك لزكريا. وقال انهم يؤمُّون صلاة ظهر الجمعة في هذا الجامع من كل ناحيةٍ وصوب. وقال نعم انهُ دون الحرمين الشريفين في مكة والمدينة مقاماً ولكنهُ يفوقهما زخرفة واتقاناً. وبعد ان خرجنا من الجامع خلعنا النعال الخارجية المستعارة ومشينا في رحبة الدار الفسيحة على البلاط الابيض ولسوء الحظ كانت اسطبلات سليمان مقفلة ولم يكن المفتاح بيد الشيخ مرافقنا لذلك لم نزرها . وهذه الاسطبلات مركزة على اعمدة عديدة أُقيمت لتجعل سطوحها المكونة منها ارض الدار متساوية . فمشيت الى آخر الدار

وارتقيت السور ومن هناك اشرفنا على قرية سلوان ورأينا في اسفل الجبل نصباً قالوا انهُ قبر ابشالوم. ثم تركنا هذه الجهة وانتقلنا الى احد الابواب القديمة وهو الذي يسمونه باب الذهب ولعلهُ الباب الجميل المذكور في سفر الاعمال وهو مسدود يُمنع المرور منهُ . ويوجد في فسحة الدار بعض اشجار زيتون وفي الجهة الشمالية منهُ ثكنة عسكرية قيل انها هي برج انطونيوس الذي كان يشرف على الهيكل . ولما انتهينا قفلنا راجعين .

مجسّم رسوم الهيكل والحرم

وذهب بي القس فرهود قربان ذات يوم الى الخواجا شيك احد افراد الجالية الالمانية حيث يوجد ثلاثة امثلة مجسّمة لخيمة الاجتماع وهيكل اورشليم والحرم الشريف من صنع اهل ذلك البيت. وقد قرنوا فيها المعرفة الكتابية بالحقائق التاريخية والرسوم الهندسية ولما كان لي اطلاع ولو نظرياً على وصف هذه الاماكن المقدسة سهل عليَّ فهم اكثر اجزائها . فرأينا الخيمة في غرفة خاصّة على طاولة واسعة بالوانها المذهبة وعوارضها وحلقاتها كذلك واغطيتها الاربعة وقد كشفت احد جوانبها ليُرى جميع ذلك جلياً مع الآنية والادوات التي في القدس، وقدس الاقداس ، فهنالك التابوت والكروبان عليهِ والمنارة ومذبح البخور

والمائدة والمذبح النحاسي ، والمرحضة ، والكهنة ، والذبائح معدة للذبح والكهنة منهمكون في اتمام واجباتهم .

ومن ثم انتقلنا الى الغرفة الكبرى المجاورة لهذه حيث وُضع رسم الهيكل والحرم الشريف الحالي فاخذت ربة البيت تشرح لنا عن كل من اجزائهِ فاتضح لنا أكثر من ذي قبل الامكنة التي ورد ذكرها في العهدين حيث وقف المسيح بين الشيوخ والمعلمين وهو ابن اثنتي عشرة سنة . وحيث وقف بولس على الدرج يخطب على مضطهديه من اليهود . وتُرى جلياً أدوار الكهنة واسرائيل والنساء والامم والقدس وقدس الاقداس والآنية الداخلية والخارجية على نحو ما رأينا في الخيمة ولكن بدرجة الفخم واعظم . ثم رفعت بعض الاجزاء اشارة الى السبي البابلي اذ أخرب بعض الهيكل وملحقاتهِ ثم اعادت هيكلاً صغيراً حقيراً اشارة الى الهيكل الذي اقامهُ زربابل والشعب الراجع من السبي . ومن رؤيتهِ فهمنا سبب بكاء شيوخ اسرائيل الذين رأوا الهيكل الاول . ثم وضعت هيكلاً آخر اعظم وهو ما اقامهُ هيرودس الكبير على شكل اكبر من هيكل سليمان ليكتسب رضى اليهود وفيهِ تحسينات اضافية . وبينما هي تغيّر وتبدل كانت تشرح لنا الحوادث . وهكذا حتى لم تبقَ حاجة في نفس يعقوب .

ومنه انتقلنا الى مثال الحرم الشريف الملاصق لهُ فرأيناهُ كما هو في حالتهِ الحاضرة وقد مرَّ معنا وصفهُ ولا لزوم لاعادة شرحه . واتباعاً لمجرى التاريخ رفعت القبة حيث أُقيم جامع الصخرة ووضعت هيكلاً

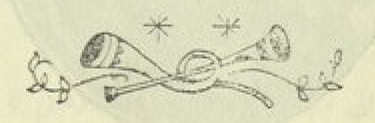
أقامهٔ يوليانس المرتدّ لعبادة جوبتر لينقض قول المسيح في عدم بنائهِ . ورأينا تمثال الاله الوثني جوبتر . ثم رفعت هذا ووضع مكانه هيكلاً آخر اشارة الى الكنيسة التي اقامها يوستنيانوس على انقاض هيكل يوليانوس وكذلك الكنيسة التي حلّ محلها الجامع الاقصى . ولما اتى المسلمون وفتحوا اورشليم على عهد الخليفة عمر بن الخطاب حوّلوا هاتين الكنيستين الى جامعين وازالوا منهما الرسوم الكنسية وجمّلوهما بالزينات والزخارف التي مرّ بنا وصفها .



نسيم الحلو في فلسطين

وهذا البيت الموجودة فيه هذه الرسوم اصبح مقصداً يحج اليه الزائرون وبخاصة من علماء الكتاب المقدس . وقد اشترت جامعة برنستون في الولايات المتحدة مثالاً مجسماً كاملاً كالذي وصفناه بقيمة الف ليرة عثمانية مشترطةً على بيت الخواجا شيك ان لا يصنعوا ويبيعوا مثالاً آخر لغيرها . وعلمنا انها مؤخراً اباحت لهم ذلك بواسطة المستر روبنصن الاميركاني . ومع كل ما اظهرتهُ لنا صاحبة هذه الامثلة من اللطف وما احتملتهُ من العناء في ايضاح الحقائق ابت ان تأخذ منا الرسم المعتاد المفروض اكراماً للقس فرهود الذي يخدم الكنيسة العربية الالمانية . فرجعنا من عندها شاكرين معجبين من اتقان رسم هذه الامثلة ومستفيدين دروساً جديدة مما رأيناهُ .

وفي ٢٨ ايار سنة ١٩١٤ انتهت زيارتي لفلسطين فعدت الى بيروت ومنها الى مركز عملي . وما هي الا بضعة شهور حتى أعلنت الحرب العالمية الاولى فشكرت الله الذي يسّر لي هذه الزيارة الى البلاد المقدسة قبل نشوب هذه الحرب الطاحنة .



لجنة كتاب الترنيمات

•

قبل اشتعال الحرب العالمية الاولى بسنة واحدة تمّ تنقيح واصلاح وتأليف كتاب الترانيم الجديد الذي ظهر بالطبع سنة ١٩١٣ وقد تم ذلك بتأليف لجنتين تحت رئاسة الدكتور جورج فورد لابرازه على الصورة التي نُشر فيها. اللجنة الاولى مؤلفة من المرسلين الدكتور فورد والقس جورج دولتل ومسز هنري جسب ومسز ولسيم نلصن والقس بولس ارضمن والقس فرنكلن هسكنس . فهذه اللجنة فاوضت المرسلية الاسقفية في مصر وفلسطين في هذا الشان فاشترك معها القس هنري سايكس من القدس والقس تمبل جردنر من مصر . ودُعيت لجنة ثانية من الوطنيين مؤلفة من الشيخ ابرهيم الحوراني والقس اسعد عبد الله الرامي والاستاذين داود قربان ونسيم الحلو. فهذه اللجنة نقحت وأصلحت فحذفت من الكتاب السابق ٣٩ ترنيمة وراجعت ٥٠٠ ترنيمة جديدة اختارت منها ١٠٦ ترنيمات بعضها لجودة نظمها واكثرها لاهمية معانيها وموافقة استعمالها في ظروف خاصة .

حالة المدرسة في الحرب

•

لم تتأثر المدرسة كثيراً في سيرها في بداءة الحرب سنة ١٩١٤ بل سارت كالعادة في ادارتها الداخلية لانها اميركية ، واميركا لم تشترك في البداءة في الحرب . كما ان الدولة العثمانية بقيت محافظة على الحياد ؛ فكان اجتماع اقسام المدرسة كلها في مكان واحد خارج صيدا في غاية الموافقة حتى اشاع البعض ان الاميركان عرفوا ان الحرب ستُعلن ولذلك نقلوا المدرسة من صيدا . الا ان تأثُّر المدرسة في الحالة المالية قد شاركت فيهِ الرعية العثمانية لان قيمة الورق النقد التركي كانت تتدنَّى تدريجياً حتى بلغت الحضيض وصار الناس يتداولونهُ مُرغمين ومكرهين. ولما كانت التحاويل المالية التي ترد من اميركا تُصرَف كلها بورق نقد تركي فذلك سبَّب خسارة كبيرة على اصحابها . وعليهِ رتَّب المرسلون الاميركان ان يعطوا للمستخدمين عندهم ربع المرتبات عملة حجرية وثلاثة ارباعها عملة ورقية . ثم انهُ بسبب تدني قيمة الورق التركي ارتفعت اسعار الحاجيات على التوالي ارتفاعاً فاحشاً . فعمَّ الفقر وتفشَّت الامراض .

قلنا ان الحكومة وقفت اولاً على الحياد ولكنها كانت متحفِّزة للوثوب للانضمام الى المانيا اذ اعلنت النفير العام واستدعت جميع المكلَّفين

لاثبات وجودهم في الشعبة العسكرية التي ينتسبون اليها. وكنت لم ازل تحت السن المطلوبة فأثبتُ وجودي وصار همّ الناس ان يفتشوا على الوسائل التي بها يتنصّلون من الانخراط في سلك الجندية ، اما بالمشترى النقدي واما بالحصول على وثيقة الاعفاء ، اما بالرتبة الدينية او بالمهنة التي يخدم بها الحكومة بغير صورة التجنُّد تحت السلاح. اما انا فترددت بين الوجهين وفيما كنت في هذا الموقف تقدَّم مستر جسب يعرض عليَّ الدراهم من صندوق المدرسة لكي اشتري نفسي ويطمئن فكري. فنقدني ٤٢ ليرة عثمانية ذهباً وقال اذهب اشترِ نفسك بها. فحسبتها له منةً كبرى ودَيناً ادبياً فوق كونهِ ديناً مادياً . فاخذت الدراهم وذهبت الى مركز الحكومة في صيدا وكان القائمقام شبلي بك حمادة وهو ممن درسوا بعض السنين في مدرسة الاميركان في صيدا . وهممت ان اجري المعاملات القانونية لمشترى نفسي ولحسن الحظ لم اتوفق لاتمام الامر . فاننا بعدئذٍ عرفنا ورأينا ان جميع الذين اشتروا انفسهم كانوا غرض الحكومة في ملاحقتهم وتكليفهم الخسائر والاتعاب . وعليهِ ارجعت الدراهم الى صندوق المدرسة مع الشكر . ثم قلبت على الجانب الآخر علّني احصل على وثيقة استثناء من الجندية بوظيفتي واعظاً لكنيسة الميومية الانجيلية كما هو الواقع والحصول على الوثيقة يحتاج الى اخذ ورد ووسائط ومعاملات . وكان لرجال الدين القدح المعلّى اذ يعطون الشهادة لطالب الوثيقة . عُرض اسمي بعد ان رُفع طلبي من شعبة صيدا

المقامات العليا بروره تحت نظر الرئيس الروحي لطائفة البروتستانت في بيروت نسيب بك صبرا فأعلم صديقنا القس اسعد عبدالله الرامي واعظ كنيسة بيروت وهذا كتب لي في هذا الشأن وبعد مبادلة الكتاب فوّضنا الوكيل في السعي لاخراج وثيقة الاستثناء حينئذٍ دار الدولاب على محوره مستقيماً وتمّت المعاملة الرسمية في بيروت ثم تحوّلت الى الشام وعكا وانتهى بها المطاف الى شعبة صيدا مصدّقة وجاءني العلم من بيروت بذلك فذهبت الى رئيس الشعبة اسأله عنها فلم يرق له تدبير المسألة عن غير يده وكان يحاول التسويف ولكن الحظ آتاني بوجود الصديق الكريم الشيخ رشيد الخطيب وهو صديق مدير الشعبة حسني افندي فضلاً عن وجود قرابة نسوية بينهما فتداخل في الامر وتكلّم بما اتّصف به من كرم الاخلاق فخرجت الوثيقة الرسمية. واخذتها وارتاح بالي ولكن الى حين . وكنّا مسرورين أن أتمّ الله تلك السنة المدرسية وتفرّق التلاميذ الى بيوتهم بسلام.

وفي اثناء الحرب صار للغة التركية شأن كبير في المدرسة واستُدعي لتعليمها رشيد افندي القطب ميمباشي متقاعد من صيدا . وفي السنة التالية (١٨١٥ — ١٨١٦) أُضيف الى المدرسة فرع اعداد المعلمين وطلبتهُ من متخرجي مدرسة الفنون وغيرها من المدارس الاميركية الثانوية . وتعيَّن لهذا الفرع دروس عالية خاصة بفن التعليم وغيره في العربية والانكليزية .

صف اعداد المعلمين

•

واشترك في تعليم صف اعداد المعلمين بعض المرسلين الموجودين مثل مستر جسب ومستر شيرد ومستر بيرلي وبعض الوقت الدكتور فورد . اما نصيبي معهُ فكان علم المنطق في كتاب « ضوء المشرق في علم المنطق » للشيخ ابرهيم الحوراني . ولم يكن سهلاً عليَّ تدريس هذا الكتاب الجديد لاول مرَّة فكنت انفق وقتاً في الاستعداد وحل القياسات . ولما آنست ان احد الطلبة لديه كتاب الشمسية في المنطق استعرتهُ منهُ ونسختهُ وصرت استعين بالكتابين حذراً من ان يبغتني صاحبهُ في مشكلة لم اطلع عليها فعسر عليَّ حلها وبمقدار ما اهتممنا بشأنهِ استفدنا جميعاً من دراستهِ . واعضاء هذا الصف الذين أتمّوا درس مثائل سنتين قانونيتين فيهِ واستحقوا الشهادة اخيراً هم :

اديب داود نصر – من غريفه وانطون حنا زكا – من صيدا وانيس سعد زعرب – من علما الشعب وحسيب متى عبود – من خيام مرجعيون وعزيز توما ايليا – من مغدوشة وعيسى شاهين حداد – من خربة قنفار ونجيب جرمانس ايوب – من درب السيم .

ومنذ ان دخلت تركيا بالحرب في جانب المانيا شرعت تشدّد على الاجانب في المعاملة فقصدت حكومة متصرفية لبنان احصاء وقيد

موجودات مدرسة الفنون من اثاث وادوات مطبخ ومائدة وغيرها فارسلت الجاويش خليل افندي البستاني وهو صديقنا وصديق المدرسة فكتب ما هو موجود واخذ قائمة بهِ معهُ . وعلى كل حال أعان الله وانتهت السنة المدرسية . وفي آخرها أدركت المدرسة حراجة الموقف وانها ستزداد اكثر ان كان من جهة سياسة الحكومة او تدبير حاجيات المدرسة فأعلنت للطلبة ان لا يحضر منهم السنة القادمة سوى الصف المنتهي القانوني وصف اعداد المعلمين الذى سيكون منتهياً ايضاً. وأوصينا طلبة هذين الصفين ان من استطاع منهم ان يحضر معهُ قمحاً بدل دراهم الرسم المدرسي يكون قد عمل حسناً . عاد الصفان المنتهيان المذكوران في وقت افتتاح المدرسة التي ابتدأت اعمالها بكل حذر وبقي باب الامل بالخير مفتوحاً طالما لم تُعلن اميركا الحرب على تركيا وعلى هذا الرجاء سارت الامور الى ان اعلنت اميركا الحرب على المانيا بسبب تفظيعها في حرب الغواصات في ٥ نيسان سنة ١٩١٧ وعقب ذلك اعلانها الحرب على تركيا ايضاً في ٢٨ نيسان من السنة نفسها حينئذٍ زادت القدر غلياناً وكنا نتخوَّف ان تعجّل الحكومة في اقفال المدرسة فرأينا انهُ مخطر جداً اننا نستطيع البقاء بسلامة الى آخر السنة المدرسية فتمّ الرأي ان نسامح الصفّين الموجودين بالامتحانات النهائية ونسمح لهم بالذهاب الى بيوتهم في ١٧ ايار سنة ١٩١٧ ووضعنا بيد كل واحد منهم علماً بانهم اكملوا الدروس المطلوبة ومتى عادت المدرسة الى الفتح بعد

الحرب تبدل لهم هذه الشهادات غير الرسمية بشهادات المدرسة الرسمية . فذهب كل منهم في حال سبيله ووقفت اشغال المدرسة وصار الاميركان تحت المراقبة .

جعت فاطعمتموني

•

ذكرنا ان المدرسة أقفلت ابوابها وقلنا ان الاميركان وقفوا عن تشغيلها والواقع ان ابواب المدرسة بقيت مفتوحة كما بقي المرسلون الاميركان في ادارة نوع من الشغل لا يقلّ اهميةً عن شغل التعليم وهو انهم فتحوا المطعم العامّ لاعداد الطعام من طبخ وخبز وتوزيعه على الجياع وبنوع اخصّ الاطفال الذين هم رجاء المستقبل ليس في الميومية فقط بل كانوا يرسلونهُ الى القرى المجاورة ايضاً بواسطة اناس يحملونهُ ويوزعونهُ او يوصلونهُ الى معتمد في القرية يوزعهُ بمعرفته . وكما فُتح هذا المطعم في الميومية بادارة مستر ومسز جسب ومستر شيرد تعيّن فتح مطاعم اخرى تولّى ادارتها اناس خصوصيون من ارباب الدراية . وكان لهذه المبرّات اثرها الحسن في عيون الناس وفعلها الطيب في حفظ جمهور من الاطفال من الهلاك جوعاً – لم يقف اهتمام المرسلين عند هذا الحدّ بل انهم حين أعلنت اميركا الحرب على تركيا حسبوا حساب انهم صاروا عرضة للابعاد وخشوا ان يحدث ذلك بغتةً فاهتموا حينئذٍ لا في امر انفسهم فقط

بل في امر المستخدمين عندهم وجميع الذين لهم علاقة بالشغل معهم ويتناولون مرتباتهم منهم كل شهر بشهره وهي التي تتوقف عليها معيشتهم . فرتبوا ان يرسلوا بواسطة اناس خصوصيين مقتدرين مبلغاً من المال يكفي لتسديد حساب ستة اشهر فيوزعونهُ على كل مستخدم فيتسلم كل واحد ما يخصهُ عن المدة المذكورة ويمضي وصلاً بالقيمة . ولا ازال اذكر ان مستر جسب طلب مني ان آخذ مبلغ خمسمائة ليرة عثمانية ذهباً واحفظها عندي الى نهار غد اذ يرسلونها مع الورق النقدي للتوزيع . هذا وصندوق الحديد عند مستر جسب ، وانا لا صندوق ولا خزانة لي . لانهُ خشي ان الحكومة تفتش الصندوق على حين غفلة ليس لتأخذ جميع ما فيهِ بل ربما تبدل الذهب الذي تجده بورق كل ليرة بورقة . فاخذت الخمسمائة ليرة وكأني احمل افاعي سامة ووضعتها تحت وسادتي ولم انم تلك الليلة الا غراراً . ولما اصبح الصباح بالسلامة ارجعت الوديعة الى صاحبها فلم يسلمني اياها بالعدد ولم ارجعها لهُ بالعدد . وذهبت الوفود مصحوبة بالذهب والورق النقدي لتوزيعهِ على الصورة التي اشرنا اليها .

ويلات الحرب

•

وماذا عساني ان احصي من ويلات هذه الحرب الضروس وقد نزل بالناس من انواع البلايا وبخاصة طبقة الفقراء الشيء الكثير مما يؤلمني

جداً ان اخي انيس تُوفي في الغربة بعيداً عن بيتهِ في جهات استانبول وكان قد زارنا في الميومية اوائل الحرب اذ هجر المشتى فراراً من طلب العسكرية الشديد وبقي عندنا مدة ثم تذكّر عائلتهُ التي تركها في المشتى في حالة تدعو الى قلق البال فقصد ان يعود اليها كيفما كانت الحال وذهب وما عدت رأيتهُ بعد ذلك . انه قصد ان يرفع الضغط عن عائلتهِ فعلق في احابيل العسكرية وما وصلني الأ خبر واحد بعد ذهابهِ من تلك الجهات النائية . ثم توفي غريباً لانهُ غير معتاد ان يحتمل شظف المعيشة ومشقات الحياة. وبعد حين من وفاتهِ توفيت زوجتهُ وتركوا ثلاثة صبيان وابنة واحدة وقد رحمهم الله وسلّمهم جميعاً بعنايتهِ. وما أصاب اخي انيس لحق بصديقي ورفيق صباي وهو عارف انطونيوس الحلو اذ مات ايضاً في الغربة بعيداً عن اهلهِ وذوي قرباهُ .

على ان الصعوبة الكبرى ليست ان ينتظم الانسان في سلك الجندية ويموت دفاعاً عن الوطن والشرف وقياماً بالواجب الوطني ، لان هذا امر مفروض عليه حتماً . ولكن سوء المعاملة في جندية هذه الحرب لاولاد العرب خصوصاً مع الاهانات والجوع والعري وعدم الاهتمام بالمصابين والمرضى . هذه الامور وغيرها كان يقضي على المتجندين قبل ان يقضي عليهم في ساحة الحرب وهذا كلهُ جعل الناس ينفرون ويفرون فرارهم من الافعى . وكنا نرى رؤية العين كثيرين ممن يفرُّون ويهيمون على وجوههم من اقصى البلاد حفاة عراة على رجاء ان يعودوا الى اوطانهم . وشاهدنا

اناساً من ذوي قربانا يمرّون بنا على هذه الحالة الزريئة التي تدمي القلوب وكنا احياناً نسعفهم بما في طاقة اليد. والمصائب توحّد القلوب فماتت التحزبات والمشاحنات المذهبية لان الحكومة ضغطت على الجميع على السواء. فما ميزت بين المسلم والمسيحي في ضرباتها. وعلى الاجمال كان اولاد العرب مكروهين مُتهمين بالخيانة والمروق من الوطنية وممالأة الاعداء .

وقد علق جمال باشا السفاح على اعواد المشانق رجالاً من خيرة رجالات البلاد. فالقافلة الاولى في بيروت في ٢١ آب سنة ١٩١٥ والقافلة الثانية في بيروت ايضاً في ٩ ايار سنة ١٩١٦ .وفي هذا التاريخ اعدمت قافلة اخرى في دمشق وقد اقاموا نصباً تذكارياً للشهداء في ساحة البرج وعينوا لهم يوماً يعيدونهُ في ٦ ايار من كل سنة .

واذا سألت الذين مرَّت عليهم هذه الحرب باهوالها ما هي ضرباتها الكبرى لذكروا لك المجاعة والامراض وغيرها .ولكن الضربة العظمى كانت الجندية وتروى قصص كثيرة عن طرق الاحتيال التي كان يأتيها المطلوبون للجندية اهمها الرشوة المفروضة على المطلوبين كرسم قانوني ومنها اذا رام احدهم الخروج من مكان الى مكان يتحجب بازار المرأة وكم كانوا يفتشون المنازل ويعذبون اهل المطلوبين . اما المجاعة فقد تمّ في عدّة نواحٍ ما حدث في حصار اورشليم وخرابها في زمن تيطس .

ولكن بجانب هذه الصفحات السوداء وُجدت صفحات بيضاء من

اهل البرّ والاحسان خففت شيئاً من الويلات وقد سبق معنا الكلام عن انشاء المطاعم في بعض انحاء البلاد . اما المأثرة التي تُكتب للمرسلين الاميركان بمداد الشكر فهي انهم عملوا ترتيباً لمستخدميهم لا يُنظر فيه الى مرتّب الشخص بل الى عدد النفوس الذين في البيت فاشتروا كمية من القمح ووزعوه بهذه النسبة عليهم فانتعشت نفوس كثيرة وأبدل العسر يسراً . واما نحن فلا اقول اننا ما شعرنا بالحاجة ولكننا بالنسبة الى ما شاهدناهُ حولنا كنّا من نعم الله في درجة حسنة . والذي زاد الحال عسراً الغلاء الفاحش . فقد بيع رطلان من القمح بليرة انكليزية وبطريقة سرّية . ولاختفاء الرجال من وجه العسكرية كانت النساء يقمنَ مقامهم في الخروج من المنزل والسفر الى الامكنة القريبة والبعيدة . واسمع هذه النادرة عن لسان احد خدمة الدين وقد رواها لي فقال : ساقني الله لخلاص نفس من الهلاك . قلت جازاك الله خيراً وكيف تأتى ذلك ؟ قال : بينما كنت على الطريق العام رأيت رجلاً غير مسيحي في حالة النزع ملقىً على جانب الطريق فاسرعت واخذت قليلاً من الماء ودنوت منهُ ومسحت جبينهُ قائلاً اعمدك ... الخ وربما فارق هذا الرجل الحياة قبل ان فارقهُ هذا السامري الصالح . فيا ليتهُ وضع الماء في فمه ليبلّ نشوفة حلقهِ ساعة الموت فربما كان أفادهُ اكثر من مسح جبينهِ . وكانوا يمنعون نقل القمح من مكان الى آخر الأ برخصة . اذكر اني اشتريت من قرية مجاورة كيس قمح واتيت بهِ الى البيت في الميومية واذا بالخفير عند جسر درب

السيم يحاول ان يمنعني من المرور وفي وهمهِ اني استرضيهِ ولكنني لم ابالِ بهِ ومررت في طريقي .

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرجُ

رنَّ صوتٌ في الأعالي

•

يا تُرى ماذا الخبر ؟ يوجد في بيتنا مركز تلفون يتصل بمركز المدرسة في صيدا . وكان في صيدا الاستاذ مهنّا زعرب يدير المدرسة الابتدائية وكنا على اتصال معهُ بواسطة التلفون لقضاء مصالح الشغل . وبينما كنتُ في البيت رنَّ صوت جرس التلفون في اذنيَّ فقمت حالاً متسائلاً « يا ترى ماذا الخبر » واذا بالمعلم يقول « ان جيوش الحلفاء تقدمت من فلسطين وبلغت صور ثم تقدمت منها نحو صيدا وقد اجتازت مقدمة الجيش نهر القاسمية واستمرّت في تقدُّمها الى الامام. وفيما نحن نتلقى مثل هذه الاخبار المبهجة في فترات متقطعة كانت أفئدتنا ترقص طرباً ليس كرهاً بالالمان ولا بتركيا، وليس حباً بانكلترا وفرنسا واميركا ولكن بالدرجة الاولى لشعورنا بان الحمل الثقيل الذي كنا رازحين تحت وقرهِ قد تزحزح عن كواهلنا، وان الكابوس الثقيل قد أزيل والاغلال قد فُكّت وان نسمات الحرية المنعشة المحيية ابتدأت تهبُّ في ارجائنا .

وكنا ما بين فترة واخرى ننتظر رنّة جرس التلفون التي صارت لاسماعنا « الذ من نغماتِ الناي والعود » فكنا نتلقى بواسطتهِ خبر التقدم المطّرد الى ان بلغ الجيش نواحي صيدا . وكان قد دخل تشرين الاول سنة ١٩١٨ وانا منقطع منذ مدة طويلة عن النزول الى صيدا للاسباب المار ذكرها . فلما زال المانع دُعيت لاقامة خدمة العبادة في كنيسة صيدا الانجيلية فاتخذت موضوعاً « المجد لله » (لو ٢ : ١٤) . وبعد انتهاء خدمة العبادة ذهبنا الى ظاهر المدينة لنرى الجيوش والجموع المحتشدة من صيدا وجوارها . وقد علمنا ان القائد ارسل علماً بقدومهِ الى حكومة الانتقال وكان الحاكم عند ذاك رياض بك الصلح . وقد رأيت جيوش الاحتلال اول ما وصلوا الى ادارة البرق والبريد قد قطعوا الاسلاك التي تصلها ببيروت واستقبلت الحكومة القائد في السرايا وقدموا لهُ وللضباط الذين معهُ الشاي . اما الاهالي وزعماء البلاد فبعضهم كانوا يتنافسون للجلوس على كرسي الحكم وعلى الاجمال ما كانوا يدرون الى ماذا تأول الامور . اما القائد فكان يتصرف بحكمتهِ حسبما تقتضي السياسة . وفي هذه الاحوال اخلى المرسلون الاميركيون بنايات مدرسة الفنون في صيدا لجنود الاحتلال المرضى ليقضوا فيها مدة النقاهة . واعجبني جندي مصري سمعتهُ يسأل وهم داخلون المدينة عن المكتبة التي يوجد فيها الكتاب المقدس ليشتري نسخة فدبرنا لهُ كتاباً من عند بعض الاصحاب واعطيناهُ اياهُ . اما العملة التي يحملها الجيش فكانت الورق

النقدي المصري ومع كونهِ أعلى قيمةً من ورق النقـد التركي كان الناس ينكرون التعامل بهِ لكثرة ما خسروا من تدنّي الورق التركي ثم ادركوا الفرق في القيمة بين النقدين وصاروا يتعاملون بهِ . ولمـا قضينا لبانة النفوس من زيارة صيدا رجعنا الى البيت في الميومية . وقد حفظت تذكاراً لذلك اليوم أتـدري ما هو ؟ هو حديدة نعلة فرس عثرت عليها في طريق عودتي الى الميومية وها هي لا تزال محفوظة عندي ليست تعويذة كما يضعها الكثيرون على ابواب بيوتهم بل لانها تذكرني بيوم فرح وابتهاج وفرج وحريّة .

في خدمة جمعية النجمة البيضاء

•

انتهت الحرب العـالمية الاولى في ١١ ت ٢ سنة ١٩١٨ وخلّفت وراءها خراباً كبيراً في نواحٍ شتى من امور الحياة وهـذا يحتاج الى تعمير ووقت طويل ولا بدَّ من الاسراع في ترميم ما تدعو اليهِ الحاجة الماسّة اولاً . وقد ذاع وشاع وملأ الاسماع ما حلَّ في هذه الناحية من الشرق الادنى من النكبات الكبيرة في الحرب . ولذلك هبَّ للعمل اهل المروءة والاحسان ممن يحبون القريب ويحـذون حذو السامري الصالح . نعم ان الذين لهم انسباء واصدقاء في بلاد المهجر جاءتهم اعانات ومساعدات ولكن هناك كثيرون ممّن لا اقرباء لهم وثم

اطفال ايتام مشرّدون ممن توُفي والدوهم واصبحوا مُهملين وعلى فرض انه سلم بعض الوالدين فقد خرجوا من الحرب صفر اليدين فوق كونهم صفر الوجوه لا سَبد ولا لَبد لهم وهم انفسهم في حاجـة الى اسداء المعونة لهم . ونشط اهل الغيرة في مد يد المساعدة وبعضهم اتوا انفسهم للخدمة الشخصية . فتألفت وقتئذٍ جمعية النجمة البيضاء الاميركية في خريف سنة ١٩١٨ .

وبينما كانت تُسرَّح جنود القتـال على اثر وضع الحرب اوزارها تجنّد جيوش جدد في هذه الخدمة الشريفة . وكثـيرون من المرسلين الاميركان في هذه البلاد ممن هم تحت السن القانونية تجنّدوا في درجات متنوّعة . وقدّمت مدرسة الفنون لهذا المشروع بناياتها كلها في الميومية والى سنة واحدة بناياتها في صيدا . واستخدموا اناساً مساعدين من رجال ونساء من الوطنيين ومن المستخدمين السابقين عند الاميركان ومن غير المستخدمين حسبما يستدعي الشغل . ولما كانت البنايات القائمة في الميومية لا تسدّ الحاجة كلها أقامت الجمعية بنايات جديدة واتفقت مع المرسلين الاميركيين على ان البنايات كلها من جديدة وقديمة والارزاق تبقى تحت تصرُّف الجمعية عشر سنوات ، وفي نهايتها تعيدها كما هي وما فيها في الحالة التي تكون عليها للمرسلين الاميركان . وتسمى الميتم الذي في الميومية بميتم رأس التل . وتعيَّن مستر ستورت جسب رئيساً لهـذه الدوائر كلها التي وُجدت في صيدا وتوابعها

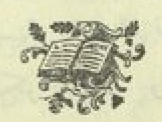
وقد دعوا بعض الوطنيين للمشاركة في العمل ولذلك دعاني مستر جسب للشغل معهُ في هذه المؤسّسة الواسعة وأبان لي ان نظـام الجمعية يقرب من نظام التجنيد العسكري في القوانين وتنفيذها والتقيّد باتمام الواجبات الى آخر المدة المتفق عليها . ولان المشروع في طور التأسيس فلم تكن الاستعدادات الوافية متوفرة . فقد ابتدأنا بنقل الايتام الذين وصلوا الينا في حالة يُرثى لها من الفقر والعري والهزال وعـدم النظافة . فشرعنا نصلح حالهم ونسدّ حاجاتهم بقـدر ما لدينا من الوسائط . وكانت واجباتي ان ادبّر امر هؤلاء الايتام وقد بدأت عملي وخرجت منهُ ولم احقق ما هو بالضبط .

نوادر الاطفال اليتامى

•

كان علينا ان نكتب اسماء اليتامى ووالديهم ولا تظن هـذا يكون دائماً سهلاً فاني اذكر اكثر من مرة انني كنت اسأل الولد ما اسمك ؟ فيجيب بسهولة . اما في السؤال الثاني ما اسم ابيك ؟ فيجيب اسمهُ ابي . وما اسم امك ؟ فيجيب اسمها امّي . فنحتاج الى وقت لنكتشف اسم الاب والام . وكنا نحتاج الى سؤالهم هم لانهم لا يأتون الينا دائماً مع والديهم .

قلنا ان الايتام يصلون الينا في حالة يُرثى لها من الزراية . وبعد ان يغسلوهم وينظفوهم كانوا يلبسونهم ثياباً جديدة تكاد لا تعرفهم للبون الشاسع بين ما كانوا عليهِ وما صاروا اليهِ . وهؤلاء الاولاد النظفاء اللابسون الثياب الجديدة كانوا حين يرَون اطفالاً جدداً قادمين الى الميتم على الحالة التي وصفناها من الزراية يشمئزون ويترفّعون عنهم ويسخرون بهم متجنبين القرب منهم . وما هو الا وقت قصير حتى نجري مع هولاء الجدد ما اجريناه مع اولئك الذين سبقوهم فيبرزون في هيئة مرضية فلا يتحاشى احد مخالطتهم . ومما يؤثر في العواطف ان أم احد الاطفال اليتامى بعد ان قُبل ابنها وصار منظره جميلاً وثيابهُ جميلة أتت بهِ الى امامنا في راما پوهول وفيما هما يصعدان السلّم كانت الام وهي جاثية على السلّم تبكي وتتوسّل (دخيلكم بدّي ابني) فقلنا لها هذا ابنكِ معكِ لا احد يسلبكِ اياه ولاحظنا انها متعلّقة بابنها فلا تطيق مفارقتهُ . وفي الوقت نفسهِ رأت حسن حالتهِ في المدرسة فلا تريد ان تحرمهُ منها . فتأثرنا من ثورة عواطفها . ولاطفناها واقنعناها انهُ خير لهُ ولها ان تتركهُ مع رفاقهِ الكثيرين في المدرسة فقنعت وعادت الى بيتها .



بين المدرسة وجمعية النجمة

•

ولما اوشكت السنة المدرسية ان تنتهي اجتمع بي مستر جسب وسألني : مع من أفضل ان يكون شغلي السنة القادمة ؟ وقال ان المرسلين الاميركان سيعيدون فتح مدرسة الفنون السنة القادمة فهم يريدون ان تعود الى الشغل معهم ، كما ان جمعية النجمة البيضاء التي خدمتها هذه السنة تريد ان تبقى معها في الشغل . فبقي مرجع الامر اليك انت فماذا تختار ؟ فاجبته ان استعدادي السابق وميلي الطبيعي يجعلاني اختار العودة الى الشغل مع المرسلين لان شغلي في جمعية النجمة البيضاء على الغالب ليس لي خبرة سابقة فيه ولا عندي استعداد كافٍ للقيام بهِ .

ومن لطف وكرم ادارة جمعية النجمة البيضاء تفضلت ان تكون صيفيتي مع عائلتي هذه السنة على حسابها فانا اختار المكان وهي تنقلنا في سياراتها اليهِ ، وتنقل كذلك جميع اغراضنا الى بيتنا الجديد فيها فشكرت فضل الجمعيــة وقضينا تلك الصيفية في جزين في بيت ابي سعيد مارون الكوكباني . وآخر الصيف نزلنا الى صيدا لنجدد عهدنا بخدمة المدرسة .

عود المدرسة الى صيدا

•

تقرر عود المدرسة الى صيدا وفتحها سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ خارجية ونصف داخلية وكانت مدرسة سوق الغرب قد استعارت اسرّة مدرسة الفنون السنة الفائتة والآن صرنا في حاجة اليها لوجود التلاميذ النصف الداخليين فارجعوها لنا. وقد رتّبنا لنوم نصف الداخلين القسم الجنوبي الاعلى من ودهول ومخزن النجارة السابق الطويل العريض في الجهة الجنوبية من المدرسة . وخصّصنا لسكنتنا البيت الكائن في القسم الشمالي من ودهول ونقلتُ اليهِ جميع اغراض البيت من الميومية واعلنّا للناس عن افتتاح المدرسة وأحضرنا الكتب التي عيّناها في لائحة الدرس وأقبل التلاميذ افواجاً افواجاً من صيدا وضواحيها فاشغلنا اسرة الحديد كلها وامتلأت الصفوف . وكما هو المنتظر في بداءة كل مشروع ان تزدحم الاشغال وتكثر المراجعات .

ومع اعلاننا للناس ان المدرسة امتلأت من التلاميذ ما كان الاهل يرجعون عنا ولما كنا نهديهم الى المدارس الاخرى في المدينة باح امامنا احدهم بالسرّ قائلاً نحن مدفوعون من اناس لهم مكانتهم للمجيء الى مدرستكم وأنتم مجبرون ان تقبلوا اولادنا . ومعلوم اننا لم نزل في بدء الاحتلال الاجنبي . وكان الحاكم في الشام الامير فيصل

بن الحسين . وعلى هذا كان الجوّ مكهرباً بالسياسة ومعلوم ان حالاً مثل هذه تحدث بلبلةً في الافكار والاميال

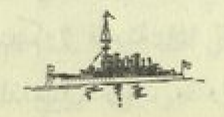
وقد هدأت العاصفة وخفّ الزحام فاشترى التلاميذ كتبهم للتعليم وترتبت صفوفهم ومشت الامور على احسن حال . وكانت رسوم التلاميذ طفيفة اذ استوفيناها على نسبة السنة الماضية مع زيادة بسيطة ولو كانت مثل رسم السنة التالية اي ٤٠ و ٥٠ ريالاً اميركياً لامتلأت خزانة المدرسة ريالات اميركية . وكان شتاء سنة ١٩٢٠ قارس البرد اكثر من العادة ولما نزل الثلج وغطى الجبال نزل الى الساحل حتى شاطىء البحر وشوهد على سواري المراكب في الميناء . وروى لنا الخواجا رفلة دبانة انهُ منذ ٤٠ سنة اي سنة ١٨٨٠ بلغ الثلج البحر وسمع من ابيهِ ان حدث مثل ذلك سنة ١٨٤٠ وعلى هذا القياس يجب ان ننتظر نزول الثلج على شاطىء البحر سنة ١٩٦٠ ومن يعش يره وكان معلمو هذه السنة مستر بيرلي ونسيم الحاو ونوفل اسطفان وحنا سوسو وحبيب عبود وتوفيق بشارة حداد والياس نعمان وميشال انطون وابرهيم داغر وخليل غبريل . وكان من جملة الاتفاقية بين المرسلين الاميركان وجمعية النجمة البيضاء ان الجمعية تبني غرفة درس لمدرسة الفنون في صيدا ، واختير ظهر مخزن التجارة الفسيح لذلك . فشرع في تشييدها القس جورج دولتل وكان المتعهد المهندس يوسف افندي افتيموس . ولما حان ابتداء المدرسة كانت جاهزة للاستعمال فجاءت

في غاية الموافقة في موقعها واستيفاء النور والتهوية انما كانت العقبة في وضع طاولات التلاميذ التي نقلناها من راماپوهول وهي مفردة مثبتة في خشب ارض غرفة الدرس . اما هنا فارض الغرفة من الاسمنت فالتزمنا ان نقرن كل طاولتين معاً بتثبيت ارجلها بقدَّتي خشب بحيث صارتا كطاولة واحدة وكان ترتيب هذه الطاولات في اربعة صفوف .

زيادة درس سنة على المنهاج

•

ولما علمنا من مستر بيلي ان المرسلين يريدون ان ترقي المدارس الثانوية منهاجها بزيادة درس سنة على ما هو عليه . فهمت مدرستنا ان يكون هذا الترقي دفعة واحدة وعليه جمَّدنا اسماء صفوف المدرسة للسنة القادمة فما كان الصف الثالث ابقينا له هذا الاسم مع جعله يدرس مثائل الصف الرابع وهكذا سائر الصفوف فكان جميع التلاميذ يبقون اسمياً في صفوفهم والواقع انهم ارتقوا منها الى صف اعلى كالعادة ووضعنا دروساً جديدة للصف الاعلى الذي يأتي بعدها . اما سائر المدارس فجعلت هذه الزيادة تدريجياً على مرور السنين . وبهذا ظهرت مدرستنا مرتقية سنة فوق غيرها



رئيس وطني لمدرسة الفنون

•

التقيت يوماً بالقس بيرلي فقال لي يريد الدكتور فورد ان تقابلهُ لغرض فاذهب اليهِ ولا تخشَ بأساً . فذهبت الى بيت الدكتور فورد وانا افتكر اشكالاً والواناً ماذا يريد مني … ولما وصلت ، وسلمت عليهِ قال لي انا اطلب منك امراً فلا تقل لا . فاجبتهُ اذا كان ممكناً لا اقول لا . قال : ان المرسلين وقع اختيارهم عليك لتتولى رئاسة مدرسة الفنون الداخلية السنة القادمة وكلفوني ان ابلغك ذلك فبغتُّ بهذهِ المفاجأة ثم اجبتهُ معما اشعر بهِ من الضعفات ازاء هذا المنصب الهامّ فامتثالاً لامركم اجيب الطلب واقول لكم نعم ولكن بشرط وهو اني اعاهدكم ان ابذل كل ما عندي من جهد في الواجبات وبعد هذا اذا قصّرت لا اكون ملوماً « ولا يكلف الله نفساً الاّ وسعها » وشكرت لهُ وللمرسلين حسن ظنهم بي . فشجعني بجوابهِ اللطيف وعطف عليَّ عطف الوالد على ابنهِ .

ولما كنت في الفرصة الصيفية في شملان وكان مجمع المرسلين في بيت الدكتور دورمن واجتمعت بهم سألني هناك بعض منهم كم تظن يكون عدد التلاميذ الداخليين عندكم ؟ فأجبتهُ اذا كان الانتداب ثابتاً لفرنسا على بلادنا يكون عدد الداخلين اربعين . واذا كان لبريطانيا واميركا

يكون العدد نحو الثانين . ولم اكن مخطئاً كثيراً بهذا التقدير . ثم رأينا الاوفق ان نخلي بيتنا في ودهول لاستقبال التلاميذ الداخليين وعليه استأجرنا من مدرسة البنات البيت الذي فوق المحفل وهو ملاصق للمدرسة المذكورة ولكثرة غرفهِ اكتفينا بما نحتاج اليهِ من جانبهِ الشمالي وتركنا الغرف الجنوبية الملاصقة للمدرسة .

تدبير معلمي السنة القادمة

•

نظراً لمعرفتنا بمقدرة الاستاذ كليم قربان في التعليم دعوناه ليكون استاذاً عندنا وكان يعلِّم في القسم الاستعدادي من الجامعة الاميركية في بيروت فطلب منا خمس عشرة ليرة انكليزية ذهباً ولم ينزل عن هذا المبلغ غرشاً واحداً فقبلنا معهُ عرضهُ طمعاً في الاستفادة منهُ . ودعونا كذلك الاستاذ يوسف سوسو وهو من الاساتذة القدماء والخبيرين وعيَّنا لهُ ست عشرة ليرة عثمانية ذهباً وكان قبل الحرب اي في العهد التركي مدرِّس اللغة الافرنسية وقد ظننت خطأ انه يقوم في العهد الافرنسي بهذه المهمة فخدعتني نفسي في هذا التقدير . ولكن الاستاذ سوسو المخلص الخبير لم تخدعهُ نفسهُ ولم يخدعني هو اذ قال لي ان المدرسة في عهدها الجديد تحتاج الى استاذ قدير في اللغة الافرنسية فتوفقنا الى الاستاذ يوسف اسكندر الحاج من دير القمر من خريجي المدرسة الصلاحية في القدس

الشريف وهو قدير في اللغة الافرنسية .

واعلاناً للمدرسة نشرنا لائحة مطبوعة مختصرة في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٠ ابنّا فيها بعض قوانين المدرسة ومقدار رسومها واما لائحة الدروس فطبعناها على آلة الميموغراف على حدة . ورفعنا الرسم المدرسي فجعلناه للتعليم في القسم العالي خمسين ريالاً اميركياً وللقسم الابتدائي ٤٠ ريالاً وجعلنا رسم الطعام والنوم للداخلي عموماً مئة وخمسين ريالاً اميركياً باعتبار الليرة المصرية اربعة ريالات اميركية كما كانت رائجة وقتئذٍ . وهناك رسوم اضافية اخرى ولما فتحت المدرسة في ت ١ سنة ١٩٢٠ سارت بنشاط لمقدرة اساتذتها ونشاطهم في التعليم . ولكن بعد مدة من سير المدرسة تسربت الى عقول بعض الاساتذة افكار لا تتلاءم مع مبدإ التعاون في الادارة فكنت اغض النظر تارةً وطوراً اسديهم بعض النصائح على اني اشهد علناً انهم كانوا غيورين في واجبات التعليم وهذا جعل المسألة اخف ضرراً . وكنت في الاجتماع الرسمي لادارة المدرسة اطرح للبحث المسائل العامة التي لا تحتمل الخلاف اما الامور التي احسبها هامة ولا معدى عنها فكنت اجري تنفيذها بنفسي دون عرضها للبحث . وبسياسة الملاطفة والمداراة انتهت السنة على خير وسلام . وتفرّق التلامذة الى بيوتهم وقد ذكرت هذه الامور كلها في التقرير السنوي الذي قدمته عن سير المدرسة لمجمع المرسلين الاميركان. ولما سألني البعض منهم لماذا لم تعرض مسألة المعلمين الذين لم يتعاونوا

معك الى لجنة التهذيب في المرسلية ؟ فاجبت لما رأيت اولئك المعلمين يتممون واجباتهم في تعليمهم بصورة مرضية ما عاد يهمني كثيراً ماذا يقولون عني . وتمَّ القرار ان لا يعود احد منهم الى التعليم في المدرسة السنة القادمة عدا استاذ الافرنسية لحاجتنا اليه . فنشكر الله على نهاية كل شيء بسلام

الغرائب الاربع

واذا بدا لك ان تسألني عما استغربته بنوعٍ اخصّ من حوادث هذه السنة اجيبك :

(١) الغريبة الاولى — تعييني رئيساً للمدرسة وانا على ما انا في نظر نفسي بقلة راس المال وضعف الاستعداد والمؤهلات لهذا المنصب الخطير

(٢) الغريبة الثانية — عدم تعاون بعض اخواني المعلمين معي . فان كان السبب عدم المؤهلات فيَّ فكنت انتظر ان يرثوا لضعفي ويجبروا نقصي بمضاعفة اجتهادهم فيسندوني ان لم يكن اكراماً لشخصي فليكن للاسم الوطني الذي امثله في هذا المنصب ازاء اخواننا الاجانب

(٣) الغريبة الثالثة — مع ضخامة مرتبات بعض الاساتذة الكبار التي لاجلها رُفع اتباعاً لها مرتبي حتى لا يكون ادنى من احدهم . ومع ما انفقناه على الاصلاحات المدرسية وجدت ميزانية صندوق المدرسة بعد تسديد حقوق الجميع قد ربحت نحو الف وثمانمائة ليرة سورية في قيمتها

ذلك العهد . وهذا امر وجيه كثيراً

(٤) القرينة الرابعة – مع ما بدا مني من القصور والضعف قرّر مجمع المرسلين بعد وقوفه على التقرير السنوي الذي قدمته ان يُسجَّل في اعمال المجمع استحسان خدمة نسيم الحلو في ادارة مدرسة الفنون . وان يُرسَل اشعار خطي له بذلك وقد وصلني هذا الاشعار بامضاء مستر جيمس نكل سكرتير مجمع المرسلين . فتأثرت كثيراً من العواطف الشريفة التي أبدوها نحوي وقدّمت لهم شكري القلبي على ذلك

العيد المئوي للمرسلية الاميركية في سوريا ولبنان

تعيّد المرسلية الاميركية في ١٠ شباط عيدها المئوي اذ مرَّ مئة عام على وصول القس بارسنس الى يافا في ١٠ شباط سنة ١٨٤١ . وكان قد سافر مع القسيس فسك من الولايات المتحدة الاميركية في ٣ ت ٢ سنة ١٨١٩ في مركب شراعي وبعد سفر ٧٢ يوماً وصلا ازمير وبعد سنة ابحر القس بارسنس ووصل الى يافا في ١٠ شباط كما مرَّ . وهذا التاريخ هو بداءة عمل المرسلية . ومن يافا سافر الى القدس . واما القس فسك فبقي في ازمير تلك السنة . وتوفي القس بارسنس في الاسكندرية في ١٠ شباط سنة ١٨٢٢ . وتأسست المطبعة الاميركانية في مالطة سنة ١٨٢٢ لذلك انتقل القس فسك من ازمير الى مالطة وبعد سنة جاء الى القدس ومنهـا الى بيروت . وهكذا عملا في فلسطين

وسوريا ولبنان اعمالاً نافعة واخيراً تركا العمل في القدس لاسباب سياسية وأقاما في بيروت . ثم جاء القسيسان جودال واسحق برد سنة ١٨٣٣ وفي سنة ١٨٢٥ كتب يونس كين خطابهُ المشهور وداعاً لاهل البلاد . وتوفي القس فسك سنة ١٨٢٩

تأسيس السينودس

•

قرّرت مشيخات صيدا وطرابلس ولبنان الانجيلية في سنة ١٩١٩ تأليف مجمع سنودس ولكن الحرب حالت دون اتمام ذلك . وبعد الحرب جدّدت المشيخات المذكورة اظهار رغبتها في ابراز ما قرّرتهُ سابقاً الى حيز الوجود . وانتخبت كل مشيخة نواباً عنها لاجل تنظيمه . فارسلت مشيخة صيدا عشرة نواب كنت لحسن الحظ واحداً منهم . ومشيخة طرابلس ثمانية نواب ومشيخة لبنان ستة نواب . وانتخبت كل مشيخة لجنة للمفاوضة الاساسية بهذا الشان . وبعد مفاوضات اللجان الثلاث تقرر وجوب التئام مندوبين من كل مشيخة في بيروت في ١٥ ايلول سنة ١٩٢١ كلجنة تمهيدية لاعداد مواد البحث . وفي اجتماعهم قرروا ان يكون اجتماع السنودس في بيروت في ١١ ت ٢ ويستمرُّ الى ١٤ منهُ وان ترسل دعوات عامّة للكنائس التي ليست ضمن نطاق المشيخات الثلاث المذكورة . وان يعقد اثناء التئامه اجتماعات روحية في أمساء ايامهِ الاربعة في دار مدرسة الاحد . فاجتمع المندوبون وفي اجتماعهم

انتخبوا الدكتور جورج فورد رئيساً والقس حبيب صبحيه كاتباً والشيخ شحادة شحادة امين صندوق والشيخ يوسف فارس نائب رئيس . وسُمّي هذا المجمع السينودس . وحضر بعض نواب موفدين من الجمعيات الاخرى ومن لم يحضر ارسل اعتذاره . ثم باشر السنودس اعماله وبحث المواضيع المعينة واقام الاجتماعات الروحية الى انتهاء مدتهِ

بطريرك الروم الكاثوليك في مدرسة الفنون

في اسبوع الاحتفالات المدرسية جرت حفلة ابهى واكمل يوم الاثنين في ١٣ حزيران سنة ١٩٢٢ وصفتُها في رسالة الى جريدة النشرة الاسبوعية قلت كان يوم ١٣ حزيران يوماً ميموناً لمدرسة الفنون الاميركية في صيدا اذ شرّفها زائراً غبطة بطريرك الروم الكاثوليك ديمتريوس قاضي ومعيتهِ اساقفة صيدا ومرجعيون وحمص وبعض خدام الدين ووجوه الطائفة الكاثوليكية . فاستقبلتهُ ادارة المدرسة مع طلبتها بالاحتفاء والاكرام ولما استقرَّ بهِ المقام في نادي المدرسة تقدّمت لهُ الاناشيد والخطب الترحيبية من رئيس المدرسة وبعض اساتذتها وتلامذتها . وفاه غبطتهُ بكلمات كلها درر وتلطف فشكر ادارة المدرسة مبيناً فضل اميركا في ما منحته من الخدمة الانسانية واثمن ما فاه به من النصيحة — ان امتلاء العقل من المعرفة لا يفيد بل ربما أضرَّ اذا لم يمتلىء العقل من الفضيلة وروح الله ايضاً

ثم نهض الدكتور فورد وخاطب التلاميذ مظهراً فضل غبطته بما ينجم من التأثير الحسن لهذه الزيارة الثمينة الفريدة وختم الاجتماع بنشيد المدرسة والجميع وقوف . ووُدِّع غبطته كما استقبل بمزيد الحفاوة . واصيل ذلك اليوم دعيت مدرسة الفنون الى حفلة تدشين البناء الجديد لمدرسة الروم الكاثوليك بحضور غبطة البطريرك . فكانت الزيارة داعياً جديداً للتآلف الديني والادبي . ولم ينصرم ذلك اليوم حتى وصلت القطع الموسيقية النحاسية التي اوصت عليها ادارة مدرسة الفنون من اوربا لاجل تأليف جوق الموسيقى المدرسية

فبناء على جميع ما مرَّ بنا يوم ١٣ حزيران حسبناهُ يوم يُمن وان حمل عدد ١٣ الذي يتطيَّر منه بعض اهل الغرب . ولما دُعي غبطة البطريرك مساء الى تناول العشاء على مائدة المستشار الافرنسي سأله هذا قائلاً : اين سررت اكثر في احتفالات استقبال غبطتكم ؟ اجابهُ عند اخواننا الاميركان ...

باكورة منتهي المدرسة

جرت المدرسة في اشغالها وقد اعدَّت اول صف لمنحهِ الشهادات بعد تجديد عهدها في صيدا وكان مؤلفاً من سبعة تلاميذ وكانت الترتيبات هكذا – مساء السبت في ١٧ حزيران سنة ١٩٢٢ اقامت المدرسة ليلة انس خاصة بالمنتهين فكانت ليلة زاهية . وصباح الاحد في

١٨ منه قدّم القس مفيد عبد الكريم راعي كنيسة بيروت الانجيلية العظة البكلورية . ويوم الجمعة في ٢٣ منهُ احتُفل بتوزيع الشهادات على المنتهين وكانت حفلة مرتبة لم تشهد مدينة صيدا مثلها منذ ست سنوات . فخطب الدكتور فورد في « الرقيّ الصادق » ثم قدم النصائح للمنتهين . وهذه اسماؤهم حسب الحروف الابجدية :

ابرهيم ملحم داغر من مجدلونا – جابرت توماس ابرهيم من القاهرة – سليم قزحيا عازوري من عازور – فايز حسن خوري من عازور – فيليب اسعد قهوجي من الحدث – محمد فريد خورشيد من صيدا – مصطفى نجيب شماع من صيدا

بيان سنة ١٩٢٣ – ١٩٢٤

اعددنا هذا البيان ووزَّعناهُ واعلنا فيهِ انهُ لاجل اخذ اللغة الاجنبية من اهلها استدعينا استاذاً من اميركا لتدريس اللغة الانكليزية اسمهُ وايدنهيمر كما جلبنا استاذاً خاصاً لتدريس الرياضيات العليا وتنظيم فرقة الكشافة من الجامعة الاميركية في بيروت اسمهُ سليم عبدالله عرنوق . ومن جملة التحسينات تهيئة غرفة الدرس الجديدة ذات السعة الكافية والمناظر الجميلة وما يدخلها من نور وهواء كافيين . ولاجل ممارسة الالعاب الرياضية استأجرنا قطعة ارض فسيحة في ضاحية المدينة . ولاجل ترقية فن الموسيقى جلبنا كما اشرنا قبلاً ادوات موسيقى نحاسية من اوربا وحددنا وقت افتتاح المدرسة يوم الاربعاء في ٤ ت ١ سنة ١٩٢٢

تجديدات وتحسينات في المدرسة

•

صدر بيان مدرسة الفنون عن سنة ١٩٢٣ – ١٩٢٤ وفيه ما ننوي ادخالهُ من التحسينات :

(١) ان نزيد الاهتمام في اللغة الافرنسية ليس بتحسين الدروس فقط بل بزيادة عدد المدرّبين . فاننا فضلاً عن الاستاذ الوطني للافرنسية قد طلبنا استاذاً جديداً لها من متخرجي جامعات اوربا كما اننا عيّنّا استاذا اميركيًا جديداً للغة الانكليزية فضلاً عن الاستاذ الاميركي الموجود عندنا . فصار طالب اللغتين يتلقاها من اربابها

(٢) بناء على طلب البعض ولاجل تأمين مرتّبات الاساتذة جعلنا الرسوم المدرسية بالليرة العثمانية الذهبية

(٣) قد غيّرنا الاسماء في تنظيم الصفوف فصارت على هذا النسق :

القسم العلمي يتضمن ثلاثة صفوف – العلمي الاول – والعلمي الثاني والعلمي الثالث

القسم الاعدادي يتضمن ثلاثة صفوف ايضاً – الاعدادي الاول والاعدادي الثاني – والاعدادي الثالث

القسم الابتدائي يتضمن الستة الصفوف الابتدائية

واعلنّا افتتاح المدرسة في ٣ ت ١ سنة ١٩٢٣

كشافة مدرسة الفنون

في هذه الغرفة تتمرَّن على القيام بالواجب في الخدمات والاعمال الادبية والرياضية والزراعية والصحية – وقد قامت في فصل الربيع بسياحة اربعة ايام تمرَّن فيها التلاميذ عملياً على الحياة الاستقلالية الخلوية في البرية من جهة النوم وتحضير الطعام ودرس المشاهد الطبيعية . وقد سنى لها هذه المرَّة ان تقوم بالواجب الذي تعلمتهُ نظرياً ، ولان تقوم به عملياً . وذلك انه اتفق في اثناء مرورها قرب قرية صفارين على طريق جزين ان تهوَّرت سيارة بركابها فاسرع القائد بدعوة الفرقة فلبَّت سريعاً وتقدمت لاسعاف الركاب فضمدت جراحهم وداوتهم بما لديها من الوسائط . قال احد الركاب انني ظننت نفسي في حلم ونحن في تلك البرية المقفرة اذ انجدتنا فرقة الرحمة هذه في لمّ شعثنا ومعالجتنا وفوق ذلك عادت بنا السيارة الى الطريق العامَّة

فرقة الموسيقى

كنا قد ذكرنا اننا اشترينا ١٧ قطعة موسيقية نحاسية من المانيا بواسطة الخواجا ابراهيم صرافيان في بيروت وتسلمها استاذ الفرقة يوسف الحاج وعيَّن اوقاتاً للتلاميذ الذين انتظموا في سلكها فصاروا يتمرنون اربع مرات في الاسبوع . اجل انها ابتدأت بحالة بسيطة ولكنها مع ذلك صارت بهجة الحفلات العمومية والاجتماعات الانيسة

زيارة سليم سركيس

ومَن لم يسمع بذكر الكاتب الفكاهي الاجتماعي المتفنن سليم سركيس فقد اسعدنا الحظ بزيارة منهُ لحاجة . فبينما كنت في المكتب في مدرسة الفنون اذا بهِ يشرّفنا بزيارته وبعد السلام والتعارف سألني ان اسمح له ان يخاطب الآنسة روز عطيه في مركز جمعية النجمة البيضاء في الميوميه بواسطة التلفون الذي في المكتب فأحببت ان استرق منه خطاباً لتلاميذ المدرسة الذين قرأوا لهُ وعنه كثيراً — فقلت لهُ بطريق المداعبة . ولكن نحن نطلب منك اجرة هذه المخاطبة . قال كم من القروش تطلبون ؟ قلت ان المدرسة لا تطلب دراهم . قال ولكن ماذا ؟ ما بقي الأ ان اعطيك قبلة مني . اجبتهُ اننا نعفيك من القبلة بشرط ان تخاطب تلاميذ المدرسة في اجتماعهم الآن ونقترح عليك ان تقصَّ عليهم قصة صحن المكرونة بينك وبين المعلم بطرس البستاني كما اوردته في (مجلة سركيس) — اجاب حباً وكرامة . وبعد ان أتمّ المخاطبة ذهبنا معاً الى نادي المدرسة . ولما عرفهُ التلاميذ صفقوا لهُ كثيراً . فقام والقى ديباجة لطيفة ثم روى الحادث وخلاصته : انه كان في حداثته تلميذاً داخلياً في المدرسة الوطنية في بيروت للمعلم بطرس البستاني . واتفق مرةً ان كان طعام الغداء معكرونة فعاف سليم سركيس اكل المكرونة وبلغ خبره المعلم بطرس البستاني فما كان منه الا ان جاء وجلس بجانب سليم سركيس

وقال له : لا انا اقوم ولا انت تقوم حتى تاكل صحن المعكرونة فاكله ومن ذلك الحين حصلت صداقة متينة بينه وبين المعكرونة .

السيل العظيم في مشتى الحلو

حدث في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٤

•

طلبت من ابن اخي جبرا انيس الحلو ان يصف لي هذا الطوفان غير العادي فكتب لي عما شاهده عياناً وعما رواه الآخرون له قال :

نزلت الامطار بغزارة غير اعتيادية من نصف الليل الى آخره . وكانت تسوقها ريح شرقية قوية وحدث رعد قوي واظن انه سقطت صاعقة . كنت انا نائماً في الغرفة الشرقية عند النافذة الشرقية فصار ماء المطر يدخل من خلال خشبه وهو مغلق ويسقط على وجهي وفراشي رشاش منه ثم صارت نقط الماء تنزل عليَّ من سقف الغرفة لان الريح الشرقية حملت الماء على الدخول من خلال القرميد ، وعند الصبح سمعت هديراً طالت مدَّته ظننته اولاً رعداً ولكن طول المدة جعلني اغيِّر فكري وُخيِّل اليَّ اني اسمع صوت سيل عظيم نازل يهدر وكأنه بقرب نافذتي لشدة صوته فنهضت وفتحت النافذة ناظراً الى جهة النهر فما رأيت النهر ولكني رأيت ما يدهش العقول ، شلّالاً لا يقلُّ عرضه عن المئة وعشرين ذراعاً وارتفاعه عن ٣٠-٤٠ ذراعاً وغبار او رشاش الماء يتصاعد بقوّة . وهذا الشلّال كان موقعه في الفجوة

الكائنة عند اسفل بستان (سابق) في اعلى القرية . ثم فتحت باب غرفتي وخرجت فوجدت جماً من اهل دارنا على السطح يتفرجون على هذا المنظر الرائع المهيب. وعند سوق الجسر حيث توجد مجموعة حوانيت قرب النهر كان الماء مرتفعاً عن ظهر الجسر وجارياً بكل قوّته عن جانبه الذي يلي السوق اي يسار النهر واصبح محل الجدول الذي عن يسار النهر وما جاوره من البساتين على عرض خمسين ذراعاً او اكثر هو المجرى الرئيسي لذلك النهر العظيم .

وعند الظهر خفّ ارتفاع الميـاه وظهرت قناطر الجسر التحتاني في وسط القرية ومعظم الماء كان يجري عن جانبه الجنوبي الذي ثلمه السيل وهدمه على عرض ١٥ ذراعاً او اكثر . اما القناطر فكانت لا تزال ثابتة ولكنها مكشوفة عارية من الجهة الجنوبية حيث حفرت المياه وكشفت جذور شجرة الدلب العظيمة الكائنة على ركن الجسر الجنوبي وظهرت الجذور متشابكة .

وحدث مثل هذا في الجسر الاعلى فكان معظم الماء جارياً عن جانبه الايسر المهدوم خلافاً لجانبه الايمن الثابت . اما الطوفان فقد بلغ معظمه صباحاً لمدة عشر دقائق ثم انخفض الى نصف مـا كان عليه اولاً وبقي يتناقص ببطء الى آخر النهر وفي اليوم الثاني كان لا يزال اقوى من اعظم الطوفان الاعتيادي في فصل الشتاء. وبقي النبع المعروف بنبع العطشان مدة ثلاثة ايام جارياً وكان في اليوم الاول بقوّة نهرنا لما يكون فائضاً .

كتاب فارس بك الخوري

اشرنا في الجزء الاول من هذه المذكرات الى تلميذ تعرّفنا به اذ كنا تلاميذ في مدرسة صيدا الاميركية في السنة الثانية المدرسية وتخطّينا الزمان فأشرنا الى ما آل اليه امره عن جدارة واستحقاق. والآن هو فارس بك الخوري الوزير الخطير في الجمهورية السورية جاء يطلب ان يدخل ابنه الى مدرسة الفنون ليتعلم حيث تعلّم هو ويقول كلمة في المدرسة ابلغ ما قيل فلهُ الشكر الجزيل.

قال بعد المقدمة : اخبركم اني عازم على ارسال ابني سهيل البالغ من العمر ١٤ سنة الى مدرستكم في السنة المدرسية القادمة وربما تمكنت من مرافقته بنفسي في موعد افتتاح المدرسة في ٨ ت ١ القادم فاحظى بمشاهدتكم واستعيد ذكرى الايام الجميلة التي قضيتها في هذا المعهد منذ ثلث قرن وقد عجزت هذه المدة الطويلة عن محو الآثار الطيبة التي تركتها تلك الدار العلمية في نفسي حتى دفعني الحرص على تمكين ابني ايضاً من التمتع بها . فانني ما زلت اعتقد ان مدرسة المرسلين الاميركان في صيدا افضل معهد لغرس مبادىء الصدق والاخلاص والاخلاق الفاضلة في نفوس تلاميذها وما زلت انسب فضائلي التي اباهي بها الى التربية الصحيحة التي تلقيتها في بيت ابي اولاً وفي هذه المدرسة ثانياً . ارجو ان تحفظوا لنا محلاً في القسم الداخلي ونحن بالطبع سنقوم بالشروط التي يقتضيها ذلك

الداعي اخوكم
فارس الخوري

دمشق ٢٥ آب ١٩٢٤

رسامة القس طعمة الشاب

تمّت الرسامة في ١٦ ت ٢ سنة ١٩٢٤ وقام بها القسوس طعمة رحال وابرهيم داغر والاخوة الثلاثة متى واسعد وامين عبود . وكان كل شيء بترتيب ونظام . وهنأه الجميع بمنصبه الجديد الشريف .

المؤتمر السادس لتلامذة المدارس

•

اعتادت المدارس ان تعقد مؤتمرات لتلامذتها فيجتمع التلاميذ والادارة العاملة في المؤتمر في احدى المدارس الداخلية فياتي التلاميذ من مدارس عديدة فينامون ويقومون ويأكلون ويشربون ويلعبون ويتماشرون ويشتركون في استماع الخطب والمباحثات من ذوي المعرفة والاختبار كأنهم اخوة او تلامذة مدرسة واحدة . وغير خافٍ ما لهذا الاختلاط والتمازج من بهجة وانتعاش قوي وفوائد .

وقد ترتّب تلك السنة ان يكون المؤتمر في مدرسة الصبيان الاميركية في طرابلس في ٢٢ نيسان سنة ١٩٢٥ وقد أُسندت اليّ بعض الاشغال فيه كما كان لمدرستنا تلاميذ فيه ايضاً . وكان ترتيب الاعمال في المؤتمر ان يُشغَل الوقت بامور متنوعة مفيدة نهاراً ومساء عدا فسحات قليلة للاستراحة والنزهة . وكان افتتاح الاعمال في كل يوم انفراد كل وفد مجتمعين او متفرقين لتلاوة جزء من الكتاب المقدس وتقديم

صلاة ، وبين الساعة ٨ و١٢ تعقد اربعة اجتماعات متتالية متنوعة وبعد الظهر تعطى فرصة الى الساعة الخامسة والنصف لقضاء امور شتى . فكانت تتلى عليهم الخطب اما وهم مجتمعون في الهواء الطلق او في نادي المدرسة.وممن شارك في القاء الخطب الاستاذ نكلي من الجامعة الاميركية والقس حبيب صبحية من طرابلس ومستر ستولترفس من النبطية ونسيم الحلو من صيدا ، وأخذ رسم الاعضاء جميعاً . وزار المؤتمر مطران الروم الارثوذكس في طرابلس الكسندرس طحان بدعوة من الادارة العاملة وقدم خطبة اثنى فيها على امثال هذه المساعي المفيدة وضمّنها نصائح للشبان وخُتمت اعمال المؤتمر صباح الاثنين في ٢٧ نيسان فتفرقت الوفود يحملون الثناء العاطر على لطف وكرم مستر لثت رئيس مدرسة طرابلس

الفضل يعرفه ذووه

انا ننقل هذه الفقرة من بيان المدرسة سنة ١٩٢٥–١٩٢٦ فقد ورد في مقدمته ما يأتي :

يجمل بنا في هذه الكلمة الافتتاحية ان نثبت مع الامتنان الاشارة اللطيفة التي تكرمت بنشرها مجلة « المدرسة الداودية » الغراء عن مدرسة الفنون تحت عنوان « شهادة واجبة الاداء » قال مديرها الفاضل : « كنا بين المدعوين لاجتماع علمي مدرسي السنة الماضية في الجامعة الاميركية فتأكدنا من مناقشة المجتمعين وهم يمثلون اكثر

المدارس الاعدادية في سورية التي تعلم اللغة الانكليزية ان مدرسة صيدا الداخلية الاميركية المنشأ السورية الادارة هي من افضل المدارس السورية التي تبذل العناية الكلية في تهذيب اخلاق التلاميذ وتدريسهم اللغة العربية جيداً فضلاً عن اللغتين الانكليزية والافرنسية والعلوم الاعدادية . هذه شهادة واجبة تأديتها للحقيقة واعلاناً للفضل »

تعظم قيمة هذه الشهادة ويكبر فضل ناشرها ان عُلم انه لا يوجد سابق معرفة ولا غرض من الاغراض دعاه الى نشرهـا سوى الغيرة على الخدمة الادبية والتنشيط . فنكرر لحضرته الشكر ونرجو ان نسمى للوصول الى المنزلة التي وضعنا فيها .

وفاة المعلم يوسف عطيه

بلغنا في ٢٥ ايار سنة ١٩٢٦ خبر وفاة المعلم يوسف عطيه ونحن نعرفه حين كان خادم كنيسة سوق الغرب الانجيلية فرأينا فيه التقوى والورع . وفي مدرسة اللاهوت كنا ندرس معاً انجيل يوحنا فنتباحث ونتفاوض واياه وقد استفدنا من روحه الهادىء وصلاحه . ومن نوادر حياته انه لما اعتنق المذهب الانجيلي في صباه طرده اهله من البيت فأمَّ بيروت وحاول ان ينزل ضيفاً على اخيه فطرده للسبب نفسه وكان الوقت ليلاً فجال في المدينة الى ان اهتدى الى بيت الدكتور هنري جسب وطرق بابه على غير سابق معرفة فاضافه بعد ان وقف على قصته وكان ذلك سبباً لتقدمه في العلم والمعارف .

وفاة سليمان الحلو

وصلنا ايضاً نعي ابن عمي المعلم سليمان الحلو وكان رفيقي منذ الطفولية ولا سيما في مدرسة صيدا معاً ونال شهادة المدرسة سنة ١٨٩٠ وعلّم في عدة مراكز ودرس في مدرسة اللاهوت ولم يكملها وخدم بعض الكنائس . وهاجر الى البرازيل وفتح مدرسة مع صهره سليمان صفدي ولم يلبث بعد هذا الا ستة اشهر فتوفي في سكتة قلبية سنة ١٩٢٦ . وقد مرَّ ذكره سابقاً .

اجازتي المدرسية لسنة كاملة

•

اعلن لي المرسلون الاميركان انهم يمنحوني اجازة سنة كاملة بداءتها شهر تموز سنة ١٩٣٦ واعلنوا ان مرتبي الذي كنت اتقاضاه وانا في الخدمة اظل اتقاضاه مدة الاجازة . أضف الى ذلك ان نفقات انتقالي من صيدا الى بيروت وعودتي اليها واجار البيت الذي اسكنه في بيروت سيدفعونه لي كله . وفوق هذا وذاك حبذوا اليَّ ان اذهب في سياحة شهر الى مصر ازور فيها معاهد العلم وبخاصة الجامعة المصرية والآثار المشهورة فيها ويكون جميع ما انفقه في هذه السياحة على حسابهم . فباذا اجيب عن جميع هذه المنح والهبات غير بالشكر الجزيل على هذا الجميل .

اذاً صار علينا ان نهيء انفسنا ونستعدّ لهذه التغييرات الجديدة ٠ واول شيء افتكرنا به اين نقضي فصل الصيف فاخترنا قرية شملان اذ نكون قريبين من ابنتنـا سلوى فنراها هي وعائلتها ٠ فاستأجرنا بيت ابي جان واشترطنا عليه ان يبقي لنا بعض الاثاث ٠

وفي هذه الصيفية كان لنا راحة حقيقية اذ القيت همّ المدرسة على عاتق المستر بيرلي الذي تولّى رئاستها في غيابي . وهذه منـاظر شملان واهل شملان ونحن لسنا غرباء عن كل ذلك ولما وجدت عندي فراغاً في الوقت شرعت في اعداد كتاب جديد للمعلم الحديث كما عملت سابقاً كتاباً للتلميذ سميته « رفيق التلميذ » لجمعت شتات ما عندي من خطب ومحاضرات القيتها في عدة مؤتمرات فراجعتها ونسّقتها وأدغمت ما ائتلف من مواضيعها الى آخر ما هنالك الى ان تمّ ، فسميتهُ « الحديث المفيد مع الاستاذ الجديد » وقدّمته على اثر نزولنا الى بيروت للمطبعة وجعلته هدية للدكتور فورد صاحب الافضـال الكثيرة . والذي لاحظته انه لاقى رواجاً واستفـاد منه بعض المعلمين في استعداداتهم للامتحان لدى الحكومة ٠ وكانت مباحثهُ تشغل اكثر ابحاث مؤتمر المعلمين في سوق الغرب سنة ١٩٢٧ اذ طلب مني مستر نكلي والاستاذ بولس خولي ان اقوم بهذه الخدمة معهما ٠

زيارة مصر

•

وبعد انتهاء موسم الصيف الذي صرفناه في نزهات متعددة في جبل لبنـان وخصوصاً في زيارة دير القمر وبيت الدين عدنا وسكناً في بيروت . ورغبة في الاستفادة من تلك المنحة المقدّمة لي لزيارة القطر المصري زرت ذلك القطر الشقيق واطلعت على اهم الاماكن فيه . فزرت اهرام الجيزة وابا الهول وشاهدت المسلات . وقمت برحلات على نهر النيل وزرت الكنائس الهامة وبعض الجوامع التاريخية مثل جامع الازهر الشريف، وادارة المقتطف والمقطم ودار الهلال وحدائق الحيوانات، ومصر الجديدة والجامعة المصرية حيث استمعت الى محاضرات القاهـا الدكتور طه حسين ، والاستاذ احمد امين ؛ والدكتور عبد الوهاب عزام والشيخ احمد الزيات . ثم زرت وزارة المعارف وكلية البنات الاميركية في القاهرة . واخيراً عدت الى فلسطين بالسكة الحديدية مجتازاً صحراء سيناء .

زيارة القدس الثانية

•

كانت خطتي لدى عودتي من مصر ان اعرّج في طريقي على القدس وازورها ثانية بعد ان كنت قد زرتها قبل اثنتي عشرة سنة . واستقبلني

الاستاذ نجيب جرمانوس الذي ساعدني على زيارة الاماكن التي لم استطع ان ازورها في المرة السابقة . ورغبت قبل كل شيء زيارة كنيسة القيامة لان ذلك الموضع يستحق الزيارة تكراراً ومراراً . وبعد ان زرنا كثيراً من الاماكن التاريخية والمتعلقة بحياة السيد المسيح لم اشأ اطالة الاقامة في القدس لاقتراب عيد الميلاد وكنت ارغب ان اصرف ذلك العيد في البيت . ولذلك استقليت القطار الى حيفا ومنها اخذت السيارة الى بيروت حيث وصلتها بالسلامة ورأيت الجميع بخير .

زيارات المدارس

•

في اثناء وجودنا في بيروت تسنّى لي زيارة بعض المدارس ففي يوم الاربعاء ٢٦ ك ٢ سنة ١٩٢٧ زرت المدرسة البطريركية الكاثوليكية ورافقني في هذه الزيارة القسأن مفيد عبد الكريم ونجيب داود ومنها عرّجنا على مدرسة البنات الانكليزية لزيارتها ايضاً . وفي اليوم نفسهِ بعد الظهر زرت مدرسة الحكمة المارونية وصحبني اليها الاستاذ نقولا غبريل وكان استقبالنا حسناً حيث ذهبنا

ويوم الاربعا في ٢٣ شباط من السنة نفسها زرت مدرسة الشيخ عباس الازهري (الكلية الاسلامية) وزرت مدرسة الصنائع والفنون وسرّنا ان يكون احد اساتذتها اديب فرحات من خريجي مدرسة الفنون صيدا . وزرنا يوم الخميس في ١٢ ايار الجامعة اليسوعية ورأينا فيها بعض

الطلبة من مدرستنا ايضاً وفي هذه الزيارة انسنا برافقة القسيسين مفيد عبد الكريم ونجيب داود مرة ثانية . وتعرفنا بالاب لويس شيخو وفي كل الزيارات وجدنا كل لطف ورعاية من ارباب المدارس . هذا في بيروت وفي غيرها فقد زرت يوم السبت في ٦ نيسان سنة ١٩٢٧ مدرسة الجامعة الوطنية في عاليه وتناولنا طعام الغداء على مائدة رئيسها الاستاذ الياس شبل الخوري وكان رفيقي هذه المرة صروي الاستاذ حبيب حتي. وفي ٢٥ ايار زرت حمص ودعاني الى ضيافتهِ الاستاذ مريد مسوح رئيس الكلية الانجيلية في حمص ، وثاني يوم زرت الكلية الانجيلية المذكورة كما زرت كلية حمص الارثوذكسية . وهنا في حمص شاهدت بعض الاصحاب القدماء لاني كنت معلماً في حمص منذ ٣٨ سنة . ولما ذهبت في شغل خاص الى دمشق زرت المدرسة الكلية العلمية للاستاذ سليمان سعد — وقد جمعت ملاحظات وفوائد جمّة من زيارتي لهذه المدارس

زيارة ادارة الجامعة السورية

•

شاع انه مُنح حقُّ الدخول للجامعة لبعض المدارس الثانوية فتقدم منتهيها دون امتحان لفرعي الحقوق والطب في الجامعة السورية في دمشق فكلفني المرسلون الاميركان وانا في بيروت ان اذهب الى دمشق وافاوض ادارة الجامعة في هذا الشأن طالباً ان يكون لمدارسنا الثانوية مثل هذا الحق. فتركت بيروت قاصداً الشام فسرنا صعداً في عقاب لبنان وطرقه المعهودة

حتى انحدرت بنا السيارة نحو سهل البقاع وهناك اجتازت بنا الطريق التي تكاد تكون مستقيمة في ذلك السهل الفسيح حتى دخلنا الجبل الشرقي فاجتزنا وادي الحرير ثم الحدّ الفاصل بين لبنان وسورية ثم دخلنا وادي القرن وبعدئذٍ رافقنا في سيرنا نهر ماء وهو بما حواليهِ من اشجار غبياء انعشتنا نسماتهُ الباردة في وسط حرّ ذلك النهار ثم دخلنا دمشق ونزلنا في فندق الشرق . ومما امتازت به دمشق اجتياز ذلك النهر بردَى في وسطها وعلى ضفتيه المتنزهات التي تبهج الناظر وتشرح الخاطر وليس هذا شيئاً حديثاً فقد افتخر نعمان السرياني – وزير ملك ارام – قديماً اذ قال « أليس أبانة وفرفر نهرا دمشق احسن من جميع مياه اسرائيل » (٢ مل ٥: ١٢)

وقد غنمت الفرصة لمقابلة ذوي الشان في ادارة الجامعة السورية فعرضت امامهم غرضي طالباً مساواة المدارس الثانوية في الحق المذكور الذي منح الى بعضها دون البعض الآخر . فكان الجواب هكذا : نعم قد مُنح سابقاً بعض المدارس في لبنان هذا الحق ولكن وُجد بعدئذٍ ان بعض الطلبة المتقدمين قد أُعطوا شهادات عن غير استحقاق وبعضهم زوّروا الشهادة فاقتضى الامر الغاء هذه المنحة وحجبها عن الجميع فصار على الطالب من اي مدرسة كان ان يقدم امتحاناً ، فاذا احرز ١٤ علامة من ٢٠ يجتاز علامة الامتحان ويُطلب منهُ ان يكون ماهراً في الحساب وذا إلمام في الفلك والكيميا والمثلثات . وقالوا انه يترتب علينا ان اردنا ايجاد علاقة مع الجامعة السورية ان نطلب منها بيان المواد المطلوبة

في الامتحان رسمياً وهم غب اطلاعهم عليهِ يرسلون الينا حالاً . وقالوا ايضاً ان الامتحان ليس بذي بال ، وقد انجزوا وعدهم هذا فارسلوا لنا تعليمات وافية عن المواد المطلوب الامتحان فيها . وقد قدمنا تقريراً لسكرتير المرسلية ليروا رأيهم في هذا الموضوع

جولة في دمشق

اغتنمت فرصة وجودي في دمشق للتفرُّج على آثارها ومشاهدها وكم كانت جميلةً تلك الليالي لمن يتنزَّه على ضفاف نهر بردى اذ يرى المياه تتألق عاكسةً الانوار الكهربائية كانها شعلة من نور تترجرج على صفحات الماء انها مناظر بديعة تخلب الالباب . وليس لنا وقت لاستيفاء وصف مباهج مدينة دمشق فنقتصر على ما مررنا بهِ في جولتنا فيها . وقد ساق لنا حسن الحظ مقابلة الصديق الوفي الاستاذ شفيق لطفي من صيدا وكان طالب حقوق في الجامعة السورية ، فقدَّم نفسهُ لمرافقتنا ومساعدتنا في هذه الزيارات مضحياً بوقتهِ الثمين . واول ما زرناهُ تحفة دمشق الكبرى الجامع الاموي الذي بناهُ الخليفة الوليد بن عبد الملك ابن مروان . ويقال انهُ اعظم ابنية العرب وليس لهُ نظير في جوامع الاسلام . وبعدهُ زرنا قبر البطل المشهور صلاح الدين الايوبي ، وقريب منهُ قبر صادق وفتحي الطيارين اللذين اوفدتهما حكومة الاتحاد والترقي الى مصر فسقطت فيهما الطيارة وقضيا شهيدي الواجب

وزرنا مركز المجمع العلمي العربي فرأينا فيهِ الشيخ مصطفى الغلاييني

احد اعضائهِ فأحسن استقبالنا وأطلعنا على ما نزيد فسررنا بمقابلتهِ والتعرُّف بهِ . وجلنا قليلاً في بعض شوارع المدينة ثم قفلنا راجعين فكررنا الشكر للاستاذ شفيق وودَّعناهُ وافترقنا . وثاني يوم تركنا دمشق الى بيروت فبلغناها بالسلامة حاملين المنَّة لجميع الذين ساعدونا في هذه الزيارة

زيارتنا الى صيدا

•

حدَّثت القارئ الكريم عن زياراتي اثناء سنة اجازتي الى مصر وفلسطين وحمص ودمشق ولم اشر الى زيارتنا الى مدينة صيدا حين قصدناها لبعض الشؤون . وبمناسبة وجودنا فيها اقامت ادارة مدرسة الفنون ليلة انس اكراماً لنا اهتمَّ في ترتيبها القس بيدلي رئيس المدرسة مع الاساتذة والتلامذة . وبعد ان جرت العاب وتسليات مبهجة بأغتنا اصدقاؤنا المذكورون بتقديمهم لنا صورة تمثل السيد المسيح مع تلاميذهِ حين رسم لهم سرَّ العشاء الرباني وهي مأخوذة عن اشهر صورة لليونار دي فنشي وصنعوا لها اطاراً جميلاً على كبر حجمها فشكرنا لهم معروفهم ومحبتهم . ولم تزل هذه الصورة تزين بيتي مشيرة الى فضل مقدميها

وزرنا صيدا ايضاً آخر السنة المدرسية في احتفالي المدرستين الاميركيتين وكان احتفال مدرسة البنات يوم الثلاثا في ١٤ حزيران سنة ١٩٢٧ وكانت ابنتنا ميليا احدى المنتهيات فيها . وكان خطيب حفلة البنات الاستاذ داود قربان — صديق المدرسة واستاذها — سنين طويلة غابرة . اما

حفلة مدرسة الفنون فكانت يوم الجمعة في ١٧ حزيران وقد طلبت مني ادارة المدرسة ان اقدم الخطبة السنوية فاتخذت موضوعاً « مصادر الاحكام الشخصية » وتكرَّم القس بيرلي وقرينته ان اكون انا وزوجتي ضيفيهما اثناء الحفلتين فشكرُنا لهما مزدوج ٠

كلمتي في فاتحة بيان المدرسة

•

طلب اليَّ الفاضل القس بيرلي ان اكتب الكلمة الافتتاحية في صدر البيان الذي عُني بوضعهِ هو مع ادارة المدرسة ، وله عليَّ حق الاجابة فلبَّيت الطلب ٠ ولا بد قبل الكلام من الاشارة الى فضلهِ اذ تكرَّم بحمل اثقال واجبات رئاسة المدرسة عني سنة كاملة (١٩٢٦ – ١٩٢٧) فوق اشغالهِ الخاصة وقد تفرغت في هذه المدة لزيارة المدارس في مصر وفلسطين وبيروت والشام ولبنان وحمص ٠ ولازمت بنوع خاص الحضور في الجامعة المصرية وجامعة بيروت الاميركية وقد اكتسبت بهذه الزيارات والمباحثات مع ارباب المدارس فوائد جزيلة اذ تيسَّر لي بها إضافة اختبارات زملائي الواسعة الى اختباراتي البسيطة ليكون لي من المجموع استعداد اوفى لتأدية خدمتي لمدرستي المحبوبة ٠

ومما يسرُّ الاشارة اليهِ كون مدرسة الفنون حصلت للسنة القادمة على بغيتها بمجيء استاذ خاص اليها من الولايات المتحدة لتدريس اللغة الانكليزية وهو الاستاذ هورد لختي ٠ كما حصلت ايضاً على استاذ

خاص دُعي من فرنسا لتدريس اللغة الافرنسية مع استاذها الحالي القدير الياس سرور وهو الاستاذ رني بوست

الانتقال الى الميومية

•

بعد انتهاء المدارس واقبال الصيف بجوّه تفرّق التلامذة والاساتذة الى اوطانهم . وقد ترتب علينا نحن ان نبرح بيروت اذ انتهت مدة اجازتنا كما انتهت مدة اجار البيت . وكان قد تمّ القرار سابقاً ان تنتقل مدرسة الفنون الداخلية الى ابنيتها في الميومية . والذي هيّأ هذا الامر ان جمعية النجمة البيضاء أخلت قبل المدة المعينة لها اي عشر سنين الابنية التي كانت تشغلها في الميومية من قديمة تسلّمتها من المرسلين الاميركان وحديثة انشأتها هي . وهذا ما احدثته : بناية فورد هول بجانب رامابو هول وبناية — برسنل هوس — على قمة الراس الشمالي مقابل رامابو هول — وبناية المستشفى فوق حرجة الصنوبر — وبناية المطبخ العام فوق فرن المدرسة القديم — وبناية المنظر الجميل بقرب بيولا — وبناية كاراج واسع وبعض اضافات من ابنية خشبية وحجرية .

مساعدة الدكتور فورد

•

وصلني سابقاً كتاب من الدكتور فورد بتاريخ ٢١ تموز سنة ١٩٢٧ يقول فيه ما نصهُ : يسرُّني ان اقول اني وشريكتي مسز فورد نريد ان

نعضدكم بكل ما يمكن ولا سيما في السنة المقبلة التي لها نصيبها من المصاعب الخصوصية . ونريد ايضاً ان نفتح للبعض باب الخير الذي يكون مغلقاً في وجوههم . فيمكنكم ان تعتمدوا الى حد مئة ليرة عثمانية ذهبية ونترك لحكمتكم امر التصرُّف في تخصيصها للمساعدين .

تلقينا هذه المبرَّة مساعدةً للمدرسة كما انها مساعدة للتلاميذ الذين ينتفعون بها وهذه واحدة من مبرّاته وقد سبقها آحاد كثيرة من نوعها . وجاءت هذه المساعدة في ابان اهتمامنا في العودة من الاجازة الى خدمة المدرسة . ودار الزمان دورته فلم يكمل الحول على هذه الرسالة حتى كان قد انتهى الجهاد الحسن الذي جاهدهُ الدكتور فورد واكمل المساعي الحميدة فجاء الوقت ليوضع لهُ اكليل المجد . فقد انتقل الدكتور الى الراحة الابدية في ١٥ ايار سنة ١٩٢٨ .

لمحة من حياة الدكتور جورج فورد

•

هو ابن القس يشوع ادورد فورد وكان مولدهُ في مدينة حلب في ٣١ ايار سنة ١٨٥١ وحينما انتقل به والداهُ الى بيروت كان له من العمر اربع سنين وفي اول آب سنة ١٨٥٩ انتقلت الاسرة الى صيدا ولما بلغ الفتى جورج السنة الرابعة عشرة ذهب مع والديه الى اميركا ولسوء الحظ لم يعودوا من اميركا اذ توفي والده فدرس الفتى هناك العلوم واللاهوت وخدم كنيسة رامانو اربع سنين وفي شهر كانون الثاني سنة ١٨٨١ جاء القس

جورج فورد مرسلاً لسورية في حقل صيدا . وفي مدينة صيدا وضواحيها قضى كل مدة خدمته عدا سنة واحدة خدم فيها حقل زحلة والبقاع . ولما كان في اجازاته في اميركا حضر يوبيل كليتهِ المئوي وكان احد خطباء اليوبيل فمنحته جامعته رتبة دكتور في اللاهوت وفي سنة ١٨٩٤ انحصرت خدمته في ادارة مدرسة الفنون . وفي السنة نفسها ادخل اليها الفرع الصناعي كما أسس ايضاً فرعاً فيها ليتامى الطائفة الانجيلية

ومن ذلك الوقت شرع في تشييد الابنية المدرسة وتنحى عن العمل سنة ١٩٠٥ موقتاً فناب عنه في ادارة المدرسة الدكتور صموئيل جسب وسنة ١٩٠٦ اقترن في اميركا بالسيدة كاترين بوث وفيما هو عائد بزوجته الى سورية توفي صديقه الحميم القس وليم ادي لحزن لوفاته وكانت زوجته افضل معزٍ ومعين لهُ وعاد الى رئاسة مدرسة الفنون سنة ١٩٠٧ واستمرَّ الى سنة ١٩١١ اذ تنحى ليتفرَّغ لاشغال اخرى فتولى الرئاسة مستر ستيورت جسب واشتغل هو في الدرس والتأليف وعمل الخير وبنى لنفسه بيتاً في محلة عين الحلوة وغرس حوله الاشجار والازهار حتى اصبح جنة زاهية وجمع فيه من آثار الاقدمين مجموعة ثمينة كانت كعبة القاصدين من العلماء والعظماء . وكان له موهبة النطق بالعربية كأهلها وكان وعظه لذيذاً ومفيداً وألف عدة كتب روحية اشهرها تاريخ حياة المسيح وكان لي حظ في الاشتراك بمراجعة لغته ووضع مقدمته . وله شخصية ممتازة في مقابلة العظماء الذين كانوا يحترمونه . وقد اشترى املاكاً في جوار صيدا اوقفها لمدرسة اليتامى واشتغل في استنباط الماء

وانفق مالاً جزيلاً على ذلك ومعظم نجاحه في هذا السبيل كان في ابهاء مدرسة الفنون في صيدا . وكان له بعض املاك خاصة ضمها اخيراً الى وقفية املاك اليتامى . ولما اكمل مسعاه اختاره الله في ١٥ ايار سنة ١٩٢٨ فنقله اليه . فعمّ الاسف لوفاته وطيّر البرق منعاه الى كل الجهات فتقاطرت الوفود من المرسلين والوطنيين رفقائه في العمل وأمَّ منزله كذلك الوجوه والعظماء والمعارف والاصدقاء وحضر مطران الروم باسيليوس خرياطي والمستشار الافرنسي المسيو بنسون والمحافظ عبدالله بك الخوري . وأُقيمت حفلة الجناز في بيته بعد الظهر اشترك فيها القسوس والمبشرون من اجانب ووطنيين في العربية والانكليزية . ثم حمَلَ جثمانه الخدَمة الروحيون الى المدفن الذي اعدَّه لنفسه في المقبرة الانجيلية وهناك وفّاه بعض الادباء من اصحابه وعارفي فضله حقه في الرثاء والتأبين ووري التراب فعاد المشيعون يرددون عبارات الاسف والحزن البليغ.

وتقديراً لخدماته أُقيمت له حفلة تذكارية في ١٢ حزيران دُعي اليها الرجال الرسميون وكرام القوم وسائر معارف الفقيد من صيدا وبيروت وغيرها فكانت حفلة وقورة حافلة . واهتمت مسز فورد بجمع نخبة من مواعظه وطبعها مصدَّرة برسمه وترجمة حياته . « وان مات يتكلم بعد » عب ١١ : ٤

عودة مستر جسب لخدمة المدرسة

•

كان لمدرسة الفنون حظ كبير بعودة مستر جسب رئيسها السابق الى خدمتها وما رضي بذلك الا على شرط ان ابقى انا الرئيس وهو نائب الرئيس . وشغلي مع مستر جسب سواء في العهد الاول وهو الرئيس وانا نائب او في العهد الجديد وانا الرئيس قلما اختلف نظراً لمحبة والصداقة والاخلاص في خدمة المدرسة فكل واحد منا يخدم بالموهبة التي له . ولكننا مع كل هذه الالفة اختلفنا في بداءة السنة اذ رجوته ان يسكن هو في البيت الكبير الذي أشغله انا لانه في حاجة الى سعته وانا انتقل الى بيت آخر من الابنية التي خلفتها لنا جمعية النجمة البيضاء. فأبى كل الاباء وقال: هذا بيت رئيس المدرسة وحده. فالتزم ان يصلح بناية المستشفى وينفق عليها مبلغاً كبيراً لتفي بحاجة بيته

ساره وود الاميركية المحسنة

حملت الينا انباء الولايات المتحدة الاميركية خبر وفاة هذه المحسنة الفاضلة عن شيخوخة صالحة بعد حياة قضتها في عمل الخير والاحسان واسعاف المشاريع الخيرية المفيدة نخصّ بالذكر ما عهدناه في بلادنا . فان اقدم بناية لمدرسة الفنون في صيدا تحمل اسمها « وود هول » لانها

ساعدت بالقسم الاكبر من نفقتها . وقد اقامت على نفقتها البناء الجميل الخاص بيتامى الطائفة الانجيلية « بيولا » في الميومية ، وغير ذلك كثير ولم تكن ممن يقدمون المبرات عن بعد دون ان يمدّوا ايديهم للعمل في الخدمة فاننا اختبرناها اثناء اقامتها بين ظهرانينا عدة سنين عاملة بنفسها مهتمة في الخدمة الفعلية في مدرسة الفنون وغيرها . وكانت احساساتها الشريفة تتأثر بالشفقة حتى على الحيوانات حين ترى ارهاقاً او ضنكاً وقع عليها . وقد احبت السوريين واحبوها هم ايضاً حتى بعد عودتها الى وطنها اميركا ما فتئت تراسل اصدقاءها الكثيرين . وفي اميركا نفسها كانت تفضل استخدام السوريين المهاجرين في بيتها من شبان وشابات . لانها كانت تحسب سورية وطناً ثانياً محبوباً في عينها . وبُعدُها لم يؤخرها عن متابعة اسداء المساعدات الخيرية وآخر ما جادت به لكنيسة صيدا الانجيلية من مدة ليست طويلة مئة ريال اميركاني لاجل اصلاحات في البيت الجديد الذي اشترته الكنيسة لسكنى خادمها فيه . وهكذا قضت عمراً جاء سلسلة اعمال خيرية الى ان توفيت يوم الاربعا في ٢ ك ٢ سنة ١٩٢٩ . نعم ان ذكر الصديق للبركة .

يوبيل مدرسة الفنون

صحت عزيمة جمعية متخرجي مدرسة الفنون على الاحتفال بيوبيل مدرستهم الذهبي لمرور خمسين سنة على تأسيسها وان يقدموا للمدرسة هدية تكون ذات فائدة لطلبتها فألفوا لجنة لنشر الدعوة وجمع التبرعات .

ورغم الازمة المالية وعسر الحال اشترك كثيرون من ابناء المدرسة واصدقائها بالاكتتاب . واقيمت الحفلة في اول ايار سنة ١٩٣١ في نادي المدرسة . ودعي اليها كرام القوم يتقدمهم سعادة محافظ لبنان الجنوبي الشيخ يوسف زخريا . وبلغت قيمة الاكتتاب في تلك الحفلة خمسمائة ليرة سورية وبقي باب الاكتتاب مفتوحاً وتقرر ان تكون الهدية خزانة ملآنة بالكتب والتآليف المفيدة تقدم الى مكتبة المدرسة .

رسامة القس ابرهيم ملحم داغر

دعينا لحضور هذه الرسامة في كنيسة ابل السقي الانجيلية في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٣١ وحضر القس وليم كينسليد والقس روبرت بيرلي والاستاذ ستورت جسب ولجنة الرسامة ووجوه البلد واعضاء الكنيسة وتمت الرسامة بوضع الايدي والصلاة وتقديم النصائح .

فرسون ام شاكر داغر

تغير الرؤساء والمعلمون والتلاميذ في مدرسة الفنون اما ام شاكر فدخلت في خدمتها منذ تأسيسها وتسلمت ادارة المطبخ واستمرت في عملها الى ان اقعدها عنه مرض الفالج سنة ١٩٢٨ . وهي ارملة عساف داغر ولها ولد وحيد اسمه شاكر دخل المدرسة معها وعام ١٨٨١ ارسلته ليتعلم في الجامعة الاميركية ثم صار استاذاً في مدرسة صيدا حيث علم فيها عدة سنين .

المدرسة كلها في صيدا

قضت احوال المدرسة الاقتصادية ان تعود مدرسة الفنون من الميومية الى مركزها القديم في صيدا فتوحدت بذلك فروعها الداخلية والخارجية وضمتها ابنيتها الكائنة في الجهة الشرقية من المدينة حيث نشأت وترعرعت وخرّجت شباناً كثيرين لخدمة البلاد . هي هجرت ابنية فخمة ، وساحات فسيحة ، ومناظر خلابة لكنها سهّلت مقابل ذلك بعودتها الى قلب المدينة سبيل التواصل بسهولة بين الاهلين والمدرسة .

وفيات — الاستاذ داود قربان — والقس اسعد عبود

كان بدء تعرّفنا بالاول سنة ١٨٨٦ حين مجيئنا الى مدرسة صيدا وتوثقت عرى الصداقة بيننا . وحين صرت معلماً تجددت الصداقة بمتانة اقوى . ولبى هذا الصديق الوفي الذي صرف ما ينيف عن النصف قرن يجاهد في خدمة التعليم نداء ربه اذ توفي في ٢٧ نيسان سنة ١٩٣٥ . وكان القس اسعد عبود رفيقنا في مدرسة اللاهوت سنة ١٨٩٤ وتوثقت عرى الصداقة معه ايضاً من ذلك العهد . واشتركنا معاً في خدمة كنائس الحقل العديدة . وهو ابن دعيبس عبود ومن مؤسسي الطائفة الانجيلية في مرجعيون وله اربعة اخوة من القسوس : متى — وامين — وسعيد — وسليمان وخدم في عدة مراكز الا انه اكمل جهاده في بلدته الخيام اذ توفي فيها في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ .

نائب رئيس المدرسة

تعين الاستاذ ابرهيم مرقس نائباً لرئيس المدرسة . وقد جاء في بيان المدرسة ان الاستاذ ابرهيم يعقوب مرقس المعروف عند اهـل الطلبة والذي تفرَّغ لمتابعة دراسته في بيروت قد تعيَّن رسمياً نائباً للرئيس ابتداء من السنة المقبلة اي في عام ١٩٣٧ – ١٩٣٨ .

رسامة القس جورج خوري

ووصلت دعوة من الكنيسة الانجيلية في جديدة مرجعيون لحضور رسامة راعيها الاستاذ جورج خوري لحضرنا في اليوم المعين حيث جرت الرسامة في ٢ ايلول سنة ١٩٣٧ بحضور عدد غفير من نواب الكنائس المجاورة ووجهاء البلدة . وهنأه كثير من الاساتذة والفضلاء في خطبهم نذكر منهم الشهم الغيور فضلو حوراني الذي صرَّح في كلمته ان تلك الحفلة كان لها اعمق تاثير في قلبه .

الدكتور باسيل باشا سوسو

هذا الدكتور الذي ارتقى الى اعلى رتبة صحية في الجيش المصري كان في حداثته تلميذاً في مدرسة الفنون وقد وجدت بيننا وبينهُ روابط صداقة متينة ، حتى انه لما كان في السودان تفضل فقدم انا بعض التحف من تلك البلاد . وقد ساعدنا في معالجة صهرنا الاستـاذ حبيب حتي اثناء مرضه .

وفاة صهرنا الاستاذ حبيب حتي

صهرنا حبيب من عائلة حتي من شملان . وتربى في مدرسة سوق الغرب الاميركية ثم دخل الجامعة الاميركية في بيروت وواظب فيها حتى نال شهادتها برتبة ب . ع . وعلم بعض السنين في مدرسة سوق الغرب ودعي بعد ذلك للتعليم في الجامعة الاميركية ثم انتقل الى التعليم في المدرسة الخاصة لتعليم المرسلين الجدد . واشترى ابنية مدرسة سوق الغرب مع محتوياتها لما عرضها المرسلون الاميركان للبيع . وتسرّب الى جسمه مرض غريب خفي عن الاطباء في بيروت . وذهب مراراً الى مياه الحمّة في فلسطين ليستشفي حيث المياه المعدنية الحارّة . واخيراً انهكه المرض فدخل المستشفى في بيروت حيث يطبب ابن عمه الدكتور يوسف حتي وقضى مدة فيه ولكن بعد ان خرج منه بمدة يسيرة توفي في شهر تموز سنة ١٩٣٧ .

الاستاذ نسيم الحلو وبيان المدرسة عام ١٩٣٨

هذا بعض ما جاء في بيان المدرسة . ان ادارة مدرسة الفنون للسنة المقبلة تسدي شكرها للاستاذ نسيم الحلو الذي سار بهذا المعهد وسط كثير من الصعوبات والازمات الى المرفأ الهادىء الامين . فقد خدم المدرسة استاذاً ونائب رئيس واخيراً رئيساً مدة لا تقلّ عن اربع

واربعين سنة وتخرج على يده الكثيرون من الشبان الذين يشغلون مراكز رفيعة ووظائف عالية في مختلف بلدان الشرق العربي . ونعلن باسف عزمه على ترك رئاسة المدرسة في السنة المقبلة طلباً للراحة . لكنه تكرّم باعطاء قسم من وقت راحته في السنة القادمة لخدمة الشبان العرب ولتدريس اللغة العربية العزيزة .

الاستاذ ستورت جسب ومدامته

جاء الاستاذ ستورت جسب الى هذه البلاد منذ سنين كثيرة قصد الخدمة . وانخرط في سلك المرسلية الاميركية وجعل يساعد في حقل التعليم والتدريس وقد كان لمدرسة الفنون النصيب الاوفر من خدماته ومواهبه . خدم فيها استاذاً ورئيساً مدة طويلة وكان طيلة مدة خدمته مثال الوالد الصالح الحكيم . وكانت قرينته معواناً له تسهر على صحة اولادها التلاميذ وراحتهم . وعندما انتهت مدة خدمتهما في عام ١٩٣٨ غادرا البلاد التي احباها كثيراً الى الولايات المتحدة ترويحاً للنفس من عناء التعب والشغل . وقد سجلت المدرسة لهاتين الشخصيتين عظيم شكرها وامتنانها لخدماتهما الطويلة ورسالتهما الانسانية .

الهيئة الجديدة لمدرسة الفنون

ان مدرسة الفنون التي عني بتأسيسها الطيب الذكر القس وليم كنغ ادي والدكتور جورج فورد لم يسندا اركانها الى شخصيتهما بل

أُسساها على مبادىء حقة قويمة . وحذا حذوهما من تولى امرها من بعدها . وهؤلاء الافاضل اسسوا المدرسة على المبادىء السامية واضعين نصب اعينهم الغاية الانسانية العالية . ولا غرابة فالاشخاص يزولون اما المبادىء فتدوم ، ولهذا فنحن مطمئنون الى مستقبل مدرسة الفنون .
وتألفت الهيئة الادارية العاملة من الرئيس الجديد الاستاذ لورنس هويت الذي تخصص في علوم التربية والتهذيب في جامعات الولايات المتحدة وقضى وقتاً لهذا الشان في بعض الجامعات في فرنسا . واما نائب الرئيس الاستاذ ابرهيم مرقس فهو احد تلاميذي وقد اختبرتهُ منذ حداثته وهو من الشبان الذين نفتخر بهم . وقد شاركني في خدمة المدرسة في فترات متقطعة وكان ساعدي الايمن في التعليم والادارة .

كلمة شكر

•

ولا مندوحة لي وقد وصلت منتهى المطاف من ان اتقدم بالشكر الجزيل للمرسلين الاميركيين الذين عاملوني منذ بداءة خدمتي معهم الى الآن خدمة الاخ الشريك وخصوني في معاملات استثنائية كثيرة . كما انني اشكر اخوتي وزملائي الاساتذة الذين اشتركوا معي واعانوني في الخدمة المدرسية . واشكر ارباب المناصب الحكومية العليا وفخامة رئيس الجمهورية الذي تلطف في ختام خدمتي فمنحني مدالية الاستحقاق اللبناني الفضية . واكون ناكراً للجميل ان اغفلت الشكر لاهل هذا البلد المحبوب الذي اتخذته وطناً جديداً اذ اقمت فيه طيلة حياتي العملية

ولا يفوتني التنويه بفضل اهل التلاميذ على اختلاف رتبهم ومذاهبهم ومواطنهم لما رأيته فيهم من المروءة وكرم الشمائل . واخيراً اسأل الله ان يحفظ ويؤيد من ذُكروا باحسانه وكرمه انه السميع المجيب .

كلمة مكتبة المشعل

•

ترغب مكتبة المشعل التي نشرت هذه المذكرات للاستاذ الجليل نسيم الحلو ان ترفع تحياتها اليه وشكرها لخدماته الممتازة في حقل التهذيب طيلة تلك الحقبة الطويلة من الزمن. ولا يخفى ان هذه المذكرات تناولت حياة الكاتب الشخصية التي لم تنفصل – بحكم نوع عمله – عن مدرسة الفنون . فقد رافق حضرته تلك المؤسسة منذ نشأتها اذ واكبها تلميذاً ومدرّساً ورئيساً . وتدرجت تلك المؤسسة تدرّجاً حثيثاً حتى وصلت مرحلة النضوج والكمال . وللوصول الى تحقيق رسالة المدرسة الشريفة اختارت المرسلية الشاب نسيم الحلو الذي لم يخيّب املها بل قدّم احسن مثال لتلامذة مدرسة الفنون ولبيئة صيداء الواسعة بسيرته المسيحية الحقة . ولقد ادرك المرسلون الاميركيون يوم اسسوا هذا المعهد عام ١٨٨١ ان الحياة رسالة ، وانه يترتب على هذا المعهد ان يظل ينبوعاً لرسالة علوية ، ومنارة تبدد حالكة الجهل فتهدي التائهين الى ميناء السلام .

وسار على نهج المؤسسين خلفاؤهم الذين عرفوا حاجات البلاد فوفقوا فيها بين نبل الرسالة التعليمية العالية التي وقفوا حياتهم عليها . وقد واظبت مدرسة الفنون – التي نثبت بعض رسومها في هذا المكان من

الكتاب – على تكوين الشخصية المثلى ، اذ ساهمت الى حدّ بعيد في رفع حضارة هذا الوطن واعلاء مستواه الفكري والخلقي والاجتماعي . وسرعان ما قدمت للوطن من عداد متخرجيها صفوة مختارة من اعلام النهضة ونخبة مباركة من الرجال النابغين . ويكفي الاستاذ الحلو فخراً ان يكون اسمه منقوشاً على صفحات تلك القوافل من الطلاب الذين تخرّجوا على يده من ذلك المعهد الزاهر فدخلوا ميادين الحيـاة مزوّدين بالثقافة الحقيقية العالية ، وحاملين في قلوبهم – رسالة الحياة الخالدة التي جمعهـا الرسول بولس في ثلاث كلمات : الايمان — الرجاء — والمحبة . . . .



بناية فورد الكبرى المجددة في مدرسة الفنون بعين الحلوة

اصلاح بعض الاخطاء

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧	٥	المقرئ	القرآ
١٠	١٤	الندم	القدم
١١	٣	البركة	البرك
٢٤	١٨	زعرو	زعرور
٢٦	٢	مس	مسز
٣٤	١٣	اشمنعر	اشمنعزر
٦٣	٧	همي	عمي
٦٤	١٠	مدرائهم	مدارسهم
٧٩	٥	لاولادا	لا ولا
٩٦	٨	رأي	لاي
١٠٨	١٣	عقود	عبود
١١٢	٨	مستر	مسز
١٣٠	١٦	الفواكه	الفوائد
١٣٤	٢	النبطية	البصة
١٣٦	٣	صوفر	صور
١٤٧	١١	غصن	ناصن
١٥٣	١	هبواز	هيوز
١٦٠	٢	١٩٣٤	١٩١٤
١٦٣	٢	١٩٠٤	١٩١٤
١٧٣	١٢	زكا	زكار
١٧٣	١٣	سعد	مسعد
٢٠٠	٢	الفرفة	الفرقة

هذا مع الرجاء غض النظر عن بعض الاخطاء المطبعية والسهوات الاخرى



اسماء العاملين في مدرسة الفنون

(انظر رسمهم على صفحة ١٠٧ وهم من اليمين الى اليسار)

الجالسون امام : محمد الددا – مسز وود – نوفل اسطفان – الدكتور جورج فورد – فرسون داغر – رفقه غبريل

الصف المتأخر : نسيم الحلو – تني فورد – شاكر داغر – متى عبود – موسى سويد – ابرهيم داغر – الياس خوري – عبد الرحمن الددا – هارتس هورن – جرجس كيال – جورج نمور – فارس مسوح – داود قربان – مخائيل بستاني

DATE DUE

